



محمد علي التسخيري

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

مع المؤتمرات الدولية

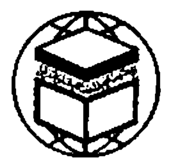
الحوار مع الآخر

محمد علي التسخيري

تسخیری، محمدعلی
الحوار مع الاخر / محمدعلی تسخیری.ـ تهران: المجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الاسلامیه، مدیریه النشر و المطبوعات، ۱٤۲٤ق. = ۲۰۰۳م. = ۱۳۸۲.
۲٤۰ ص.
ISBN 964-7994-04-4
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عنوان دیگر: مع الموتمرات الدولیه: الحوار مع الآخر.
کتابنامه بەصورت زیرنویس.
۱.وحدت اسلامی. ۲.تقریب مذاهب. ۳.اسلام و ادیان دیگر. الف.مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی، مدیریت انتشارات و مطبوعات. ب.عنوان. ج.مع الموتمرات الدولیه: الحوار مع الآخر.

BP۲۳۳/۵/ت۵ح۹ ۲۹۷/٤۸۲

کتابخانه‌ملی‌ایران ۸۲-۱۰۱۱م



اسم الكتاب: الحوار مع الآخر

المؤلف: محمد علي التسخيري

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

الطبعة: الاولى — ١٤٢٤ هـ.ق ٢٠٠٣ م

الكمية: ٢٠٠٠ نسخة

شابك: ٩٦٤ — ٧٩٩٤ — ٠٤ — ٤

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران / طهران

ص. ب: ٦٩٩٥ — ١٥٨٧٥

الفهرس

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

كانت سرعة تقدم العلم الإنساني منذ أواخر القرن العشرين مذهلة، إذ حولت اللاممكن إلى ممكن وبدأت مصطلحات من قبيل «ثورة المعلومات» «تحول العالم إلى قرية صغيرة» و«العالمية» و«العولمة» تظهر في المؤلفات العلمية حتى لقد راحت الأمية، وفق المعايير العلمية تقاس على أساس من إمكان التعرف على الحاسوب وعدمه.

وقد ترك هذا التحول العجيب آثاره في جميع الميادين: فالعلاقات الاقتصادية بين الشعوب قد تغيرت، والعلاقات الدولية انقلبت رأساً على عقب، وتأثرت الثقافات بهذه الظاهرة بل وحتى المقولات الاعتقادية والايديولوجية لم تبق مصونة من هذه الآثار.

وهكذا دكت الجدر الحديدية المقامة على حدود المعسكرين الشرقي الغربي وانطرحت في البين أسئلة جادة بين المذاهب الوضعية، وانهارت سمعة نظريات ماركس فجأة وظهرت حقيقتها إلى العلن أمام العالم، كما وضحت الصورة القبيحة للصهيونية المتمترسة خلف الدين اليهودي في نفس الحال الذي تجلت للعيان أحقية الأهداف الفلسطينية السامية أكثر من ذي قبل، وتعالت شيئاً فشيئاً الصرخات الرافضة للسياسات العدائية لحكام أميركا في الشرق والغرب وبالتالي ارتفعت وتيرة التساؤل عن الأديان الإلهية.

كل هذا يعد من الآثار الإيجابية للتنمية وسرعة الاتصالات إلّا أنّه لايمكننا أن نغفل الآثار السيئة لهذه الظاهرة التي تشكل تهديداً حقيقياً للأخلاق الإنسانية أو نتعامل معها بشكل انفعالي.

ومن المسلم به عند المحققين والباحثين أنّ أسلوب التعامل مع هذه الحقيقة قد طرح منذ مدة طويلة إلّا أنّ أهمية هذا الموضوع نقلته مؤخراً من المجالات المحدودة إلى الاجتماعات العلمية في داخل البلاد وخارجها ولذا كان من الطبيعي أن تقع هذه الفكرة موقع البحث والتمحيص بين علماء العالم الإسلامي.

وعلى هذا الأساس رأى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ضرورة طرح هذا الموضوع للبحث بين علماء السنة والشيعة في إطار المؤتمرات السنوية التي يعقدها في أسبوع الوحدة الإسلامية فجعل موضوع المؤتمر السادس عشر «عالمية الإسلام والعولمة».

وبمناسبة انعقاد هذا المؤتمر تقرر نشر بعض الكتب في مجال موضوع المؤتمر وكان منها مجموعة المقالات التي كتبها سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري وألقاها في اللقاءات العلمية التي حضرها في شتّى أنحاء العالم و قد أعطيت المجموعة عنوان «الحوار مع الآخر» موضحة الموقف الإسلامي تجاه الآخرين من سائر الأديان.

وإننا نرجو أن يكون نشر هذا الكتاب القيم ذا أثر في تهيئة أرضية اتساع الحوار بين أتباع الأديان الإلهية مما يمكنهم ـ عبر الاستفادة من الآثار الإيجابية للعولمة في مجال الاتصالات ـ من الوصول إلى الحلول العلمية للصعوبات التي تعترض سبيلهم الحضاري مستمدين من هدي الأديان، متجاوزين لكل الآثار السلبية لهذه الظاهرة العالمية.

* * *

الأمانة العامة للمؤتمر الدولي السادس عشر للوحدة الإسلامية

الإقبال العالمي على الإسلام

بمثابة المقدمة

عزيزي القارئ! وجهت إلى مجلة رسالة الثقافة الصادرة في طهران في عددها المرقم ٢٣/٣ سؤالاً عن «**سر هذا الإقبال العالمي على الإسلام**»، فأجبتها بما يلي:

هناك عوامل كثيرة أوجدت هذا الإقبال العالمي على الإسلام في الفترة الأخيرة وربما كان أهمها ما يلي:

١. ما يتمتع به الإسلام من تعاليم منسجمة تمام الانسجام مع الفطرة، تشبع حاجة الوجدان، وتسمو بالأخلاق وتتعامل مع طبيعة الإنسان تعاملاً واقعياً. وتنظر إليه ككل وتعمد على حل كل مشكلاته وتحقق الانسجام بين الجانب العقائدي، والجانب العاطفي، والجانب السلوكي.

وهذه الجوانب وإن كانت تتمثل في الإسلام منذ انطلاقته قبل أربعة عشر قرناً إلّا أن الذي أوجد هذا الإقبال الأخير عليه من خلالها ناتج عن حركة فكرية علمية قام بها المفكرون الكبار لشرح هذه الخصائص وعرضها بأسلوب يتناسب ومتطلبات العصر، ويجيب على تساؤلاته ويشرح الجوانب المضيئة في هذه الشريعة وهؤلاء هم من امثال الإمام الخميني، والإمام الصدر، وسيد قطب، والشهيد المطهري، وأبي الأعلى المودودي، ومالك بن نبي وغيرهم.

٢. فشل معظم الأطروحات اللادينية في إشباع حاجة الإنسان إلى المأمن الروحي الحقيقي لا بل فشلها في إشباع حاجاته المادية وتحقيق ما يصبوامن سعادة... وقد أدى تساقط هذه المذاهب الإلحادية لتكوين موجه بشرية هائلة متجهة إلى الدين من جديد

ليشبع لها نهمها وجوعتها ولما لم يكن هناك من دين فيه كل هذه الجامعية وهذا الشمول وهذه النظرة الحياتية المستوعبة وهذه الواقعية في التعامل، غير الإسلام كان من الطبيعي أن نجد الإقبال الهائل عليه وعلى تعاليمه.

٣. نجاح بعض التجارب الإسلامية في بعض المناطق وفي طليعتها تجربة الثورة الإسلامية الكبرى في ايران بقيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره حيث قدمت هذه الثورة نماذج كبرى من الشعبية الخالصة التي تتناسى كل المصالح المادية الضيقة في سبيل تحقيق الأهداف المعنوية الكبرى، وحيث استطاعت أن تكسر الكثير من الأساطير من قبيل أسطورة انحصار الثورة بالمبادئ المادية وبالخصوص في الاشتراكية، وأسطورة انقسام العالم المعاصر إلى قوتين لا ثالث لهما، وأسطورة عدم إمكان الاستقلال في المجال السياسي، وأسطورة «**الدين أفيون الشعوب**» وأمثالها.

و قدمت للعالم تصوراً جديداً عن مشاكله وحلولها بعيداً عن التصورات السابقة كما أنّها استطاعت أن تعبئ الجماهير المسلمة وتزرع في نفوسها الأمل الكبير بالمستقبل ممّا فتح أمام العالم كله أفقاً جديداً لم يكن ليتصوره من قبل.

كما تساءلت عن «**ظاهرة الصحوة الإسلامية**»، فأجبت:

إنّ أهم العوامل لهذه الظاهرة الكبرى ـ ظاهرة الصحوة الإسلامية ـ تكمن في ما يلي:

أوّلاً: نفس ما أشرنا إليه في جوابنا السابق طبعاً مع ملاحظة التأثيرات الأوسع لتلك العوامل في عالمنا الإسلامي. ذلك أنّ العالم الإسلامي أقرب بكثير من غيره إلى تفهم تراثه القيم والتعامل بكل تصوراته وعواطفه مع هذه الرسالة من خلال إيمانه بها حتى ولو كان هذا الإيمان ضعيفاً أو موروثاً إلّا أنّه على أيّ حال يوفر جواً طبيعياً للتعامل الأكبر مع القضية الإسلامية خصوصاً بعد وضوح جوانبها من قبل أولئك المفكرين الذين أشرنا لهم.

على أنّ فشل الأنظمة الأخرى ارجع الكثير من الشاردين عن المسيرة الإسلامية ـ من المسلمين ـ إليها وأعاد لهم الثقة بإسلامهم العظيم.

ثم إنّ نجاح التجربة الإسلامية أوجد شعوراً جماهيرياً كبيراً بعظمة الإسلام وأعاد للأمة اعتزازها بنفسها وثقتها بمستقبلها وقدرتها على صنع هذا المستقبل.

ثانياً: ونضيف ـ في هذا المجال ـ عملاً جديداً وهو الدور الرائع الذي لعبته الحركات

الإسلامية في نشر التوعية والحماس الثوري بين أبناء الأمة وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة أو تلك إلّا أنّها نجحت في تأجيج الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام وأوجدت شعوراً ذا مساحة معتد بها بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت والعودة إلى الإسلام.

ثالثاً: ردود الفعل التي اعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الإسلامي برغم التخطيط الدقيق لهذا الهجوم والعمل على أن يستوعب مختلف الجوانب رغم التمزيق القومي والوطني والعنصري، والتاريخي ورغم أنّه زرع في وجود الأمة البؤرة السرطانية الخبيثة (اسرائيل)، وأثقلها بالحكام العملاء وسرب إليها سمومه الفكرية والعاطفية وملأ حياتها بالمجون والترف والفسق فإنّ هذا الهجوم انتج نتائج عكسية إذ أيقظ الأمة وعلمها أنّ عزتها تكمن في إسلامها وقد كان تأثير الهجوم بشكل معكوس بأسلوبين:

الأوّل: كشف نفسه وحضارته وأخلاقه أمام أبناء هذه الأمة إذ راح ينهب وجودها ويحطم شخصيتها ويعبث بقيمها.

الثاني: إنّه دفع الحريصين المؤمنين بمستقبل الأمة لأن يتخذوا موقف المواجهة والتخطيط للصحوة. وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير المسلمة تلك الصيغ الرجعية للحكومة الإسلامية، وتلك الأطروحات المشوهة للوحدة الإسلامية.

وهكذا أثرت كل هذه العوامل أثرها الكبير في الاسراع بالصحوة والنهضة ممّا جعل الأمة على اعتاب تحول تاريخي كبير نسأل الله ـ جلّ وعلا ـ أن يحققه قريباً عاجلاً.

وتساءلت عن «**مركز النهضة الإسلامية الدينية**»، **فأجبتها**:

بطبيعة الحال لاأعدو ايران في هذا المجال فهي اليوم قلب النهضة الإسلامية الأصيلة، ومنبعها الدفاق؛ لاأقول هذا محاباة أو تعصباً وإنّما أقول ذلك عن وقوف حسن على واقع العالم الإسلامي، وتلمس كامل لكل أبعاد الصحوة والنهضة الإسلامية فالكل اليوم ينظر إلى ايران باعتبارها المحور النموذج والامام والموجه بل أستطيع أن أقول إنّ العالم كله يذعن لهذه الحقيقة، ولا أدل على ذلك من تجمع التآمر المعادي للدين ضد ايران وتمركزه على هذه الثورة الإسلامية وربما أمكنني الإشارة إلى دور ايران في المؤتمرات العالمية كالقاهرة وبكين وغيرها حيث وقفت تحمل لواء الدفاع عن الدين عموماً والإسلام خصوصاً بكل قوة واذعن العالم لهذا الوقوف والصمود.

فإذا تجاوزنا ايران استطيع القول بأنّ مظاهر النهضة تشمل كل العالم الإسلامي على اختلاف ما بين مناطقه من حيث الوعي والحماس.

كما تساءلت المجلة عن «**دور الفكر الإسلامي والفكر الثوري في العلاقات الدولية القائمة**»، فقلت:

إذا أردنا أن ندرك عمق هذا الدور علينا أن نلاحظ الأمور التالية:

١. مساحة التخطيط والتآمر ضد الإسلام وضد الثورة الإسلامية، ومساحة ضخمة حقاً تتمثل في تجمع العقول السياسية المخططة في مراكز علمية وسياسية لاتحصى لدراسة هذه الظاهرة، واتخاذ الاستراتيجيات الجامعة ضد نموها وانتشارها ومحاولة الفصل بين الجماهير الإسلامية، لا بل الجماهير المستضعفة وبين قيادتها، كما تتمثل في وسائل الاعلام الموجهة ضد الإسلام ومظاهره وضد كل ما يمت بصلة إلى الإسلام، وتتمثل أيضاً بالمؤتمرات الدولية الواسعة الأبعاد والتي تعمل على مسخ الهوية الإنسانية محو العائلة الإنسانية، ونشر التفكك والتميع، والفساد الأخلاقي، كما تتمثل في عشرات المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد بين الدول الكبرى نفسها بينها وبين دول المنطقة لوقف هذا التحرك الإسلامي العظيم، بل إنّنا نجد الغرب يعطي الضوء الأخضر للشيوعين لاستعادة دورهم القيادي في الجمهوريات الإسلامية والتي ورثت الاتحاد السوفيتي السابق لا لشيء إلّا خوفاً من امتداد المد الثوري الإسلامي لهذه المناطق.

ولانستطيع هنا أن نستوعب كل هذه المساحة وإنّما نريد الإشارة إلى أنّ كل ردود الفعل هذه تترك أثرها الكبير على الساحة الدولية وتغير من الاستراتيجيات الدولية والمعاهدات وتفتح مجالاً لتصوير عدو كبير للعالم الغربي وصب كل الاهتمامات لمحو هذا العدو الكبير، كما تترك أثرها في سعي الدول الاستكبارية لاستغلال الأمم المتحدة والمحافل الدولية الأخرى للوقوف أمام هذه النهضة ومحاصرتها والعمل على ضربها في مهدها وقطع اتصالها بجماهيرها.

ولذلك استطيع القول بكل صراحة أنّ الحركة الثورية الإسلامية هي الهاجس الأكبر للطامعين وهي حجر الزاوية في كل تخطيط إستراتژي عالمي. وهذه الحقيقة ذكرتها بصراحة الإستراتيجية الامريكية التي كشف النقاب عنها عام ١٩٩٧.

وعن «**العلاقة بين الإسلام والغرب**»، قلت:

لتلخيص العلاقة بين الإسلام والغرب اوضح مايلي:

أ. أتصور أنّ الإسلام بمقتضى واقعيته المعروفة يسعى عن طريق الدعوة والعرض السليم إلى التحدث مع الفطرة الإنسانية والتأكيد على أنّ كل ما جاء به من تصورات عن الواقع والحياة انما يقوم على أساس منطقي سليم ينسجم مع تطلعات الفطرة الإنسانية وما يطالب به هو أن يحصل الجو الحر الموضوعي للاستماع إلى صوت الإسلام.

ورغم الحرية التي يتمتع بها العالم الغربي أو يدعيها في فسح المجال للآراء في أن تعرض نفسها إلّا أنّ الإسلام يواجه عقبات كبرى في هذا الصدد أهمها التشويش والتشويه الدعائي الواسع الأبعاد ضده وضد كل مقدساته، وذلك عبر القنوات الاعلامية الواسعة وبمختلف الأساليب الماكرة التي كثيراً ما تستغل الفن والقصة والعلم لتمرير أفكار معادية للإسلام.

وأؤكد أنّ هذه الحملة تنطلق من منطلقات:

الأوّل: تعصبي حيث نجد الجهات المتعصبة الصليبية تحمل حقداً تاريخياً ضد الإسلام دونما تأمل في ما يطرحه الإسلام من أفكار إنسانية.

الثاني: مصلحي انطلاقاً من النظرة المادية الرأسمالية للحياة ذلك أنّ الإسلام بمقتضى مبادئه لايسمح بخضوع الشعوب الإسلامية للمصالح التوسعية الغربية كما لايسمح بشكل عام باستغلال المستضعفين من قبل الأقوياء المستكبرين الأمر الذي يقف عقبة أمام الاستغلال المادي الوضيع.

الثالث: قومي وطني انطلاقاً من تصور الغرب أنّ المسيحية أو بشكل عام الدين الذي لايتدخل في معمعان الحياة هو من الخصائص الوطنية والقومية للشعوب الاوربية وهذا فهم خاطىء للدين والتراث الوطني والقومي وهو الأمر الذي يرفضه المنطق التغييري للبنية الإنسانية فالمهم أن يدين الإنسان بدين الحق بعيداً عن مسائل التعصب الطائفي والقومي والوطني.

وأخيراً: فإنّ امتلاك الإسلام لخصائص الدين القيم على الحياة وأساليبه المعنوية والأخلاقية هي الحل البديل للفراغ المعنوي الذي تشعر به الإنسانية هو أحد العوامل المهمة التي حطمت نظام الإلحاد الشرقي وقضت على احلامه بالتالي أعطت دورا جديداً للتعاليم الإسلامية لتملأ هذا الفراغ بعد أن لم تكن باقي الأديان على مستوى الحاجة

الحضارية الموجودة.

ب. اعتقد أنّ أفكار العالم الغربي قد طرحت بشكل كاف في مجال العالم الإسلامي. فالمثقفون المسلمون يطالعون غالباً وباستمرار ما ينتجه هذا الفكر بالإضافة إلى أنّ الجماهير الإسلامية اليوم مغرقة باحداث العالم الغربى التي تتحدث عنها وسائل الإعلام الغربية.

بل إني أعتقد أنّ ما يعرض في العالم الإسلامي عن الغرب فيه الكثير من المبالغة المقصودة الأمر الذي قد يغوي الكثيرين بهذه الجنة الموهومة وهم لايعلمون ما تستبطنه هذه الحضارة المادية من نقاط ضعف كبرى تمزق العلاقات العائلية، وتقضي على الروح الإنسانية وتحرك الكوامن الحيوانية الغريزية دونما سيطرة.

ج. لايمكننا أن ننكر أنّ الكادر الإعلامي الغربي مدرك لرسالته ومنسجم مع حضارته ويعرف بدقة ما هي واجباته بغض النظر عن مدى إنسانية هذه الرسالة وتلك الواجبات.

أمّا الكادر الإعلامي في العالم الإسلامي فالذي أُظنه أنّه في الغالب بحاجة ماسة لتفهم الرسالة الإسلامية وأهدافها الحضارية وواجباته تجاه هذه الرسالة، وأظن أنّ أكبر نقاط الضعف التي ابتلى بها هذا الكادر هو عدم توفر ذلك الفهم الكامل من جهة والتبعية العمياء لأهواء الحكومات المصلحية بل والعميلة أحيانا من جهة أخرى ومن هنا فإن عليه أن يحرر نفسه من هذه القيود ويبدأ مرحلة جديدة تحكمها خطوط عمل أساسية مستمدة من معين الرسالة الإسلامية وفي طليعتها: ضرورة نشر الروح التغييرية الثورية التي يريدها الإسلام في النفوس فتجعلها مستعدة لتطبيق كل تعاليم الإسلام على كل شؤون الحياة.

د. أعتقد أنّ كلاً منا لايدرك الآخر وربما كان من الصعب أن نصل إلى قواسم مشتركة وسر هذا الأمر أنّ مبانينا ومنطلقاتنا مختلفة تماماً.

فالعالم الإسلامي يقوم على أسس تصورية لايؤمن بها الغرب والعكس بالعكس.

وكمثال على ذلك لنلاحظ الأسس التالية:

١. الفطرة الإنسانية: وهي وجود أصيل يسوق الإنسان إلى الحقيقة الإلهية بشكل طبيعي وبدونه يفقد الإنسان إنسانيته.

٢. الأخلاق الفاضلة: العدل، التعاون، الإخلاص للمبدأ وما إلى ذلك جزء لايتجزأ من إنسانية الإنسان.

٣. الإنسان الفرد والمجتمع محتاج لتنظيم شؤون حياته كلها إلى الله وإلى الدين والقيم في الحياة.

٤. التكامل البشري من مقومات الحياة الاجتماعية، والفوارق الطبقية العرقية، والقومية، والوطنية أمور منبوذة بشرياً.

٥. الغرائز الجنسية بحاجة لضبط عاقل يضمن قيام علاقات عائلية متكافئة.

٦. الاستغلال والاستثمار والاستعمار والاعتداء وتسخير مصادر الآخرين لمصالح ضيقة واحتلال أراضي الغير وإهانة المقدسات كلها أمور مرفوضة.

هذه بعض الأسس فهل نتفق عليها؟

المسلمون يقبلونها بشكل تام ولكن هل ينسجم معها الغرب؟ استطيع أن أوكد أنّ الغرب قد لايدرك كنهها لأنّها بعيدة عما اعتاد عليه مع الأسف.

نعم إذا استطعنا أن نصل إلى مستويات من التفاهم حول هذه الأسس أمثالها فقد يكون من الطبيعي أن نصل إلى قدر مشترك من الفهم المتبادل لبعضنا البعض.

ولست متشائماً في تحقق هذا الهدف إذا توفرت النية المخلصة الموضوعية المطلوبة لمعرفة الحقيقة.

نعم إنني أعتقد أنّ البشرية جمعاء تسير شيئاً فشيئاً نحو مرحلة فناء النزعات الإلحادية والظواهر الإنكارية لله تعالى رغم إمكان تواجد بعض النتوءات الصغيرة دائماً.

وهناك علامات كبرى تشير إلى هذا الاتجاه الحضاري نستطيع أن نشير منها إلى ما يلي:

١. هذا الاتجاه العالمي لاقرار حقوق الإنسان فرغم أنماط الاستفادة السيئة من المنشور العالمي لحقوق الإنسان من قبل الدول الكبرى إلّا أنّه يعبر عن اتجاه معنوي نحو اقرار حقوق الإنسانية التي نادت بها الأديان وأيّ إنكار للجانب الروحي والفطري للإنسان يفقد الإنسان أي ادعاء للحقوق الإنسانية.

٢. هذا الاتجاه العالمي للجماهير نحو الحلول الدينية بعد فشل كل الحلول المادية، أنّه اتجاه حضاري يحاول الماديون إنكاره ويعمل المستعمرون على كبته وخنقه والتآمر

عليه إلّا أنّه اتجاه حقيقي فالجماهير سواء في العالم الإسلامي أو في غيره أدركت أنّ السعادة الإنسانية إنّما تكمن في إحياء القيم المعنوية واستعادة وجودها في حياة الإنسان.

والأمر في العالم الإسلامي اوضح فإنّ الجماهير الإسلامية اليوم تعمل على استعادة دور الدين في الحياة وهي تتوسل بكل الوسائل لإقامة نظام إسلامي للحياة رغم كل العقبات التي تقف في طريقها.

فالعصر اليوم هو عصر السيطرة الإسلامية في العالم الإسلامي وهو عصر الاتجاه نحو المعنويات.

٣. هذا الانهيار الهائل للنظام الإلحادي الشيوعي نتيجة مخالفته للفطرة الإنسانية وهو ما أشار إليه الإمام الخميني رحمه الله في رسالته التي وجهها إلى غوربا جوف قبل الانهيار بأكثر من عامين حيث قال له إنّ الشيوعية مرشحة للدخول في متحف التاريخ لأنّها تخالف الفطرة الإنسانية ودعاه إلى الدين بالخصوص إلى الدين الإسلامي لأنّه الإشباع الحقيقي للجوعة الإنسانية. وهذا ما اعترف به غورباجوف في خطاب الاستقالة حيث قال بأنّ الانهيار كان بسبب إنكارنا للنعم الإلهية.

وعلى أيّ حال فإنّنا نستبشر خيراً بعصر الدين والمعنويات. أما ما يقال أحيانا من أنّ الحكم الديني سوف يؤدي لاضطهاد الأقليات فهذا أمر موهون فإنّ القواعد الدينية الإسلامية توجب على الدولة احترام حقوق الأقليات ومنحها درجة المواطنة الكاملة وحمايتها من أي اعتداء وتاريخ الإسلام شاهد على هذه المعاملة رغم أنّ الإسلام لم يكن مطبقاً بشكل كامل إلّا في فترات قليلة.

وتمتع الأقليات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية اليوم بكل الحقوق شاهد على هذه الحقيقة.

إنّني أعتقد أن عودة الحكومات الدينية سوف يترك أثره الكبير على العلاقات الدولية حيث ستسود روح التعاون المشترك لنشر الأخلاق الحميدة وتتم عملية تحريك الطاقات الإنسانية الكامنة وتقام الحياة على أسس متينة منسجمة مع الفطرة.

وإنّني لأنتظر عالما تسوده العدالة، والتعاون والمحبة الدينية، والتفاهم الموضوعي وهو ما بشرت به كل الأديان وتمثل في الإسلام بالاعتقاد بظهور المهدي القائد الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ولهذا فإنّي أعتقد أن البشرية يجب أن تستعد بل

وتعمل على إقامة نظام ديني عالمي يحقق الأهداف السامية للبشرية.

وتساءلت عن «**علاقة الدين بالحياة**»، فأجبت:

إن من المسلّم به أنّ النظام الاجتماعي لايمكنه أن ينفصل عن الايدئولوجية التي يحملها المجتمع (موضوع التطبيق لذلك النظام) بل لايمكن تصور قيام نظام حياتي شامل دون أن يسبقه تحديد للموقف من الوجود والإنسان والحياة، أي دون أن تسبقه فلسفة معينة، وحتى الرأسمالية التي طرحت فكرة فصل المسألة الاجتماعية عن المسألة الواقعية لم تستطع مطلقاً أن تنجو من نظرة مادية خالصة للحياة.

وعليه فعندما يدخل الدين إلى الحياة فمعنى ذلك أنّه ينفذ إلى عمق الوجدان الاجتماعي ويغير القاعدة التي يقوم عليها النظام، ومعنى ذلك أيضاً أنّه ينفذ إلى كل المشكلات الحياتية فيغيرها وفقاً لتصوراته (طبعاً إذا كان هذا الدين ديناً واقعياً واجتماعياً يطرح حلوله لكل المشكلات الاجتماعية).

ومن هنا استطيع التأكيد على أنّ الدّين إذا دخل إلى أي ساحة عمل على تغييرها تغييراً جذرياً، وحاول أن يصوغ علاقاتها وسياساتها وفقاً لمنطق جديد.

وأخيراً تساءلت عن «**توقعي لمستقبل النهضة الإسلامية**» فكان جوابي: انطلق في تصوري لمستقبل النهضة الإسلامية من أمور:

أوّلاً: من دراسة سير التاريخ الإنساني الذي يتسم رغم كل النكسات بالسير الصاعد لصالح الأهداف المعنوية.

ثانياً: من قناعتي باللطف الإلهي الذي يسير بالإنسانية نحو الكمال.

ثالثاً: من الوعود القرآنية القطعية بالنصر المؤكد للحركة الإسلامية إذا صدقت مع نفسها وتحلت بكل الخصائص القرآنية.

و أعتقد بعد هذا: إنّ الغد أمام النهضة الإسلامية مشرق خصوصاً إذا لاحظنا ما تتمتع به عناصر النهضة من حيوية مبدعة، وإمكانات مادية معنوية، وإيمان جماهيري بمستقبل هذه النهضة وثقافة حضارية مضحية... وأعتقد أنّ كل من له بصيرة يدرك تماماً أنّنا على إعتاب عالم يسوده حكم القرآن الكريم.

عزيزي القارئ!

نقلت هذا الحديث الصحفي ليكون مقدمة لهذا الكتاب الذي اعد ليكون داعية حوار

إسلامي - إسلامي أوّلاً، ثم لينطلق فيصنع حواراً إسلامياً مع الآخرين يوضح لهم مبادئه الإنسانية ويكتشف معهم نقاط الاشتراك مما يمهّد السبيل لتعاون إنساني يعود بالنفع على الإنسانية جمعاء.

❊ ❊ ❊

الفصل الأوّل

الدور الحضاري للأمّة

الأمة الإسلامية وخيار السلام العالمي

في

إطار العلاقة المتوازنة بين الحضارات[1]

إنّ التحركات الجادة التي شهدتها الساحة العالمية خلال العامين الماضيين؛ بهدف بلورة فكرة الحوار بين الحضارات بصيغتها العلمية الموضوعية، تمثل نقلة أساسية في أساليب تفكير البشرية الرامية إلى تحقيق التوازن في العلاقة بين التيارات الحضارية والدينية والفكرية والقومية التي تتقاسم البشرية، وبالتالي العمل على تحقيق الطموح الذي طالما حلم به الإنسان منذ بزوغ فجره، وهو حلم تحقيق الأمن والسلام في الأرض. ومهمة كبرى بهذا الحجم، تستدعي التعامل معها بمزيد من التنظير العلمي الجاد والتخطيط الموضوعي، من ثم التنفيذ الواقعي الذي يستبعد التحركات الانفعالية السطحية أو الخطاب الاعلامي الدعائي؛ إذ أنّ المشاريع التي تتعامل مع مصير الإنسانية ببنى هشة تعتمد الشعار والأهداف الدعائية، تؤول ـ دون شك ـ إلى الاخفاق، بل وقد يكون لهذا الاخفاق مردودات سلبية.

ومن هنا فنحن نكرر التأكيد على ضرورة التعامل مع موضوع الحوار بين الحضارات تعاملاً علمياً عقلانياً، ينطلق من مساحات الاشتراك التي تقف عليها البشرية،

---

١) أُلقي في ندوة الايسيكو «في الذكرىٰ ١٥ لتأسيسها» المنعقدة بالرباط، بتاريخ ١٩٩٧/٢/٢.

وينظر إلى التقسيمات الحضارية والدينية والاثنية والدينية نظرة واقعية تستبطن كل عوامل الاختلاف وإمكانيات اللقاء، ولايتجاوز المسلم فيها مبادئه العقائدية وأسسه الشرعية. وسنحاول في هذا البحث الانطلاق من هذه الحقائق في النظر إلى موضوع العلاقة بين الحضارات؛ بهدف تركيز دعائم الطريق الذي يوصل البشرية جمعاء إلى التفاهم من أجل أمنها وسلامها.

وهذا الطريق محفوف بالمخاطر والصعوبات والعقبات، وقضية إزالتها تحتاج إلى تعاضد الجهود وتلاقي الرؤى الخيِّرة لأبناء الإنسانية الذين يجمعهم مصير مشترك وواقع مشترك، سواء في حياتهم على الكرة الأرضية التي يتقاسمون تاريخها وجغرافيتها، أو في حياتهم الآخرة التي سيحصلون فيها على نتائج ماكسبت أيديهم.

الحوار حاجة إنسانية

منذ أن أحس الإنسان بحالة التنوع في المعتقد والمستوى المعيشي التوزيع الجغرافي والعمق التاريخي والانتماء الاثني مع الإنسان الآخر، فإنّه دخل في حلبة الصراع من أجل البقاء ومن أجل حياة أفضل أو من أجل فرض واقعه على الآخرين. وأثبتت هذه التجارب للإنسان طيلة آلاف السنين أنّه بحاجة إلى تقنين حالة الصراع والتدافع، وخفض نسبة سلبياتها إلى أدنى حد. ودفعته هذه الحاجة إلى تفهم وجهة نظر الآخر، من خلال الحوار تبادل الرؤى والأفكار. وأخذت أساليب الحوار مظاهر وألواناً مختلفة.

وقد تناولها كثير من المفكرين والباحثين وعلماء الدين ورجال السياسة من منطلقات مختلفة ولغايات متنوعة، ولكن القاسم المشترك الذي كان يجمع هذه الرؤى والدعوات هو ضرورة الحوار الإنساني بشتى مضامينه ومجالاته. فظهرت دعوات للحوار بين الثقافات، وأخرى بين الأديان، وثالثة بين المذاهب، هكذا بين الشعوب والحكومات والقوميات وغيرها، فضلاً عن الحوار بين الحضارات، والتي ظلت من الدعوات الأساسية والمهمة.

وفي هذا المجال هناك رؤى متنوعة أيضاً، فهناك من يرى بأنّ حوار الحضارات يجب أن يتم بين الحضارات المتماثلة موضوعياً، مثلاً: بين الحضارات الدينية أو الحضارات القديمة أو الحضارات القائمة أو المستمرة في وجودها أو بين المدنيات

وغيرها. ولاشك أنّ لكل مجال أو مضمون من مضامين الحوار أساليبه ومناهجه المستنبطة من طبيعة موضوع الحوار نفسه.

وأوّد هنا الإشارة إلى أنّ دعوة الرئيس السيد محمد الخاتمي للحوار بين الحضارات، جاءت تتويجاً للجهود الكبيرة التي قامت بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومنذ تأسيسها؛ لتركيز حالة الحوار في كثير من مجالاته، ومنها الحوار بين المذاهب الإسلامية، والذي تجلّى بعشرات الندوات والمؤتمرات العالمية والكتب والدوريات وغيرها، وكذلك الحوار الفكري بين المفكرين الباحثين من مختلف بلدان العالم الإسلامي، وأيضاً الحوار بين الأديان، ولاسيما بين الإسلام والمسيحية بمختلف مذاهبها. ويزيدني فخراً أن أكون أحد الداعين لهذه المظاهر الحوارية والقائمين عليها منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً وحتى الآن.

ولايفوتني هنا أن أُذكّر بأنّ الإمام الخمينيرَحمه الله كان داعية الحوار الأوّل: إذ لم تقتصر دعواته على الحوار بين المسلمين، بل أنّه تجاوزها إلى الحوار مع غير المسلمين، بل ومع غير المتدينين، وأبرز مثال في هذا المجال هو رسالته إلى آخر رئيس للاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف، والتي فتح فيها باب الحوار مع الحضارات والمدنيات والقوى الدولية. ولكن الموت حال بينه وبين إكمال مشروعه في هذا المجال... تغمّده الله بواسع رحمته.

الحوار مبدأ إسلامي

من خلال نصوص القرآن الكريم والصحيح من الحديث الشريف، نجد أنّ الإسلام دعا ـ وبصيغ مختلفة ـ إلى الحوار. كما دعا إلى التعاون مع الآخر المختلِف دينياً، كمقدمة ضرورية للحوار. فالتعارف هو مدخل الحوار ﴿ **يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...** ﴾[1]. ويتمثل التعارف بدراسة كل طرف لمتبنيات وأفكار الطرف الآخر من مصادره نفسها، لتكون حجة عليه؛ فضلاً عن تبادل المعلومات ولقاءات المجاملة؛ لتكون مقدمة للحوار.

---

١) حجرات، ١٢.

أمّا الحوار الذي يدعو إليه الإسلام، فهو حوار هادف، ويتسم بالتجرد والموضوعية والعلمية. وقد وضع القرآن للرسول ﷺ قواعد هذا الحوار في دعوته ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**﴾[١]، ويريد بذلك الاتفاق على حد معين من أسس الحوار الموضوعي. كما أنّ الرسول ﷺ في قوله لنصارى نجران ﴿**وانا أو إيّاكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين**﴾[٢]. يقصد التجرد في الحوار للوصول إلى الحقيقة مهما كانت، على الرغم من أنّه موقن بصحة معتقداته، إذ أنّ هذا اليقين لم يمنعه من الإيحاء إلى الطرف الآخر بأنّه سيدخل الحوار دون أن يحمل مواقف مبيّتة أو أحكاماً معدّة سلفاً.

والقرآن الكريم مليء بمختلف ألوان ومظاهر الحوار، ولاسيما الحوارات التي يقف الأنبياء والصالحون طرفاً فيها، والطرف الآخر أقوامهم أو الحكام أو أتباع المعتقدات والديانات الأخرى. وقد رسم القرآن الكريم الخطوط العامة لمناهج وأساليب كل مظهر من مظاهر الحوار تلك. كما وضع أهدافاً مدروسة للحوار، فالحوار ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة أهدافٍ تعود بالفائدة على الدين الحنيف والإنسانية. وفيما يرتبط بفكرة حوار الحضارات بثوبها الجديد، فإنّها فكرة هادفة جادة، ولاتخرج عن كونها مبدأً إسلامياً ولغة قرآنية. ولعل من أبرز أهدافها محاولة التمهيد لتوازن دولي ووفاق علمي يكون فيه للحضارات والثقافات والحكومات والشعوب دور أساس، ومحاولة سد الباب أمام قوى الظلام والشر التي تمارس مختلف ألوان التمييز السياسي العنصري الجغرافي بين شعوب العالم، إضافة إلى كونه محاولة لتحقيق التكافؤ الشعور بالمسؤولية لدى كل من يقيم على هذا الأرض، تجاه الأرض وسكانها وبيئتها ومستقبلها. وبالتالي العمل المشترك على نشر السلام والأمن في كل العالم، وهو الهدف الذي يدعو إليه الإسلام... دين السلام والحوار.

المناخ المناسب للحوار

لاشك أن أيّ شكل من أشكال الحوار لابد وأن يتم في مناخ مناسب، يسوده الأمن والسلام، ويتسم بتكافؤ الفرص بين المتحاورين، وحرية التعبير عن الرأي؛ وأن لايكون حوار القوي والضعيف أو الحاكم المستبد والمحكوم، ففي هذه الحالة يضيع أي تكافؤ بين

---

١) آل عمران، ٦٤.

٢) سبأ، ٢٤.

المتحاورين، ويكون منطق السيف والخوف هو المتحكم بمسار الحوار، ومن الطبيعي أن لاينتج مثل هذا الحوار عن أيّة نتيجة نافعة. وإذا خصصنا الأمر في الحديث عن الحضارات، فإنّ إيجاد المناخ المناسب للحوار بينها، هو الشرط الأساس لدخول مثل هذا الحوار؛ لأنّ الحضارات تتباين فيما بينها في حجم القوة ونوعية الامتداد والاستمرار وطبيعة أدوات التعبير التي تمتلكها. والمناخ المناسب الذي يتمثل في الحوار المتوازن هو الوجه الآخر للعلاقة المتوازنة المتكافئة بين الحضارات، والتي تختفي فيها أدوات الضغط ومنطق الترغيب والترهيب. ولانقصد هنا بأدوات الضغط الأدوات العسكرية فحسب، بل أدوات الضغط بكل أشكالها ومضامينها، والتي تعبّر عن تفوق طرف على آخر، ومنها الأدوات السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، وصولاً إلى ادوات الاتصال والتعبير عن الرأي، بل حتى مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي تؤسس لايدئولوجية التفوق والقوة لدى عرق دون آخر ولون دون آخر فهذه المناهج يمكنها أيضاً أن تكون أدوات للضغط خلال الحوار. فيستثمرها المتفوق في هذه المرحلة الزمنية[1]؛ للقيام بالتأثير النفسي على الأطراف الأخرى ومحاولة مصادرة آرائها، وإيقاع الهزيمة بها بسلاح المنهج العلمي المزعوم.

الحوار وهدف تحقيق الأمن والسلام

الأمان مطلب إنساني فطري يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة «حب الذات». وتعمل هذه الغريزة مع باقي الغرائز الأخرى بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان؛ فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن، وإنّما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية والذات النوعية؛ كي تدفعها ـ تلك الدوافع ـ نحو أغراضها المنشودة.

١) ونقصد به المتفوق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في هذه البرهة الزمنية التي نعيشها الآن، هذا التفوق النسبي الزمني يحاول المتفوق أدلجته في إطار ما يسميه بمناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، واعتباره حقيقة علمية ثابتة على مستوى المكان والزمان. بيد أن حقائق الزمان والمكان تشير إلى عكس ما تذهب إليه تلك المناهج.

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة العملية، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذٍ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الأطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

فالأمن - إذن - حاجة إنسانية دائمة لاتغيّرها الظروف، وليست ظاهرة عرضية حتى يقال: بأنّها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدّل تبدّلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا فمن الطبيعي أن نتصور الحاجة إلى نظام شامل يتكفّل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة. ولايمكننا أن نتصور حدوداً لمسألة حماية السلام والأمن إلّا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها. وذلك أمر طبيعي، بعد أن ندرك أنّ الفطرة هي - إجمالاً - معيار الحقوق الإنسانية كلها، وأنّها أيضاً تحدد إنسانية الإنسان وأهدافه، وتفرض حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذٍ لن يقبل الأمن تحديداً إلّا إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصراً ضد الأمن نفسه، فلا معنى - إذن - لضمانه. وإلّا فكيف نتصوّر الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدده بما يردعه عن فعلته، حتى لو أدى ذلك إلى تهديد أمنه؟

وإذا شئنا تتبع المحاولات الإنسانية الحضارية الجادة لتوفير جوٍّ آمن للبشرية جمعاء، فإنّ علينا أن نتتبع - أوّلاً - محاولات الأديان، باعتبارها أقدم الظواهر في حياة الإنسان وأكثرها دعوة للكمال كهدف إنساني، وأشدها سعياً لتحقيقه، ثم نستعرض - ثانياً - محاولات الفلاسفة المتنوعة لبناء القوة العادلة العاقلة التي تضمن للبشرية هذه الحاجة، ونصل - ثالثاً - إلى المحاولات الشخصية والجماعية لضم العالم تحت حكومة واحدة، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، بشتّى الحجج والدوافع والشعارات، وفي طليعتها شعار تأمين العدل لكل البشرية، والدفاع عن حقوق المحرومين وتوفير السلام العالمي.

خيارات البشرية لتحقيق الأمن والسلام

هناك عدة خيارات أمام البشرية، متمثلة في الأطروحات التي جرّبتها البشرية أو لم تجرِّبها، وكلها ترفع شعار تحقيق الأمن والسلام العالمي، ولكنّها تختلف في المضامين والوسائل والأساليب، وأهمها:

١. السيطرة الدكتاتورية على كل العالم بالحديد والنار، بذريعة أنّها الوسيلة الوحيدة لضمان الأمن العالمي. هذه الأطروحة ـ كما نرى بوضوح ـ تحمل في داخلها تناقضاً تصعب إزالته أو تسويغه، حتى من قبل الذين يتبنونها: الأمر الذي يضطرهم لرفع شعارات أخرى لتسويغ نواياهم الحقيقية غير السليمة. وابرز من تبنى هذه الأطروحة: «النازية».

٢. السيطرة الطبقية، أي سيطرة طبقة معينة على باقي طبقات المجتمع العالمي؛ باعتبارها المقدمة الوحيدة لخلاص البشرية من شرور الاستغلال والعدوان والاستعمار، والتي تحقق الانسجام الوحيد مع نوعية الإنتاج الاقتصادي؛ الأمر الذي يؤدي إلى توفير كل حاجات الناس دون استثناء، وقيام المجتمع الشيوعي الذي يحقق كل الرغبات العامة، وتختفي فيه الذاتية وتسوده الـ «نحن» الإنسانية، حتى لاتبقى هناك أيّة حاجة للقانون أو القضاء أو الدولة. وهذه الأطروحة ليست إلّا خيالاً جامحاً لاينسجم مع فطرة الإنسان وأصالتها؛ بل إنّها تنفي أيّة جذور فطرية، مما يؤدي بالتالي إلى نفي إنسانية الإنسان نفسها. وهذه النتيجة يرافقها بطبيعة الحال ـ اعتداء تاريخي مرير على كل مرافق الأمن ووسائل السلام، وسلب قاس للحريات والحقوق الإنسانية، وهو ما حفلت به التجربة التاريخة للأطروحة، من ممارسات عنف واضطهاد وسفك للدماء صادرت كل دعامة للأمن والسلام، ثمّ إنّها تجربة انهارت قبل أن تحقق أياً من أهدافها الأساسية.

٣. الشعوب الحرة المتعايشة التي تحكمها النظم الديمقراطية، والتي تتنافس فيما بينها تنافساً حراً يعود على الإنسانية جمعاء بالخير والأمان. برغم أنّ هذه الأطروحة لم يصرح بها أحد بصورة نظرية متكاملة. ولكنّها تعبير عن الواقع الذي تدعو له الأطروحة الرأسمالية الليبرالية والديمقراطية تحت اسم «العولمة»، والتي تعتقد بأنّ الحرية هي أساس السعادة الإنسانية وهي التي تكفل تحقيق التكافؤ بين الشعوب، وبالتالي تعميم السلام في الأرض. وتفسّر هذه الأطروحة الحرية بما ينسجم وتحقيق الفرد لطموحاته،

باعتبارها مدخلاً لتحقيق المجتمع لطموحاته وتقدمه على المدى البعيد. وتفترض هذه الأطروحة إمكانية قيام حكومات ديمقراطية ـ بكل ما للديمقراطية من معنى نظري ـ في كل أنحاء العالم. وأنّ هذه الحكومات تتعامل مع بعضها على أساس التنافس البنّاء دون تعدٍّ على الحدود والحقوق. ويتم ذلك في إطار عرف دولي مدوّن يضمن طرح أسس عادلة للعلاقات الدولية. وهذه الافتراضات هي في حقيقتها ـ مجرد خيال: لأنّها لاتمتلك اي أساس إنساني واقعي ولاتؤيدها التجربة التاريخية الحضارية الإنسانية. إذ أنّ الإنسان الذي يملك أبعاده النفسية ونزعاته الذاتية، إذا لم نضمن التربية الروحية التامة له، وسلبناه كل ما يؤدي إلى تربية إنسانية، وسرنا به نحو حيوانية منظّمة! فإنّ من المستحيل تصوّر سير تكاملي طبيعي ومتوازن له. وإذا تجاوزنا الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي فسنرى أنّ التجربة التي مارستها الأنظمة الديمقراطية التقليدية منذ انبثاقها وحتى الآن وما أسفر عن ذلك من حروب وحركات استعمارية وانتهاك لحقوق الشعوب الأخرى وعدوان على الحريات الإنسانية، والتي حولت العولمة إلى أمركة صارخة، هذه التجربة لايمكنها خلق أيّة أرضية للأمن والسلام العالمي.

٤. القبول بالواقع القائم على ما هو عليه، وقيام منظمة دولية على غرار منظمة الأمم المتحدة، تأخذ على عاتقها تنظيم العلاقات بين الدول والشعوب، وإصدار بيانات ومقررات وبروتوكولات عالمية ملزمة، بهدف ضمان السلام العالمي، ومن ثم السهر على استمراره من خلال مختلف الآليات. ومن هذه الآليات، أنّها منحت كل الدول ـ على اختلاف عدد سكانها وحجم مساحتها قوتها ـ مقعداً واحداً وصوتاً واحداً في الجمعية العامة. بينما منحت مجموعة من القوى العظمى حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي، والذي شكلته هذه الأطروحة لحفظ الأمن العالمي وضمانه! وهذه الأطروحة ـ هي الأخرى ـ مليئة بالسلبيات، وأبرزها آلية ضمان حفظ الأمن نفسها، والتي أعطت من خلالها للدول الكبرى حق النقض في مجلس الأمن، وهي دول تسعى لتحقيق مصالحها على حساب الدول الأخرى. اضافة إلى أنّ هذه الأطروحة لم توجد أيّة آلية لإلزام الدول بقوانينها، وبذلك يمكن لأية دولة أن لاتنضم للمعاهدة أو البروتوكول الذي لاتجده منسجماً مع أهدافها ورؤاها. وإذا ما وجدت قوانين عقوبات دولية رادعة ـ وهي نادرة ـ فإنّ القوى الكبرى هي التي تنفذها وفقاً لما تمليه عليه مصالحها وليس وفقاً لمصلحة الأمن العالمي. وبذلك فإنّ

السلام العالمي في هذه الأطروحة يُنظر إليه من خلال مصالح القوى العظمى فقط، فهو -إذن - سلامٌ ضد السلام.

٥. الدولة العالمية الواحدة، القائمة على أساس التوحيد الإلهي، والقسط والعدل، والشورى، والقيادة الإنسانية الرشيدة، والنظام الإنساني الذي يقر حرية الإنسان وحقوقه في مضامينهما وأشكالهما التكاملية الطبيعية. هذه الأطروحة تتمتع بكل نقاط القوة التي تجعل منها الضامن الوحيد للسلام العالمي، فضلاً عن أنّها لاتحتوي على نقاط الضعف الموجودة في الأطروحات الأخرى التي استعرضناها. إلّا أنّ هذه الأطروحة - برغم واقعيتها ووجود الإمكانية - الكاملة لتحقيقها - تواجه عقبات كأداء، وتحتاج إلى تضحيات جسيمة، ولكنها تبقى الخيار الوحيد للبشرية. ومن هنا نرى ضرورة الاتجاه نحو المبادئ التي تدعو لها هذه الأطروحة، واكتشاف المبدأ الأصلح الذي ينسجم مع أُسسها ومعالمها وروحها، ثم التعرف إلى الأمة التي تحمل هذا المبدأ، والعمل على تأصيل خصائص هذه الأمة والانطلاق - بعد ذلك لنشر حالة الإيمان بهذه الأطروحة بين أبناء البشرية. ولكي لانتهم بأنّنا نجنح إلى الخيال في عرضنا لهذه الأطروحة، فإنّنا نؤكد على ان هذه الأطروحة هي الخيار الذي يطرحه الإسلام نفسه لانقاذ البشرية ونجاتها من الظلم والجور ونشر القسط والعدل والسلام في ربوع الأرض. وينبغي أن نلاحظ حقيقة مهمة، وهي أنّ مثل هذه الدولة العالمية لاتوجب -بالضرورة - أن يكون أبناؤها على دين واحد ومذهب واحد، وإن كانت الوحدة في هذا الجانب من مقومات الترابط الكامل بين المجتمع العالمي الذي تستوعبه هذه الدولة، إلّا أنّ ذلك ليس شرطاً ضرورياً لقيام هذه الدولة.

ونحن نعتقد بأنّ البشرية ستسير باتجاه تحقيق هذا الهدف - عاجلاً أم آجلاً - إذ أرادت لنفسها أن تضمن مسيرة متوازنة واحدة متكاملة تحقق أهداف الإنسان، وتضمن تناسباً بين الثروة الموجودة في الطبيعة وسرعة التكاثر الإنساني واحتياجات الأجيال الجديدة، وتضمن سلاماً عالمياً يغني العالم عن الحروب والنزاعات التي لا طائل من ورائها غير إفناء الإنسانية وإهدار ثرواتها، وتضمن - أخيراً - الحقوق والحريات للإنسان بصورة حقيقية، وفقاً للموازين المعنوية العادلة التي تخدم تقارب البشرية عموماً وبالتالي فإنّ هذا

التصور هو طموح نسعى إليه ويجب أن نعمل للتمهيد له[١].

حكومة السلام العالمية والتمهيد لها

إنّ حكومة السلام العالمية هي حقيقة انسانية، كما هي حقيقية دينية وإسلامية؛ فالبشرية على مختلف معتقداتها وايديئولوجياتها تراهن على الزمن الذي تقوم فيه حكومة العدل العالمية، وهو رهان يستند على قاعدة الوعود التي تحتويها الفلسفات والأديان، والمتمثلة بحتمية استتباب السلام في أرجاء العالم في ظل حكومة تربط عدالة الأرض بتعاليم السماء. وهذه الوعود لاتقتصر على الإسلام فحسب برغم أنّ الإسلام يعطيها شكلاً ومضموناً عقائدياً في غاية الوضوح، ويتحدث عنها كحقيقة تربط بين ماضي الإنسانية وحاضرها ومستقبلها، ويطلق على هذه الحقيقة اسم حكومة المهدي المنتظر، التي ستعم العالم أجمع، وتنشر العدل والقسط والسلام فيه وتقضي على كل ألوان الظلم والجور والعدوان. ومن هنا فقضية المهدي ترتبط بمصير الإنسانية جمعاء أو مصير الأرض برمتها، وحري بجميع سكان الأرض أن يجعلوها مادة للحوار فيما بينهم ونحن كمسلمين مكلفون بالتمهيد لعصر ظهور هذه الحكومة، وهو ما أطلقت عليه الأدبيات الإسلامية مصطلح «الموطِّئون»[٢].

ونطرح هنا مجموعة من المقدمات التي ينبغي لهؤلاء «الموطئين» توفيرها في إطار عملية التمهيد لتحقيق الحتمية الموعودة:

١. اعادة القيم المعنوية التي تدفع الإنسان باتجاه التخلص من معايير القيم المادية الأرضية، والتمسك بالقيم الروحية السامية، وهي مهمة تقع على عاتق كل الأديان والمعتقدات الروحية والإنسانية الصافية.

٢. تركيز حالة الحوار بين الأديان، دون أن تقتصر محاوره على القضايا اللاهوتية، بل تتعداه إلى التعاون في جميع قضايا الإنسان، ومحاولة تلبية حاجاته المادية والروحية.

---

١) انظر: للكاتب نفسه، الإسلام والأمة والسلام العالمي، بحث القاه في مؤتمر عقد في عام ١٩٨٨ بمدينة لاهاي بهولندا.

٢) انظر: للكاتب نفسه، مقدمة كتاب (بحث حول المهدي) للامام الشهيد محمد باقر الصدر.

٣. معالجة المشاكل الاجتماعية معالجة عصرية وافية، من خلال دراستها بعمق ودقة وموضوعية.

٤. العمل الجاد على تطبيق مبادئ حقوق الإنسان وتوسيعها ورفع ما يشوب نظريتها من نقاط ضعف واستغلال، ومنها إمكانية الاستغلال السياسي والازدواجية بين النظرية والتطبيق وسياسة الكيل بمكالين.

٥. إشاعة مفهوم الحكومات القائمة بصورة حقيقية على إرادة الشعوب، والتي تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه.

٦. الدفاع عن الثقافة العالمية القائمة على الفطرة الإنسانية، أي الثقافة التي تنسجم مع فطرة سكان الأرض وتمثل المساحة الإنسانية المشتركة فيما بينهما، وفي الوقت نفسه تحترم الخصوصيات الثقافية للشعوب. وهذا يعني رفض ما يعرف بالعولمة بكل ألوانها ولاسيما العولمة الثقافية التي تقوم على أساس هيمنة ثقافة المتفوقين سياسياً وعسكرياً وإعلامياً واقتصادياً، أو التي تضمن مصالح القوى العظمى بذريعة عولمة الثقافة.

٧. إشاعة روح التسامح الديني والثقافي بين أتباع مختلف الأديان المعتقدات مع الاحتفاظ بالقيم الفطرية، وهذا لايعني توزيع الحقيقة بنسب متوازنة على الجميع بالصورة التي تقول بها فرضية التعددية بمناهجها الغربية، بل يعني السماح للرأي الآخر، والقبول به كرأي مختلف، والتحاور معه، للوصول إلى مساحات وقناعات مشتركة.

٨. تقوية بنية العائلة وتركيز قيم التعاضد والتكافل والتعاون فيها، باعتبار العائلة اللبنة الأساسية للمجتمع الإنساني.

عالمية الإسلام وطموح تحقيق الأمن والسلام

لاشك أنّ الإسلام يحمل في داخله القابلية المطلقة على تحقيق كل طموحات الإنسان في حكومة الأمن والعدل التي تنشر السلام في كل الأرض، يعلن الإسلام عن هذه القابلية ويقيم الأدلّة على صحتها. فالإسلام ـ ابتداءً ـ هو دين عالمي ورسالته موجهة لكل البشرية، فهو ـ إذن ـ الصيغة التي يريدها الله تعالى للبشرية: ﴿يا أيها الناس إنّي رسول الله اليكم

جميعاً﴾ [١]. ﴿و ما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾.[٢] كما أنّه الصيغة التي تنسجم مع الفطرة بكل أبعادها وقيمها: ﴿فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم﴾ [٣]. وهو دين التكامل والحياة الحقة: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [٤]. والإسلام أيضاً هو الدين الذي يدعو إلى تشكيل دولة عالمية تقوم على أساس التوحيد، وتسعى لبناء القسط، ونشر العدل، وتحقيق مبدأ الشورى في شتّى نواحي الإدارة ونظم الحياة، ويضع نظاماً لقيادة عادلة رشيدة، ويعترف بالحرية الإنسانية الفكرية والشخصية والسياسية والاقتصادية، ولكن في اطر عادلة حكيمة تضمن بقاء الحرية دعماً لمسيرة التكامل، بدلاً من تحولها إلى معول يهدم أركان هذه المسيرة، كما تضمن حقوق الإنسان كأروع ما يكون الضمان بعيداً عن الادعاءات الفارغة والتناقضات التي وقع بها «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، بالرغم مما فيه من جوانب إيجابية. ومن تلك الحقوق حق أتباع الأديان الأخرى التي تعيش في كنفه وتنعم بما يضمنه لها من قوانين تجعلها تحيى حياة ملؤها الأمان والرقي.

كما أنّ الإسلام ـ بعد أن ينفي كل معايير التمايز المادية، من قبيل التمايز العرقي، واللوني، والمالي، والجغرافي، والمقامي وغير ذلك، يقيم بناءه الاجتماعي على أساس معايير الالتزام المبدئي، والعلم، والخدمة التضحوية في سبيل الإنسان ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والّذين لايعلمون﴾ [٥]. ﴿إن أكرمكم عندَالله أتقاكم﴾ [٦]. هذا في حين يركز على المحرومين والمستضعفين من الناس ويعمل على إنصافهم من ظالميهم المستكبرين، ويقاتل في سبيلهم حتى يستنقذ حقوقهم.

وبالنسبة للسلام والأمن في العالم، نجد الإسلام ـ بمقتضى انسجامه مع الفطرة ـ يعتبر «الأمن» من نِعم الله الكبرى على الإنسان: ﴿فليعبدوا رَبَّ هذا البيت * الذى أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ﴾ [٧]. ويعتبر الأمن العبادي من أرقى حالات الإنسانية التي وعد

---

١) الأعراف، ١٥٨.
٢) سبأ، ٢٨.
٣) الروم، ٣٠.
٤) الأنفال، ٢٤.
٥) الزمر، ٩.
٦) النساء، ٩٥.
٧) قريش، ٣ و ٤.

المؤمنون بها عبر التاريخ: ﴿ وعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولُيمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليُبدّلنهم من بعدِ خوفهم أمناً يَعبدوننى لايُشركون بى شيئاً ﴾ [١] ولكي يوفر لكل المؤمنين في الأرض ميداناً حُراً يلتقون فيه في ظل ولاية الله تعالى وفي ظل رحمته ويقولون فيه كلمتهم الحقة، فقد جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً: ﴿ و إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتّخذوا من مقام إبراهيم مُصلّى ﴾ [٢].

فالأمان هبة الله للبشرية ـ يجب أن يتوفر لها بشكل دائم، اللهم إلّا أن يعمل بعضهم على محاربة دين الأمان والوقوف في وجه التكامل الإنساني وتهديم المسيرة المتوازنة، وحينئذ فلا معنى للأمان، مع ذلك نجد الإسلام يدعو الدولة الإسلامية إلى الجنوح للسلام ان بدت مثل هذه الرغبة من الطرف الآخر فقال: ﴿ و ان جَنحوا لِلسَّلم فاجنح لها وتوكل على اللّه ﴾ [٣]. ولكي لايتحول الاختلاف العقائدي إلى صدام دموي عنيف يدعو الإسلام مخالفيه إلى كلمة سواء بينه وبينهم، فيقول: ﴿ قل يا أهلَ الكِتاب تَعالَوا إلى كلمة سواءٍ بَيننا وبينكُم إلّا نَعبُدَ إلّا الله لا نُشركَ به شيئاً ولايتَّخِذ بَعضُنا بَعضاً أرباباً من دونِ الله فإن تَولَّوْا فَقولوا أشهدوا بأنا مُسلمون ﴾ [٤] كما يربي الإنسان المسلم دائماً على الدفع بالتي هي أحسن لنفي العداوة والبغضاء. إلّا أنّنا نؤكد أنّ هذا كله إنّما يتم مع أولئك الراغبين في السلام. أما المحاربون لله ورسوله ونظامه والساعون للفساد في الأرض من المستكبرين فليس لأحد أن يهادنهم ويسالمهم في مسعاهم الهدام.

الأمة الإسلامية والمسؤولية تجاه السلام العالمي

إنّ الأمة الإسلامية بطبيعة الحال ـ هي حاملة رسالة الإسلام، والأجدر بالسعي الحثيث لتنفيذ توجهات الإسلام الإنسانية على الصعيد العالمي. الإسلام يصف هذه الأمة بأنّها خير أمة: ﴿ كُنتُم خَيرَ أمةٍ أخرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [٥]

---

١) التوبة، ٥٥.
٢) البقرة، ١٢٥.
٣) الأنفال، ٩.
٤) آل عمران، ٦٤.
٥) آل عمران، ١١٠.

وهل هناك شيء أقرب للنفوس السليمة من السلام والأمن القائم على أسس رصينة؟

إنّ الإسلام يعطي مفهوم الأمة مساحة إنسانية واسعة تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية عندما يخاطب مجموع الأمم الموحدة بقوله: ﴿إنَّ هذه أمّتكُم أمَّةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون﴾[١] وعندما يجعل كل الأنبياء في مسار واحد لتحقيق هدف واحد: ﴿ولقد بعثنا في كُلِّ أمةٍ رَسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[٢] ﴿و لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[٣]. وهو يحملها المسؤولية العالمية في شتّى المجالات عندما يجعلها الأمة الشاهدة على الناس، وهو مفهوم حضاري واسع: ﴿وكذلك جعلناكُم أمةً وسطاً لِتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٤].

ونعرف هذا المضمون الحضاري من التقابل بين شهادة الرسول على الأمة وشهادة الأمة على الناس باعتبارها شهادة النموذج والمعيار على كل السلوكات الأحرى، وعلى هذا الغرار تأتي الأوصاف الأخرى من قبيل الأمة الخليفة، والأمة القائمة بالقسط وغير ذلك.

وعليه، فمسؤولية الأمة الإسلامية كبيرة تجاه السلام بمعناه الحقيقي هي كمسؤوليتها تجاه توفير الأجواء المناسبة لمجموع البشرية لتتجلّى طاقاتها البشرية في مجال عبادة الله ونفي مظاهر الطاغوت ـ و هو المرض الخطير الذي يعمي الفطرة ـ، وبالتالي السير لإعمار الأرض وتكوين المجتمع العالمى الذي يعبدالله آمناً لايشرك به شيئاً: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يَعبُدونَنى لايُشركونَ بى شيئاً﴾[٥].

وعندما نتصور المسؤولية يتبادر إلى الذهن تصور الشروط الطبيعية التي يجب أن تتوفر أوّلاً حتى يمكن القيام بالمسؤولية الجسيمة، والتناسب بينها وبين شروطها أمر طبيعي. وما نتصوره من شروط يتلخص في مايلي:

١. وعي الأمة الإسلامية ـ بكل تأكيد ـ لإسلامها بأسسه العقائدية مفاهيمه ونظمه

---

١) الأنبياء، ٩٢.
٢) النحل، ٣٦.
٣) الحديد، ٢٥.
٤) البقرة، ١٤٣.
٥) النور، ٥٥.

التي تمتد إلى كل مجالات الحياة.

٢. سعيها الحثيث لتطبيق التعاليم الإسلامية وتجسيدها في حركتها الاجتماعية، وتحكيم النظم الإسلامية سياسياً وفردياً.

٣. وجود سعي حثيث أيضاً لبناء الذات المسلمة بناء أخلاقياً يضمن لها الرقي المعنوي والتكامل النفسي كما يغذيها بكل عناصر تغليب المصلحة الاجتماعية على المصلحة الفردية الضيّقة وذلك عبر اليقين بسعة الحياة إلى حد الخلود وتركيز الحب الإلهي في النفوس بشكل يسمو بالإنسان على أنماط التعلق الشديد بالدنيا، وهي أخوف ما يخاف على الإنسان المسلم الواعي.

إنّنا نؤكد على ضرورة توفّر عنصر البناء الروحي باعتباره الممون الرئيس للإنسان بعناصر الصبر والتضحية في سبيل المبدأ وتجاوز العقبات الكبرى: ﴿فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فَكُّ رَقَبَةٍ * أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبةٍ * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة * ثُمَّ كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة﴾[1].

٤. على أنّ البناء الأخلاقي يجب أن يصاحبه بناء نفسي ثوري عاطفي حار، يدفع المسلم للتحرق الدائم لإسلامه ولقرآنه وقوانينهما والجهاد لتطبيق هذه التعاليم والتفاعل العاطفي مع كل الحوادث التي تلم بالرسالة وبالأمة، لايقف منها، موقف اللامبالاة والرهبنة والانعزال عن التيار العام. فيجب أن تورقه كل ضربة توجه للمستضعفين في الأرض، ويجب أن تؤلمه كل خطوة ظالمة يخطوها المستكبرون الظالمون، ويجب أن لايقرله قرار عندما ينتهك حكم من أحكام اللّه، أو يسلب منصب إسلامي من قبل المتسلطين، أو تهدر ثروة إسلامية في سبيل تحقيق الأهداف المحرمة، أو تنهب أرض أو يقتل شعب، أو تنتهك حقوق المسلمين. ونحن نعتقد ان فقدان مثل هذه الروح الثورية يعني فقدان خصيصة حركية ضخمة قد تؤدي إلى موت الأمة أو قعودها عن واجباتها التاريخية.

٥. حصول التقدم العلمي والحضاري المطلوب، فلاتستطيع أمة أن تدعي لنفسها أنّها الطليعية في حين تسبقها الأمم الأخرى في المضمار العلمي والتقني والتطبيقي والإداري، وفي مجال إدارة دفة السياسة الخارجية، ووعي الأحداث العالمية، واتخاذ

---

١) البلد، ١١ ـ ١٧.

المواقف المناسبة منها.

٦. الوحدة الإسلامية هي أهم عامل يجب توفره في الأمة الإسلامية، وبدونها لن تستطيع الأمة أن تحقق أياً من أهدافها الحضارية، بل ستبقى لقمة سائغة بيد أعدائها. وقد وضع الإسلام خطة واسعة الأبعاد لتحقيق هذه الوحدة الإسلامية بأمتن ما يمكن، وأهم هذه الأبعاد:

أ. إنّ الإسلام وضع تصوراً كونياً موحداً وركّزه في أذهان المسلمين ليشعروا بوحدة الكون وترابطه في إطار التوحيد الإلهي الخاص.

ب. إنّه أقام العلاقة بين حلقات التاريخ الإنساني على أسس واحدة.

ج. إنّه وحّد المنطلقات الإنسانية والأهداف والسبل بين المنطلقات والأهداف.

د. إنّه أقام دوائر متداخلة من العلاقات الاجتماعية التي تعمل كلها على تحقيق الغرض.

هـ إنّه ركّز نوعاً رائعاً من الترابط في المشاعر والمقاييس الموحدة.

و. قامت النظم الإسلامية المختلفة بعملية تقوية الأواصر الإسلامية في شتى المجالات العبادية والاجتماعية والحقوقية والاقتصادية وغيرها بما لايتسع المجال له هنا.

وأخيراً... فإن مجمل هذا التصورات نضعها بين أيدي دعاة الحوار بين الحضارات للتأمل فيها وتدارسها: بغية الوصول إلى مساحات مشتركة تقف عليها البشرية، وتحقق من خلالها الأمن والسلام في العالم.

قيم الحوار والتعايش

في

الرؤية الثقافية الإسلامية[1]

الرؤية الثقافية الإسلامية رؤية هادفة، تنطلق من مرجعية مقدسة للحياة الإسلامية تعطيها شكلها ومضمونها المتميزين. وتستبطن هذه الرؤية مجمل أسس عملية التغيير الاجتماعي الشامل؛ فهي الإطار الذي يجمع في داخله مختلف مجالات التغيير. ومهما اختلف علماء الاجتماع والنفس والانثربولوجيا والإعلام في تحديد مفهوم الثقافة أو الرؤية الثقافية، فإنّهم يتفقون على دورها الأساسي في رسم تفاصيل حياة المجتمع والفرد وتحديد أنماطها، أي أنّها بكلمة أخرى: العنصر المركب الذي يحدد الأفكار والسلوك والظواهر الاجتماعية. ويعدّها الأمام الخميني «المصنع الذي يصنع الإنسان» و«طريق إصلاح المجتمع»[2] أو أنّها ـ كما يقول المرحوم مالك بن نبي ـ الدستور الذي تتطلبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي[3].

---

١) قدم إلى مؤتمر «التنمية الثقافية في العالم الإسلامي وتحديات المستقبل»، بتاريخ ٦/٥/٢٠٠٠، في الرياض السعودية والذي نقل بعد ذلك من قبل الإيسيكو إلى برلين في ألمانيا.

٢) «النظرات الثقافية للإمام الخميني»، إعداد: كبرا اسدی.

٣) «شروط النهضة»، ص ١٣٠.

وهنا يأتي الحوار ليعطي للاختلاف بعداً إنسانياً يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح له بالتحول إلى طاقة تدميرية، بل أنّ الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف ويرفع من مستوى إيجابياته ليكون الاختلاف في هذا الإطار رحمةً وخيراً، ودافعاً للإصلاح والمراجعة المستمرة. وهذا البعد يمنح الحوار مضموناً مصيرياً وموقعاً استراتيجياً في استمرار الحياة بطعمها المستقر، وإبقاء الجنس البشري بمستوى ما حباه الله من عقل وقدرة على التفكير والاختيار.

إنّ الحوار أداة للكشف عن الحقائق والأشياء الخفيّة، ومن خلاله تتم الإجابة على كثير من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذهن، أو تزيد من القناعات الذاتية، كما يمكن من خلاله كشف الباطل ودحضه وكشف مؤثرات ودلائل بطلانه.

وبشكل مجمل فإنّ الحوار ينضج الأفكار والقرارات: ففي الجانب الفكري والثقافي مثلاً ـ ينمي الحوار الأفكار ويعمقها، ويشذّبها مما يعلق بها من انحراف أو جمود أو شوائب، ويحرك العقل باتجاه الإبداع والتجديد والتحرر، في الحدود التي تفرضها مرجعية الاختلاف. وفي الجانب السياسي الاجتماعي، يلعب الحوار الدور نفسه في تنضيج القرار الاجتماعي والسياسي وإشعار الآخرين بالمسؤولية وأهمية الموقع الذي يحتلونه، بل أنّ بعض الأنماط تعد في دائرة المسلمين لوناً من ألوان الشورى.

وبالتالي فالحوار في الإسلام يعبر عن قيمة حضارية؛ لأنّه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة. فقد انتشر الإسلام بالحوار والوعظ والمحاجة والقول الحكيم، والذي أوصله إلى اقاصي الدنيا، ولا سيما افريقيا وشرق آسيا وامريكا، هو الحوار. هذه البلدان التي يقطنها اليوم مئات الملايين من الناس، دخلت الإسلام بالحوار، فالإسلام هو دين الحجة ودحض الباطل بأسلوب الحكمة ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[1] ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ الحوار ليس الاستراتيجية الوحيدة في نشر الدين والدعوة والتبليغ، رغم أنّه استراتيجية أساسية، ورغم أنّه موقف يتخذه المسلم أساساً في الحركة، إلّا أنّ الاستراتيجية تتغيّر وفق موقف الطرف الآخر.

---

١) النحل، ١٢٥.

مجالات الحوار

تتنوع مجالات الحوار الإسلامي بتنوع أطرافها ووسائلها وموضوعاتها ولهذا التنوع أكثر من معيار للقيم فعلىٰ أساس معيار أطراف الحوار، يمكن تقسيمه إلىٰ:

- حوار بين الأفراد (عامة الناس، أو النخب، علماء دين ومفكرين أكاديميين ومثقفين وغيرهم)؛
- حوار بين الشعوب؛
- حوار بين الجماعات؛
- حوار بين المذاهب؛
- حوار بين الحكومات (ثنائي أو في إطار المنظمات والمؤسسات)؛
- حوار مع الأديان الأخرىٰ؛
- حوار مع المدنيات والحضارات الأخرىٰ.

كما ينقسم علىٰ أساس معيار الوسائل إلى:

- حوار مباشر، يتم بين أطرافه بحضور عامة الناس أو عبر وسائل الاعلام (التلفزيون، الإذاعة... الخ)، وهو الحوار المباشر المفتوح الذي يصطلح عليه عادة بـ«المناظرة»، أمّا الحوار المباشر المغلق، فهو الذي يجرى بعيداً عن الآخرين، ويقتصر علىٰ المتحاورين وبعض المراقبين.
- حوار غير مباشر، عبر الصحافة أو الرسائل (أو المراسلات) أو عبر طرف ثالث.

وعلى أساس معيار المادة أو الموضوع، ينقسم الحوار إلى:

- علمى (فقهي، عقائدي، أو مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية الاجتماعية أو البحتة والتطبيقية)؛
- سياسى (ما يرتبط بالشأن السياسي العملي أو النظري)؛
- فكري؛
- ثقافي؛
- اجتماعي؛

وغيرها.

ومن خلال استعراض هذا التنوع في الحوار، نريد القول أن لكل منهما أساليبه الفنية

وآدابه وقواعده ومنهجه، وبالتالي فإنّ القيم العلمية والأسلوبية تختلف إلى حدٍ ما بينها. ولكن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية تبقىٰ قاعدة مشتركة لها جميعاً. وقد ركّزت المرجعية الإسلامية من خلال النصوص علىٰ هذه القيم، وفصّلها وشرحها الفقهاء وعلماء الكلام والأخلاق، كل من زاويته ومدخله العلمي. ومع التطور الهائل والتغييرات المتسارعة في أنماط الحياة وأساليب الحوار والتخاطب، دخلت معادلات قيمية جديدة في صياغاتها، وليست جديدة في أصولها، وهي مما ينبغي اكتشافه والتعرف عليه و أسلمته.

عناصر الحوار

يمكن تقسيم أهم عناصر الحوار إلى: الأطراف، الموضوع، الأهداف، الإدارة والتحكيم، الزمان، المكان، المنهج، الأسلوب، النتائج.

ومن خلال استعراض هذه العناصر بشيء من التفصيل نأتي علىٰ البعد القيمي الإسلامي حيال كل منها، بالصورة التي تحقق غايات الحوار، كالغاية الفنية المتمثلة بتقنين حالة الاختلاف والتركيز علىٰ إيجابياتها وتفتيت سلبياتها ـ كما ذكرت.

١. **اطراف الحوار**: ينبغي توفر مجموعة من المؤهلات في شخصية المتحاورين، علىٰ الصعد الذاتية والموضوعية، تكفل لنجاح الحوار مدخله الأساسي. ومن أهم هذه المؤهلات:

أ. التساوي في الرغبة والتكافؤ في حرية الطرح، فلابد أن لا يكون أحد أطراف الحوار مقحماً أو مجبراً علىٰ الحوار أو مضطراً له تحت ضغوط التهديد، بأنواعه: الاجتماعي، السياسي، بالسجن أو الموت أو الطرد أو تلبيس التهم، أو تحت ضغوط الحياة والاغراء. فمثل هذاالحوار مهما كانت نتائجه، ليست له قيمة علمية أو دينية أو أخلاقية؛ لأنّه يفتقر إلى أبسط أسس الحوار الحقيقي وآدابه؛ لأنّ أطراف الحوار هنا لن تكون متكافئة في القدرة والحرية، فبعضها يحاور من موقع القوة والاقتدار والاستكبار والآخر من موقع الضعف الاضطهاد؛ فهناك ـ إذن ـ فرق كبير بين الحوار (الثقافي والفكري والسياسي) بين أطراف متكافئة، والحوار بين الغازي (العسكري والثقافي والسياسي) المنهزم أو المدافع، والحوار الثقافي والحضاري الحقيقي مثلاً يدور في إطار الاحتكاك أو التبادل الثقافي، في حين أنّ الحوار في إطار الغزو ليس له أي معنىً؛ فالغازي الثقافي يسلب من الحوار كل إيجابياته،

ويمكن أن يجرى الحوار حتى خلال المعارك العسكرية، فضلاً عن المعارك الفكرية والسياسية، بهدف إلقاء الحجة علىٰ الخصم، شرط ضمان عنصر التكافؤ في حرية الرأى، وإلّا يكون حواراً من طرف واحد. وفي السيرة والتاريخ الإسلامي نماذج فذة من مواقف الحوار أثناء الحرب لإقناع الخصم ومحاججته في محاولة لتجنب ويلات الحرب وليكفى المسلمون شرها.

ب. التسلح بالعلم والمعرفة في موضوع الحوار، فهو أساسي لدخول الحوار وكسبه موضوعياً: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فى ما لكم به علم فلم تحاجّون فى ما ليس لكم به علم﴾؛[1] فالحوار الحقيقي ينبغي أن توضع له مقدمات موضوعية ويسير وفق أسس علمية ولا يتحقق هذا الجانب دون تخصص المتحاورين في موضوع الحوار واحاطتهم الكافية بحقائقه. ويضرب الله تعالىٰ مثلاً في من يحاور في أمر وجود الله ووحدانيته وهو لا يفقه شيئاً في هذا المجال ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدىٰ ولا كتاب منير﴾[2] وحتىٰ لو كان الحق مع الطرف الضعيف علمياً؛ فإنّ هذا الحق سيضيع بين ثنايا الجهل، وقد تترتب عليه آثار سلبية تؤدى إلى ظهور الباطل بمظهر المنتصر، ممّا يتسبب في تزييف الحقيقة وانحراف وجهات نظر عامة الناس. وإذا كان الهدف من الحوار تحقيق فائدة علمية، فينبغى كذلك أن تكون الأطراف ضليعة في مجال موضوع الحوار. وهنا يشترط الإمام الغزالي على طرف الحوار «أن يناظر مع من هو مستقلٌ بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحق»[3].

ج. التحلى بسلوكية لائقة، فالغضب والتشنج والتهريج والحقد والرياء والفرح بمساندة الطرف الآخر والاستكبار عن الحق، ستنزع من الحوار أيّة قيمة وتدخله في دائرة المنازعات والصراع، في حين سترفع الصفات المعاكسة كالهدوء والتروي وضبط النفس واللين والمرونة وعموماً التوازن في المشاعر، سترفع من مستوىٰ الحوار إلى دائرة النجاح والتأثير وتحقيق أفضل النتائج.

وهنا يبين الله تعالىٰ لرسوله الكريم قاعدة عامة في التحاور مع الآخرين، تقف على

---

١) آل عمران، ٦٦. ٢) الحج، ٨.

٣) الفيض الكاشاني، «المحجة البيضاء في شرح احياء الدين»، للغزالي، ج١، ص١٠١.

أساس اللين والمرونة والتسامح: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾[1]. فالله تعالىٰ يأمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتشاور مع من قد أساءوا إليه، بعد أن يعفو عنهم ويستغفر لهم كما أمر من قبل موسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنّه طغىٰ * فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكر أو يخشىٰ﴾[2] ونقل المفضّل ـ أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ حادثة تحمل دلالة قيمية مشرقة في هذا المجال: فخلال تحاوره مع أحد الزنادقة، تشنج الموقف وغضب المفضل عليه، فقال له الزنديق: إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدىٰ في جوابنا، وأنّه الحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننّا أنّا قطعناه وغلبناه، دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة و يقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً فإن كنت من أصحابه فخاطبنا مثل خطابه»[3].

٢. **موضوع الحوار**: ينبغي قبل بدء الحوار تحديد نقاط الإبهام والاختلاف، والمادة التي يتعين التحاور فيها ليكون الموضوع واضحاً ومحدداً، فالحوار قد ينحرف باتجاهات أخرىٰ ويكون مضيعة للوقت إذا تبيّن لأطرف الحوار أنّهم كانوا يتحاورون في موضوعين أو موضوعات مختلفة. وهذا العنصر أطلق عليه العلماء القدامي اصطلاح «تحرير محل النزاع» وقالوا بضرورة تشخيص أبعاد النزاع ليكون الاستدلال منتجاً وعدّوه شرطاً منطقياً لا حاجة للاستدلال عليه[4] ويفترض هنا لحاظ جميع الجوانب ذات العلاقة بالموضوع؛ فهناك جوانب مهمة قد لا تلحظ، ولكنها تترك أثرها على النتائج.

٣. **أهداف الحوار**: تكمن قيمة الحوار في هدفيته، والمتمثلة في اكتشاف الحقيقة والتعرف عليها وبلورة شكلها ومضمونها، على اعتباران «الحكمة ضالة المؤمن». وهذا

---

١) آل عمران، ١٥٨. ٢) طه، ٤٢ و ٤٤.

٣) كتاب التوحيد للمفضل ـ انظر أيضاً ـ في مجال أدب المناظرة والحوار ـ ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته في كتاب الاحتجاج للطبرسي.

٤) انظر: الجويني، «الكافية»، ص ٥٤٠، والسعدى، «قاموس الشريعة»، ج٣، ص٦.

الهدف يعطي للتجرد والنزاهة والموضوعية في الحوار معنىً حقيقاً، بالصورة التي يطرحها القرآن الكريم: ﴿ وأنّا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين ﴾[١]. أمّا الحوار الذي لا يحمل هدفاً معيناً ولا يترك أثراً علمياً أو فكرياً، فهو عديم القيمة والفائدة. وتنطبق هذه القاعدة أيضاً على الحوارات التي تدور حول أمور افتراضية وخيالية ولا علاقة لها بالواقع[٢]. وتتنوع مناهج الحوار ـ كما سيأتي ـ بتنوع أهدافه، فهناك الحوار النقدي، الذي يتلخص في تقويم كل طرف لممارسات وأفكار الطرف الآخر بشكل نقد موجه. وللنقد من جانبه آداب وشروط، تبقيه في حدوده الشرعية والعقلانية، وتحافظ فيه على روح الانعتاق والتقويم الصحيح والمحاسبة الهادفة والنقد البنّاء. وهناك أيضاً المدارسة التي هي لون من ألوان الحوار، وهدفها يدور حول الموضوع فقط، ليست لها أهداف خاصة أو ذاتية، وبالتالي الوصول إلى نتائج متفق عليها، و لا توجد لدى أطرافها أحكام نهائية مسبقة. أمّا المحاججة فهو حوار الإقناع وإقامة الدليل، وهدفه تفنيد وجهات نظر الطرف الآخر ومحاولة استيعابه وجذبه وهدايته، أو إيصال رسالة إلى الآخرين وتنبيههم وتوعيتهم.

٤. **الإدارة والرقابة والتحكيم**: هذا العنصر الفني ضروري جداً لتحسين أداء الحوار وضمان تحقيق أهدافه وتنفيذ نتائجه. فالإدارة لا تدخل طرفاً في الحوار، بل تتلخص مهمتها في تنظيم الحوار وضبطه وتوفير الفرص المتكافئة للمتحاورين ومراقبة أساليبهم ومناهجهم، ثم التحكيم بينهم في حالات معينة. وتفرض هذه المهام شروطاً ومواصفات في عنصر الإدارة والرقابة والتحكيم أهمها: المقبولية لدى أطراف الحوار كافة، والحياد والموضوعية والتجرد، وحساب النتائج بدقة، وعدم تغليب طرف على حساب آخر، إلّا في حدود الحقيقة، وحتى لو كان لهذا الجهاز أو بعض أفراده خلفيات فكرية وسلوكية ورؤىً تتفق أو تختلف مع أحد الأطراف، ولكن ينبغي أن لايكون لها مدخلية في الإدارة والتحكيم.

٥. **مكان الحوار**: عدم وجود أي نوع من المؤثرات التي تنعكس سلباً على أحد الأطراف أو مجموعهم أو على المراقبين، هو ما ينبغي أن يكون عليه مكان الحوار. وقد

---

١) سبأ، ٢٤.

٢) يقول الغزالي بأن المناظرة لابد أن تدور حول «واقعة مهمة أو مسألة قريبة من الوقوع». انظر «المحجة البيضاء»، ج١ ص١٠٠.

يتمثل هذا المؤثر في أجواء استفزازية أو انفعالية أو صاخبة، أو مؤثرات ناتجة عن أجواء التهويل؛ فيكون المتحاورون منساقين حينها وراء تأثيرات العقل الجمعي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القرآن الكريم من أجواء الانفعال والا ستفزاز التي كان المشركون يخلقونها للتأثير على مسير الحوار الذي يقوم به الرسول صلى الله عليه وآله، ولاسيما بعد اتهامه ـ والعياذ بالله ـ بالجنون، وهنا يطلب القرآن من الرسول صلى الله عليه وآله أن يدعوهم إلى نبذ هذا التهويل والصخب، والتأمل في التهم التي وجهوها له بغية استئناف الحوار في إطار الموعظة الحسنة ولكن بعد أن يتفرقوا ويبعدوا عنهم هذا الجوّ المصطنع : ﴿ قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ﴾ [١]

ولا شك أنّ ذلك يترك أثره في خلق أجواء خاصة وتأثيرات نفسية هائلة علىٰ المتحاورين أو الحضور أو المراقبين.

٦. **زمان الحوار**: وهو عنصر مهم في اختيار الموضوعات والأهداف ينبغي في تحديد زمان الحوار مراعاة ظروف أطراف الحوار من النواحي الاجتماعية والنفسية والا ستعداد العلمي، وظروف انعكاس الحوار علىٰ الآخرين، وأهمية موضوع الحوار زمانياً؛ فربما يكون لموضوع بعينه أهمية خاصة في زمان ما، ثم تعدم هذه الأهمية في زمان آخر.

٧. **منهج الحوار**: وهو النظام الذي يسلكه الحوار وفقاً لمجموعة من القواعد العامة [٢]. ومن بديهيات الحوار العلمي أن يكون منهجه واضحاً ومرسوماً سلفاً. ويفترض بأطراف الحوار أن تكون متفقة على قواعده؛ لكي يكون ملزماً لها جميعاً، كما تذكر الآية الكريمة: ﴿ أتجادلونني في أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان ﴾ [٣]. فهذه الأسماء أراد المشركون أن يفرضوها جزءاً من منهج الحوار، ولكنّها لا يمكن أن تكون ملزمة لمن لا يؤمن بهذا الجزء من المنهج.

ونطرح هنا أهم معايير منهج الحوار العلمي في إطار الرؤية الثقافية الاسلامية.

أ. التعارف والتوعية والمقصود منه تعرف كل طرف علىٰ حدود معينة من حقائق الطرف المقابل ومعتقداته وآرائه، من مصادرها نفسها، وليس من مصادر غيره، ولا سيما

---

١) سبأ، ٤٦.

٢) انظر: الصحاح في اللغة (المعجم الوسيط)، مادة نهج.

٣) الأعراف، ٧١.

أعدائه، بهدف التمكن في الزامه بما ألزم به نفسه الاحتجاج عليه بمصادره نفسها. وكذلك مبادرة أطراف الحوار إلى التعريف بمعتقداتها ووجهات نظرها ويدخل في هذا الإطار مبدأ التوعية؛ فالإسلام دين التوعية والتربية، وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي إنسان يراد له أن ينظم إلى معسكره، وأى مجتمع يراد للإسلام أن ينفذ إلى عمقه.. انه يعرض جوهرته الثمينة؛ لأنه يعلم أن قيمتها ستنكشف بكل وضوح للجميع، ولذا فهو يرفض التقليد في العقيدة، ويرفض عملية الإكراه العقائدي، ويدعو اتباعه إلى أن يكونوا أقوياء في البصر والبصيرة ويأمر ـ في مجال التعامل مع الآخرين ـ بالدعوة الواضحة قبل كل شيء[1].

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين﴾[2]. ﴿قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[3]. وبالنسبة إلى الحوار مع غيرالمسلمين، فإنّ البداية تكون بحقائق الرسالة ومعالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، وفي إطار النقاش المنطقي السليم[4]. وتنقل كتب الحديث أنّ الرسول صلى الله عليه وآله حين بعث الإمام علي عليه السلام إلى اليمن قال له «يا علي لا تقاتلنّ أحداً حتىٰ تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدى الله عزوجل علىٰ يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت[5]».

ب. الوضوح: أي استخدام المنهج الصحيح بصورة واضحة دون لبسٍ أو تورية أو التواء، وعدم الخلط بين الحق والباطل، حتىٰ من أجل الوصول إلى الحق كغاية تبررها الوسيلة! يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تمزج الحق بالباطل، وقليل من الحق يكفي من كثير من الباطل». ومن أساليب الإبهام في الحوار كما يقول الإمام الجويني: الاحتيال علىٰ المحاور حتى يخرجه عن محل تساؤله، وتوجيه كلامه إلى وجوه محتملة[6]. إضافة إلى استخدام المغالطات والسفسطة في المنهج.

---

١) للكاتب نفسه، «الاسس المهمة في النظام الاسلامي»، ص ١٢٧.

٢) فصّلت، ٣٣. ٣) يوسف، ١٠٨.

٤) الشهيد السيد محمدباقر الصدر، «اقتصادنا»، ج١، ص٢٧٥.

٥) رواها الحر العاملي في «الوسائل»، ج١١ ص٣٠.

٦) الجويني، «الكافية»، ص٥٤٢ - ٥٤٩.

ج. الموضوعية: ومن أبرز عناصرها التجرد ونبذ التعصب والابتعاد عن القناعات السابقة والمواقف المبيتة والأحكام المعدة سلفاً خلال تنفيذ الحوار، حتى لو كانت أطراف الحوار على يقين مطلق بمعتقداتها ووجهات نظرها؛ فهذا التجرد يخلق جواً من الصدق في الوصول إلى الحقيقة كهدف نهائي للحوار، مهما كانت هذه الحقيقة، على النحو الذى يدعو فيه النبيﷺ الآخرين ﴿وإنا أو إياكم لعلىٰ هدىً أو في ضلال مبين﴾[١] وهذه الدعوة هي قمة التجرد والاستعداد لتقبل نتائج الحوار مهما كانت وأينما كانت، رغم اليقين المطلق للرسول الأعظمﷺ بصحة معتقداته. يقول الفيض الكاشاني في حديثه عن شروط الحوار: أن يقصدبها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق، لظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فإنّ ذلك مراء منهي بالنهي الأكيد.

ويضيف: «أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة، يكون شاكراً متىٰ وجدها، ولا يفرق بين أن تظهر على يده أو يدي غيره، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر الحق»[٢]. وهذا يعنى أنّ الموضوعية لا تلتقى مع هدف استعراض القابليات العلمية خلال الحوار، أو القدرة علىٰ امتلاك أدوات الجدل، أو التنكيل بالخصم. ومن شروط الموضوعية في منهج الحوار تقديم الدليل علىٰ الرأي والفكرة برهاناً علىٰ صحتها وصدقها: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[٣]. والشرط الآخر هو التقيد بالحقائق والأفكار التي يعتقدها الطرف الآخر، والاحتجاج بها، وفقاً لقاعدة «الزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، وعدم الاحتجاج بما يفهم المحاور من حقائق الآخر، أو الاعتماد علىٰ ما ينقله الخصوم والأعداء، وهذا الشرط هو تتمة لمعيار التعارف ـ كما ذكرنا.

د. اعتماد المشتركات: فلابد ـ ابتداءً ـ من اكتشاف الحقائق والمرتكزات المشتركة بين الطرفين؛ لتكون قاعدة رصينة يقف عليها المتحاورون، مقدمات واقعية ينطلقون منها للوصول إلى حقائق كلية: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[٤].

٨. **أسلوب الحوار**: ويقصد به آداب الحوار وسلوكيات المتحاورين، وقدّمنا في

---

١) سبأ، ٢٤.

٢) «المحجة البيضاء»، ج١، ص٩٩ – ١٠٠، و«احياء علوم الدين»، ج١، ص٤٣.

٣) البقرة، ١١١. ٤) آل عمران، ٦٤.

الحديث عن أطراف الحوار قسماً من المؤهلات السلوكية التي ينبغي أن يكون عليها أسلوب الحوار كاللين والمرونة وضبط النفس والتوازن في المشاعر وغيرها، إضافة إلى الانفتاح السلوكي المدروس على الطرف الآخر، واحترام مشاعره ومعتقداته، ومحاورته بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هى أحسن، فهذه الأساليب كافية لتترك في نفسه انطباعاً جيداً عن شخصية المحاور وطبيعة أهدافه ومعتقداته. أمّا الأساليب السلبية، كالتحريض وآثارة الفوضى والشغب، والتحامل والتشنج والتعصب الأعمى والتكبر، واستخدام أسلوب المغالطة، والانكماش والتهرب، والاستهزاء والسخرية، فهي مرفوضة في الحوار المنشود، وقد نهى الإسلام عن ذلك: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتى هى أحسن﴾[1]، فكيف بالحوار بين المسلمين أنفسهم! فقيمة الحوار في الرؤية الإسلامية لا تعرف المهاترات والسباب؛ لتسببها في انعكاسات سلبية حادة. يقول تعالى ﴿و لا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم﴾.[2] وتدخل هنا قيم سلبية أيضاً، كالاتهام والافتراء والتفسيق والتهديد بالإخراج عن الدين والرمي بالارتداد، دون تمحيص وبحث عقيدي وفقهي واف، فللارتداد والتكفير معايير وقواعد دقيقة جداً بحثها الفقه الإسلامي بعناية، بالصورة التي لا يكون فيها هضم لحق أحد وسلب لحقوقه الاجتماعية الإنسانية. فالتسرع في إطلاق الأحكام خلال الحوار، لتحقيق أجواء غير موضوعية، تتقاطع تماماً مع الرؤية الإسلامية، فضلاً عن أنّ هذه الأساليب ـ لا سيما التهديد بالعدوان وسلب الحقوق الاجتماعية والحكم المتسرِّع وغير المدروس بالردة والكفر ـ تؤدى إلى وضع عكسي، ونجد أنّها تسببت في بروز ردود فعل عنيفة ضد الدين، بالصورة التي حدثت حيال أساليب الكنيسة في التعامل مع الآخرين خلال عصور اوربا الوسطى، ثم أدت إلى ظهور ألوان فاقعة من الإلحاد والانحراف والعلمانية والسقوط والتطرف.

والإسلام يأمر بعدم مواصلة الحوار عند تجاوز الطرف الآخر حدود الحوار وآدابه كممارسة الاضطهاد والتهديد والافتراء والتهريج:﴿أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم﴾[3]، أو إصراره على عدم قبول الدليل والحجة والبرهان، رغم وضوحها

---

١) العنكبوت، ٤٦. ٢) الأنعام، ١٠٨.

٣) النساء، ٦٤.

وقاطعيتها: ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾[1]، حينما يدخل الحوار مرحلة العبث وتضييع الوقت، ويستحيل خلالها تحقيق فائدة بالصورة التي يصف فيها القرآن الكريم حوار رسول الله صلى الله عليه وآله مع الكافرين: ﴿إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾[2].

من جهة أخرى ينبغي اتفاق الأطراف على لغة حوار مشتركة[3]، وعلى مستوى علمي وفكري معين من اللغة؛ لكي يحصل التكافؤ في إيصال الرأي والرأي الآخر، كما في الحديث الشريف: «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم». والواقع أنّ الخطاب الإسلامي الجديد المتطور، ينبغي أن يسود لغة الحوار الإسلامي المعاصر؛ فلكل مرحلة خطابها ولكل مرحلة لغتها وأساليبها الفنية الناجحة في الحوار، على اعتبار أنّ هذا الجانب متجدد يدخل في إطار المتغيرات، شرط ان لا يخرج التجديد عن الثوابت الاسلوبية في الحوار الإسلامي، وهذا التجديد تعبير عن ديناميةالإسلام وقدرته المطلقة على استيعاب كل متطلبات الزمان والمكان وتلبية حاجاتهما.

٩. **نتائج الحوار**: وهي ما يترتب على الحوار بعد انتهائه من حقائق وأرقام جديدة تعلن عن تفوق أو انتصار أو براءة أحد أطراف الحوار، وتؤدي بالطرف الآخر إلى التحول في الرأي كلياً أو جزئياً أو تدفعه لمراجعة ذاتية لآرائه ومعتقداته التي تعرّضت للنقد والاهتزاز والهزيمة، وكذلك مراجعة أخرى لأساليبه ومنهجه وخطابه. وقد ينتهي الحوار بتراضي الطرفين وتفاهمهما أو تساويهما في النصر والهزيمة، أو إقدامهما على حالة وسط جديدة. والمهم هنا هو قبول كل أطراف الحوار بالنتائج مهما كانت، وعدم التعصب والاعتزاز بالخطأ. وبديهي أن يكون لجهاز الإدارة والتحكيم الدور الأساسي في حساب النتائج، بالوسائل الموضوعية التي سبقت الإشارة إليها.

---

١) هود، ٥٣. ٢) البقرة، ٦ و ٧.

٣) المراد هنا الجانب الفني في اللغة أو الخطاب، كاستخدام المصطلحات التخصصية، والمستوى العلمي في التعبير عن الرأي وأسلوب طرحه، والاستفادة من بعض المعارف والعلوم التخصصية، التي ربما يجهلها الطرف الآخر؛ فيكون الحوار حينها كحوار الطرشان ـ كما يعبرّون ـ

وقد يكون مفيداً هنا طرح تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال الحوار، فهذه التجربة دون شك غنية كماً ونوعاً ولعّل نجاح الجمهورية الإسلامية في دفع هيئة الأمم المتحدة لاقرار مشروعها بتسمية عام ٢٠٠١ م عاماً لحوار الحضارات، هو تعبير عن نضوج تجربة الحوار فيها، وبناءً على ذلك، تم تأسيس مركز علمي تخصصي في طهران يأخذ على عاتقه المساهمة في تنفيذ مشروع الحوار بين الحضارات. وسبق للجمهورية الإسلامية أن طرحت عدة مشاريع رائدة أخرى، تحولت بمرور الزمن إلى مؤسسات وأجهزة فاعلة، وفي مقدمتها مشروع الحوار بين المذاهب الإسلامية، الذي نشط منذ أوائل الثمانينات، ثم تبلور في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، و كذلك المؤتمر العالمي السنوي للفكر الإسلامي، ومشروع الحوار بين الأديان الذي يمتلك أمانة عامة دائمة تعقد ملتقيات ومؤتمرات دورية على مدار السنة. أمّا في الشأن الداخلي، فإنّ الحوار الدائم والمناظرات بين الجماعات السياسية الاتجاهات الفكرية والثقافية عبر وسائل الاعلام والصحافة أو في التجمعات والندوات، يكاد يكون المنشط الأساسي الذي يمّيز الساحة الإيرانية. ولعل آلية الحوار والنقد التي اقرتها الثورة الإسلامية منذ اليوم الأوّل، ساهمت كثيراً في كشف السلبيات، وفي النظرة إلى المشاكل والمعوقات نظرة موضوعية وواقعية. ولا زال الحوار والنقد البناء يعطيان لمناخ الثورة مرونة عالية في التعامل مع قضاياها؛ لتأتي المعالجات والحلول في إطار دراسات واعية تستوعب الرأي والرأي الآخر.

التعايش في الرؤية الإسلامية

في أجواء الاختلاف يكون التعايش على أساس التعددية التي يرتضيها الإسلام، هو الحل الكفيل بتجنب مشاكل الصراع والتضارب في الرؤى والأفكار والمعتقدات بشتّى ألوانها ولا يعنى التعايش القبول بنسق واحد من التفكيرالسلوك، وصهر الجميع في بوتقته، كما لا يعنى التنازل عن الحق أو توزيعه على المتعايشين بنسبة متساوية، وفقاً لمفهوم التعددية «بلوراليزم» الذي يفهمه الغرب، بل يعنى أن يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص، ويمارس نشاطه الديني أو المذهبي أو الفكري أو السياسي، في إطار الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة، والتي لا تسمح لأى طرف بسلب حقوق الآخرين أو الإخلال في أمن المجتمع، مهما بلغت قوة هذه الطرف عدّة وعدداً.

والصورة المثلىٰ للتعايش هي صورة دولة المدينة التي كان اليهودي والنصراني يعيشان فيها بأمان إلى جانب المسلم وفي كنف الدولة الإسلامية، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماماً، وهكذا تعايش المهاجرون إلى جانب الأنصار، تعايش الأوس والخزرج معاً، بل كان يعيش فيها أتباع التيارات الفكرية والسياسية التي تشكل لوناً من المعارضة، وفي المقدمة تيار المنافقين والمشركين: ﴿قل يا أيها الكافرون ❊ لا أعبد ما تعبدون ❊ ولا أنتم عابدون ما أعبد ❊ ولا أنا عابد ما عبدتم ❊ ولا أنتم عابدون ما أعبد ❊ لكم دينكم ولي دين﴾ [١] لقد استندت الرؤية الإسلامية في مجال التعايش مع الآخرين إلى اساسين رئيسيين، هما:

١. المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم؛

٢. الصلات والرحمة الإنسانية والعلاقات الأخلاقية.

ويستقى التشريع الإسلامي في كل مجالاته من هذين المعنيين فيعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتّىٰ جوانبه. أمّا العناصر الرئيسية التي تحدد نوعية العلاقة بين المسلمين وغيرهم كآلية للتعايش، فأهمها:

١. **الأمة... النموذج**: يصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بالوسطية، يريد به النموذج الاسمىٰ، والأمة الشاهدة التي كانت خير أمة اخرجت للناس، وهذا العنصر يدفع الأمة باتجاه السمو والتكامل في كل المجالات، والاستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، ويعني ذلك الانفتاح علىٰ مجالات الحياة وحمل رسالة إنسانية حضارية كبرىٰ.

٢. **المبدئية**: وتقضي بنوعين من التعايش: الأوّل بين المؤمنين، وهو تعايش اخوى. ويعنى وحدة الأفراد في مجمل الشؤون والنوع الثاني مع الآخرين، ويحدد طبيعته مقدار قرب أو بعد هؤلاء عن المبدأ الإسلامي، الذي يحدد مضمون التعايش معهم، كأن يكون ودّياً أو حسناً أو يشوبه القلق.

٣. **نفي السبيل علىٰ المؤمنين**: ويعنى أن أى تصرف أو وضع معاهدة تؤدي إلى تفوق الكافرين علىٰ المسلمين يعد ملغياً من أصله ﴿ولن يجعل الله للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلاً﴾ [٢] وهذه القاعدة تعد من القواعد الثانوية التي تستطيع الحكم على الأحكام

---

١) الكافرون، ٦.

٢) النساء، ١٤١.

الأوّلية بمجموعها. وهذا التوجه لا يعبّر عن نوع من التكبر، إذ تعمل هذه القاعدة على أساس معايير إنسانية.

٤. **التوعية والدعوة:** فالتعايش لا يعنى تجاوز حقائق الإسلام التي تؤكد على استمرار التوعية والدعوة. ويقتضي التعايش المتوازن والعلاقات السلمية بين فئات المجتمع أن تركز التوعية على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة المجادلة بالتي هي أحسن: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أُمرت لاتتبع أهواءهم﴾[١].

٥. **العدالة:** يشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي للواقع، وأهم الأسس عند التعامل الاجتماعي ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله﴾[٢] ولعل الآية الكريمة: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ﴾[٣] تعبر بدقة عن أهمية العدل في معادلات التعايش، حتىٰ في حالات التوتر التي يكاد أن ينسى فيها العدل. ومن خلال النظر إلى طبيعة تعامل دار الإسلام مع غير المسلمين، ندرك البعد الإنساني في عنصر العدل، وهو ما يفسر أيضاً وقوف الإسلام إلى جانب المستضعفين والمحرومين في كل مكان.

٦. **تأليف القلوب:** في الأجواء التي يحكمها تأليف القلوب، تنفتح النفوس على الحقيقة وتتقرب إلى الواقع ويعود هذا العنصر إلى تشريع سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، والذي فتح المجال للوقوف إلى جانب المستضعفين والدفاع عن قضاياهم واجتذابهم نحو الإسلام، والإنفاق عليهم بما يحقق مصلحة الإسلام العليا، وتعميق التعايش الإيجابى بين مختلف اتجاهات المجتمع.

٧. **الوفاء بالعهد:** ويقصد به الوفاء بكل العهود والاتفاقات التي تعقد بين المسلمين وغيرهم ﴿وأوفوا بالعهد انّ العهد كان مسؤولا﴾[٤]. ومن هذه العقود ما صرّح به الإسلام وحدّد لها قوانينها العامة، ومنها ما يرىٰ ولى الأمر ضرورتها لتحقيق مصلحة إسلامية عليا. ومثال الأولى: عقد الهدنة وعقد الأمان، ومثال الثانية: العقود الاقتصادية والعسكرية وغيرها.

---

١) الشورى، ١٥.
٢) النساء، ١٣٥.
٣) المائدة، ٨.
٤) الإسراء، ٣٤.

٨. **التعامل بالمثل**: مبدأ جزاء الإحسان بالإحسان، ومبدأ القصاص، مبدآن واقعيان يرتضيهما المنطق الإنساني والتعامل الفردي والاجتماعي[١]. هدفهما ردع الاعتداء واستقطاب القلوب. يقول تعالى: ﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص * فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم**﴾[٢]. وهو يعني باختصار التعامل مع الآخر بالمثل: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرّوهم وتقسطوا اليهم**﴾[٣].

ولعل تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال التعايش هي من التجارب المهمة على صعيد التطبيق؛ لما تمثله ايران من دولة تتميز بالتعددية في كثير من المجالات، فهناك أتباع ثلاث ديانات ـ النصرانية، اليهودية، الزردشتية ـ يعيشون إلى جانب المسلمين، وستّ قوميات ـ الفارسية، التركية، العربية، الكردية، التركمانية، البلوشية ـ وخمسة مذاهب إسلامية، فضلاً عن الجماعات والتيارات الفكرية والسياسية التي أذعنت جميعاً لمعادلات الشورىٰ وآلية الممارسة الديمقراطية. هذه التجربة الفذة التي أبرزت الوجه المشرق للرؤية الإسلامية في مجالي الحوار والتعايش، جديرة بالدراسة المراجعة المستمرة.

* * *

---

١) انظر: للكاتب نفسه، الأسس المهمة في النظام الإسلامي، ص ١٢٣ - ١٢٤.

٢) البقرة، ١٩٤. ٣) الممتحنة، ٨.

الدور الحضاري المستقبلي للأمة
وموقع منظمة المؤتمر الإسلامي[1]

المقدمة

لابد قبل الحديث عن الدور الحضاري للأمة في عالم الغد من إلقاء نظرة سريعة على واقع الأمة اليوم بل وربما احتجنا إلى استعادة هذا الواقع عبر تاريخه الطويل المجيد.

إلّا أنّ الطبيعة المقدمية تفرض علينا الاقتصار على التاريخ القريب وليكن القرن الرابع عشر الهجري وبعضاً من قرننا الحالي وهو ما يوافق القرن العشرين الميلادي تقريباً. ففي هذه الفترة المليئة بالأحداث نجد أنّ الأمة الإسلامية قد مرت بثلاثة أدوار رئيسية هي:

الدور الأوّل: دور الاستعمار والاحتلال

فالأرض الإسلامية في هذا الدور احتلت كلها تقريباً إمّا احتلالاً مباشراً كما هو الحال بالنسبة للعراق وسوريا ولبنان والاردن وشمال افريقيا وغيرها أو بشكل غير مباشر كما هو الحال بالنسبة لتركيا وايران حيث وفق الاستعمار لفرض كل ما يريد بقوة العملاء الرسميين له. وتمتد هذه الفترة من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية تقريباً.

---

١) قدم إلى كتاب «الأمة» في قطر. بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي التاسع.

الدور الثاني: دور الاستقلال ولكن باتجاه قومي

فبعد سقوط المانيا الهتلرية بدأت وتيرة ما يسمى باستقلال الدول والحكومات في العالم الإسلامي والتحرر من براثن الاستعمار. ولكن صاحب ذلك اتجاه قومي عارم تجلّى كأقوى ما يكون في الحركة الناصرية القومية العربية وحركة سوكارنو وغيرهما حيث ظنت الشعوب المتحررة أنّ الاتجاه القومي هو البديل الأفضل للحالة الاستعمارية.

الدور الثالث: دور الاتجاه الإسلامي الشمولي

ويبدأ هذا الدور تقريباً من أواخر الستينات الميلادية حيث تنامى الشعور بقضية الإسلام والوحدة الإسلامية، وظهرت بوادر صحوة إسلامية شاملة لها مظاهرها وآثارها ومن أهم هذه المظاهر الإحساس بوحدة المنطلق والمسير والهدف مما يؤدي للإحساس بوحدة الشخصية لهذه الأمة.

وربما أمكننا القول أنّ هذه الحالة هي الوليد الجديد بعد مرحلة جنينية مطولة نسبياً لكل ما قامت به الحركات الإسلامية السياسية والاجتماعية، المحافظ منها والمتحرر، والمنطلق على أساس وعي كامل للمسيرة، أو المنطلق على أساس احساس بالظلم والضغط، وعلى اختلافها في الفهم والأسلوب والهدف إلّا أنّها كلها نمت هذه الجنين في رحم هذه الأمة الولود وانتجت هذه الصحوة المباركة.

وكان الظلم الاستعماري، وخواء الاتجاهات القومية، وضغط النظم الدكتاتورية وقيام الكيان الصهيوني عوامل مساعدة قوية في ظهور هذه الصحوة وربما كان ظهور منظمة المؤتمر الإسلامي على اثر الجريمة الكبرى التي أقدمت عليها الصهيونية بإحراق المسجد الأقصى مظهراً وعاملاً على تنامي هذا الشعور الشمولي الإسلامي كما أنّ مما لا ريب فيه أنّ انتصار الصورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩... وانهيار المعسكر الشيوعي الإلحادي شكل عوامل كبرى في تنميتها واتساعها.

ولسنا ننسى هنا المسيرة العلمية والثقافية والاقتصادية لهذه الأمة فإنّ لكل من هذه الجوانب موقعها الكامل في تشخيص موقع الأمة إلّا أنّ ما ذكرناه يمثل الشكل العام لهذه المسيرة.

وعبر هذه النظرة السريعة ندرك أنّ الأمة المسلمة رغم ما ابتليت به من نكبات كانت

منطقة ساخنة تهتم بها الأمم وتتفاعل مع الأحداث وترك أثرها القوي أو الضعيف على مجمل المسيرة الإنسانية بكل تفاعلاتها. كما ندرك أنّها وهي تقف على عتبة تحول زماني كبير لتشعر بتحديات كبرى تتطلب منها التخطيط الحكيم للمواجهة الإيجابية الفاعلة.

الدور الحضاري للأمة في عالم الغد

إنّنا إذا لاحظنا العناصر التالية أدركنا بكل وضوح ضرورة اتخاذ دور فاعل في المسيرة الحضارية الإنسانية يتناسب وحجم هذه الأمة ومسؤوليتها الحضارية:

أوّلاً: الموقع الحضاري الذي أراده الإسلام لهذه الأمة ويمكن تلخيص ذلك بالعبارة القرآنية الشريفة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[1]، ولا ريب في أنّ الوسطية هنا تعني القمة في المثل الحضاري وخصوصاً بعد ملاحظة التقارن بين شهادة الأمة على الناس وشهادة الرسولﷺ على الأمة ونحن نعلم أنهﷺ خير قدوة وأكمل إنسان يتمتع بكل صفات الإنسان.

فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى هي أنّ الإسلام جاء لكل الإنسانية ولكل العصور ديناً خالداً ينظم للبشرية مسيرتها الحضارية التكاملية أدركنا أنّ الإسلام يريد لهذه الأمة أن تحتل موقعها الريادي في كل عصر ـ والحديث في هذا المجال واسع.

ثانياً: الإمكانات الحضارية التي تتمتع بها هذه الأمة من حيث:

أ. الطروحات الفكرية والاجتماعية التي استمدها الإسلام والتي أثبتت قدرتها الرائعة على تخطي العصور وإعطاء الحل الناجع لمشكلات الإنسان.

ب. الثروة العلمية والفكرية الهائلة التي ورثتها من تاريخها المجيد.

ج. الموقع السياسي والجغرافي والاقتصادي الذي تحتله حيث تمتلك أكثر المناطق حساسية وتمتد في قلب العالم عملاقاً يعمل أعداؤه على أن ينام وتتحرك أطرافه للانطلاق على مختلف الصعد.

د. الطاقات الإنسانية الكبيرة التي يمتكلها ويستطيع تجميعها وتعبئتها لصنع الغد الأفضل.

---

١) البقرة، ١٤٣.

ثالثاً: مقتضيات الواقع: ذلك أنّ البشرية اليوم تسير نحو تنافس الأمم في صنع الحضارة الإنسانية وهو مضمون اتفاق الأمم كلها على جعل العام ٢٠٠٢ الميلادي عام «الحوار بين الحضارات» باقتراح من رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رئيس الدورة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وبطبيعة الحال فإنّ التوالي الحضاري في المعسكر الآخر يتطلب منا توالياً حضارياً إسلامياً نستطيع معه أن نعيش على ظهر هذا الكوكب وإلّا فالفتنة والفساد قال تعالى: **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلون تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾**[١].

إنّ الواقع يفرض بدوره على هذه الأمة أن تبرز شخصيتها الحضارية المتميزة وأن تلعب دورها المطلوب. وهنا نقول:

إنّ الأمة تواجه تحديات كبرى يمكن أن نجملها بالتحديات السياسية، والعلمية، والاقتصادية والثقافية، والعقائدية والاجتماعية والمعلوماتية.

ومن أهم التحديات السياسية: اتجاه العالم إلى عصر القطب الواحد المسيطر على مجمل السياسة العالمية.

ومن أهم التحديات العلمية: هذا التقدم العلمي الكبير للغرب والذي يستغله الغرب لفرض هيمنته في مختلف الصعد على العالم.

ومن أهم التحديات الاقتصادية: فكرة العولمة الاقتصادية التي لا تبقى للأمة قدرتها على السيطرة على اقتصادها وإنّما تربط ذلك بمجمل الوضع الاقتصادي العالمي ولا ريب في أنّ القدرات الهائلة للغرب لا تفسح المجال للقدرات الصغيرة الأخرى.

ومن أهم التحديات الثقافية والعقائدية هذا الهجوم الثقافي والأخلاقي والعقائدي الكبير على كل أبعاد شخصية هذه الأمة وربما شكلت العلمانية أهم مظاهرة وأشدّها اتساعاً.

كما أنّ أهم التحديات الاجتماعية هذا التخطيط الرهيب لتغيير تعريف العائلة وحذف دورها الاجتماعي الركين.

وأخيراً فإنّ التحدي المعلوماتي اليوم يدع العالم الإسلامي منحصراً في زاوية

---

١) الأنفال، ٧١.

ضيقة من سيطرة معلوماتية واسعة.

وكل هذا يتطلب تخطيطاً واقعياً مخلصاً واعياً للمواجهة الإيجابية الفاعلة كما أسلفنا ويلقي مسؤولية كبرى على عاتق منظمة المؤتمر الإسلامي باعتبارها تدعي تمثيل الأمة بكل جوانبها وبشكل رسمي كما تلقي بمسؤوليات أكبر على الفئات غير الرسمية بلاريب.

نظرة على منظمة المؤتمر الإسلامي واقتراحات لتفعيل دورها العالمي

مرّت عقود ثلاثة على ذكرى إحراق المسجد الأقصى بأيدٍ صهيونية عام ١٩٦٩م وقد ثارت لذلك مشاعر المسلمين وعمّ الغضب كلّ العالم الإسلامي ضد كل الكيان الصهيوني الغاصب، وكانت ردة فعل المسؤولين في العالم الإسلامي وبدوافع سياسية مختلفة قد تمثلت في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي لتحقيق التضامن الإسلامي، والعمل على ترشيد أحوال الأمة الإسلامية في مختلف المجالات.

وكمنظمة عالمية استطاعت هذه المنظمة أن تعقد لحدّ الآن ٢٥ مؤتمراً لوزراء الخارجية وثمانية مؤتمرات للقمة، وعشرات المؤتمرات الفرعية والتخصصية، وأنشأت بعض المؤسسات الفرعية في مجالات تخصصية، وبذلت مئات الملايين من الدولارات سعياً لتحقيق أهدافها.

والسؤال المطروح هنا هو:

هل استطاعت المنظمة أن تحقق الهدف المعلن الذي أنشئت لأجله؟

وفي مجال الإجابة ربما نجد من يفرط في التفاؤل فيتصورها من أنجح المنظمات، ومن يمعن في التشاؤم فيراها لم تحقق أي شيء غير إهدار الأموال والأوقات وتضييع الآمال، ودعم الاتجاهات الرسمية؛ إلّا أنّ الحق يقتضينا التأمل أكثر فأكثر لنقع على صخرة الحقيقة.

وإذا درسنا الموقف من جوانبه، وتأملنا النتائج والقرارات التي صدرت من الاجتماعات العديدة، وتتبعناها في مجال التطبيق العملي، والآثار المترتبة عليها، نجد أنّ هناك فرقاً شاسعاً بين المسارين السياسي والاقتصادي من جهة، والمسار الثقافي من جهة أخرى، طبعاً كما نعتقد نحن، وللآخرين ما يعتقدون.

ولسنا هنا بصدد التفصيل في دراسة المسارين السياسي والاقتصادي، غير أنّنا نستطيع القول بإجمال أنّ المنظمة لعبت بعض الأدوار السياسية، ولم توفق في أكثرها لعوامل عديدة.

فبالنسبة لفلسطين كانت قراراتها من حيث المجموع أفضل من غيرها، وربما بلغت قرارات بعض المؤتمرات العشرين صفحة، تناولت فيها القضية الفلسطينية من جميع الجوانب، وأعطت رأيها بصراحة فيها. إلّا أنّ الملاحظ أنّ هذه القرارات كانت تذوب عند التطبيق، فلا تجد لها الاستجابة الكافية، فكل دولة كانت تتخذ مسارها تجاه القضية، وتمشي لوحدها على ضوء ارتباطها بالغرب، الأمر الذي كان ينعكس حتى على نفس هذه القرارات، فتعمل على التراجع عن المواقف المبدئية السابقة، حتى عاد الأمر كما نشهده اليوم من الذل والمساومة والإذعان لكل الضغوط، وبالتالي الاعتراف بالعدو الغاشم.

وبالنسبة لقضية الحرب العراقية الإيرانية، لم تستطع المنظمة أن تفعل شيئاً رغم أنّها اتخذت بعض الخطوات. وكذلك الأمر بالنسبة للاعتداء العراقي على الكويت.

وربما تحقق الإجماع الإسلامي تجاه قضية البوسنة والهرسك كأقوى ما يكون، واستطاعت المنظمة أن تتخذ منها بعض المواقف القوية، إلّا أنّها لم تحقق المطلوب بشكل كامل. وها نحن نراها عاجزة عن التدخل بشكل قوي في قضية كوسوفو كما كانت عاجزة عن المساهمة في الحل في قضيتي الصومال، والنزاع الاريتيري الاثيوبي، وكذلك قضية كشمير وغيرها.

أما على الصعيد الاقتصادي فإنّ انجازاتها يمكن أن تتلخص في القيام ببعض المشاريع الاقتصادية المفيدة للعالم الإسلامي، وفي طليعتها البنك الإسلامي للتنمية وغيرها في حين بقيت بعيدة عن تحقيق هدف السوق الإسلامية المشتركة بل أنّها لم تستطع ان تفعل شيئاً أمام السقوط المريع لإسعار النفط مثلاً.

بعد هذا لنركز على المسار الثقافي لهدف المنظمة لنعرف مدى ما حققته من نتائج ويمكن أن نقسم الإنتاج الثقافي إلى حقول:

الحقل الأوّل: المراكز الثقافية التي تمّ ايجادها او الدعوة لذلك

وأهمها ما يلي:

أوّلاً: الجامعات الاسلامية

قرر مؤتمر القمة الإسلامية الثاني المنعقد في لاهور في الباكستان في فبراير ١٩٧٤ م إنشاء جامعتين إسلاميتين في افريقيا، إحداهما في النيجر لتخدم البلدان الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية، والثانية في أوغندا لتخدم البلدان الناطقة بالانجليزية. ويذكر أن في لاهور جامعتين إسلاميتين.

كما قرر المؤتمر العالمي الأوّل للتعليم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧م إنشاء الجامعة الإسلامية في ماليزيا، وقرر المؤتمر الإسلامي الرابع عشر لوزراء الخارجية المنعقد في دكا في بنغلادش في ديسمبر ١٩٨٤م إنشاء الجامعة الإسلامية في بنغلادش.

وأوضاع هذه الجامعات مختلفة، فجامعة النيجر قبلت لحد الآن بعض الطلاب، ولكن لما كانت الصعوبات المالية تواجهها بقوة مما أدى إلى حصول اضطرابات بين الطلبة، دعت السلطات المحلية لإغلاقها في بداية السنة الدراسية «١٩٩١ ـ ١٩٩٢م» وقد تم القيام ببعض الخطوات العملية لإعادتها إلى النشاط.

وجامعة أوغندا بدورها تم افتتاحها عام ١٩٨٨ أي بعد أربعة عشر عاماً، وتضم حالياً ثلاث كليات، ويقدر عدد طلابها بـ ٣٠٢ طالباً ومازالت تعاني من نقص مالي. وكانت جامعة ماليزيا العالمية هي المشروع الأكثر نجاحاً، حيث افتتحت عام ١٩٨٣م وفيها الآن أكثر من ٨٠٠ طالب، كما أن هيئة التدريس فيها تزيد على ٥٠٠ عضو، وأخيراً فإنّ جامعة بنغلاش الإسلامية تحوي الآن ١٣٠ طالباً، وتعاني من نقص مالي أيضاً.

ثانياً: المراكز الإسلامية التابعة، وهي:

أ. مسجد الملك فيصل والمؤسسات التعليمية الثقافية التابعة له في انجامينا في تشاد.

ب. المعهد الاقليمي للدراسات والبحوث الإسلامية في تمبكتو في مالي.

ج. المعهد الإقليمي للتعليم التكميلي في إسلام آباد في الباكستان.

د. المركز الإسلامي في غينيابيساو.

ح. المنظمة الإسلامية الدولية للمرأة ودورها في المجتمع الإسلامي.

و. المعهد الإسلامي للترجمة في الخرطوم.

والملاحظ أن هذه المراكز تمت الموافقة على إنشائها في أحد المؤتمرات الإسلامية، لهدف نشر الثقافة الإسلامية، وهي عادة ما يتم التعاون في تمويلها بين المنظمة ودولة المقر، ولكنّها لم تصل بعد إلى الحد المطلوب، طبعاً على اختلاف بينها فيما حققته من خطوات.

وكمثال على ذلك نجد أنّ موضوع المنظمة الإسلامية الدولية للمرأة ـ رغم أهمية موضوعه إذ يتناول قضية ترشيد دور المرأة في المجتمع الإسلامي بقي خلال سنتين قيد الدرس والمداولة.

فقد طرح لأوّل مرة في الاجتماع العاشر للجنة الإسلامية للأمور الاقتصادية والثقافية والاجتماعية باقتراح من الباكستان، وأوصى المؤتمر الرابع عشر والمؤتمر الخامس عشر لوزراء الخارجية بتشكيل لجنة متخصصة لدراسته، واجتمعت اللجنة في اكتوبر ١٩٨٥م في إسلام آباد ودرست الموضوع، وقدّمت النتائج إلى الاجتماع السادس عشر لوزراء الخارجية، الذي كلّف الأمانة العامة بتهيئة مشروع الميثاق، وقد قامت الأمانة العامة بذلك، وعرضته على الاجتماع الثامن عشر. وتتابعت تأييدات وزراء الخارجية في مؤتمراتهم التالية. «التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، والحادي والعشرين» مع الترحيب باقتراح مقدّم من الجمهورية الإسلامية الإيرانية لاستضافة اجتاع للخبراء لدراسة هذا الموضوع.

وقد سعت الأمانة العامة في الاجتماع الحادي والعشرين لوزراء الخارجية لطرح مشروع قرار يخلط هذه المنظمة، وموضوع دور المرأة في المجتمع الاسلامي، مما يؤدّي إلى حذف الفكرة في النهاية، إلّا أنّ نشاط الوفد الإسلامي الإيراني حال دون ذلك.

وقد عملت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على متابعة هذا الموضوع، إيماناً منها بأهمية الموضوع، ولكن نشاط بعض الدول القوية في المنظمة حال دون الوصول إلى قرار حاسم، إلى أن انعقد مؤتمر القمة الثامن بطهران وتوج الجهود بصدور قرار متوازن عن المرأة ولكنه مازال ناقصاً ومازلنا ننتظر رأي مجمع الفقه الإسلامي حول نتائج دورة طهران وقد دامت دراسته أربع سنوات سنوات!! هذا ومازال الطريق طويلاً أمام المنظمة لتصدر قراراتها القوية في قضايا «الشباب أو الأطفال» وغيرها.

الحقل الثاني: المواضيع العامة

وتندرج تحت هذا العنوان المواضيع التالية:

١. مشروع المبنى الجديد لجامعة الزيتونة بتونس.

٢. وضع تقويم موحد للشهور القمرية والأعياد الإسلامية.

٣. مشروع إنشاء مركز إسلامي للتدريب والبحوث الطبية المتقدمة في بنغلادش.

٤. مشروع الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي.

٥. مشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان.

٦. مشروع القيام بخطة لمكافحة المفاسد الأخلاقية.

٧. موضوع الموقف الموحّد تجاه الاستهانة بالمقدّسات والقيم الإسلامية.

٨. مشروع استراتيجية العمل الإسلامي المنشق في مجال الدعوة.

٩. موضوع رعاية الطفل وحماية في العالم الإسلامي.

١٠. التآخي بين الجامعات الفلسطينية في الأراضي المحتلة والجامعات في الدول الأعضاء.

١١. تدريس مادة تاريخ وجغرافية فلسطين في الدول الأعضاء.

١٢. الوضع التعليمي في الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان السوري.

١٣. تقوية وضع الجامعات في الأراضي المحتلة.

١٤. دراسة مشكلات التعليم في الأراضي المحتلة.

١٥. المحافظة على الهوية العربية والطابع الإسلامي لمدينة القدس الشريف.

١٦. تدريس المعلومات حول الجامعات المسلمة في البلقان والقوقاز في مادتي التاريخ والجغرافيا.

١٧. تقديم مساعدات لمسلمي كوسوفو وسنجق.

١٨. حماية التراث الثقافي والمؤسسات التعليمية في البوسنة والهرسك.

والملاحظ في هذه المشاريع قبل كل شيء أنّها تناولت في أغلبها قضايا مهمة جداً، ولها آثارها الواسعة على مستوى العالم الإسلامي إلّا أنّها بدورها اختلفت من حيث حماس الدول الأعضاء لإنشائها وتنفيذها، وبالتالي اختلفت من حيث المصير والنتيجة، وها نحن نذكر بعض الأمثلة على ذلك.

أ. مشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان

فمشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان في الإسلام مرّ بكثير من اللجان والمؤتمرات منذ بدأت فكرة كتابته رسمياً عام ١٩٧٩م، حيث قرر المؤتمر الإسلامي العاشر لوزراء الخارجية تشكيل لجنة مشاورة لاعداد لائحته، وقد أحيلت إلى المؤتمر الحادي عشر، حيث قام بدوره بإحالتها إلى لجنة قانونية. وعرض النصّ المعدّل على مؤتمر القمة الثالث، ولكن هذا المؤتمر أحاله إلى لجنة أخرى، ووافق المؤتمر الرابع عشر للخارجية في داكا على المقدمة وتأول مادة فيه، وأحال باقي المواد على لجنة ثالثة، ثم تتابعت المؤتمرات مؤكدة عليها، إلى أن عقد اجتماع طهران في ديسمبر ١٩٨٩م وأعدّ الصيغة النهائية التي تمّت الموافقة عليها نهائياً في المؤتمر التاسع عشر بالقاهرة.

وهكذا تكون قد مرّت بعشر مؤتمرات للخارجية، وثلاثة للقمة بالإضافة لجلسات الخبراء التي كان آخرها في طهران، وقد تشرّفت برئاسة هذه الجلسة الأخيرة، كما شاركت في جلسات غيرها كرئيس مناوب أو كعضو مسؤول.

والحقيقة فإنّ النتيجة كانت رائعة من حيث الجانب النظري، إلّا أنّ المشكلة الأساسية تكمن في التطبيق على صعيد العالم الإسلامي، تماما كماالمشكلة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولكن على الصعيد العالمي كلّه.

فلقد أصرت بعض الدول الاعضاء على أن يقيّد تنفيذ هذا الإعلان بما إذا كان ينسجم مع القوانين الداخلية لها!! وهذا أمر غريب حقاً.

وعلى أي حال، ينبغي السعي الجاد لضمان التنفيذ بمختلف الطرق، ولا يتم ذلك إلّا من خلال إنشاء لجنة محايدة لمراقبة حقوق الإنسان على ضوء اللائحة الإسلامية وهذا ما ندعو إليه بقوة.

ب. الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي

وهو مشروع مهم جداً انطلق من مؤتمر القمة الثالث وأكّد عليه مؤتمر القمة الإسلامي الخامس في الكويت عام ١٩٨٩م عبر مشروع قدّمته السنغال، وشكّلت لذلك لجنة للخبراء الحكوميين، حيث عقدت ثلاثة اجتماعات شاركت في بعضها، بل وقمت بتهيئة الفصل الثاني من المشروع، وهو فصل «الأهداف».

وهكذا قامت هذه اللجنة في اجتماعها المنعقد بالقاهرة عام ١٩٩٠م بدراسة الخطة، وتوالت الاجتماعات حتى تم وضع مشروع متكامل رفع إلى مؤتمر القمة السادس في دكار، فصادق على المشروع بأكمله، وتم العمل على ملاحظة السبل الكفيلة بتطبيقه عبر خطة تنفيذية، ولم تصل هذه الخطة بعد إلى الحد الكامل.

وقد قام المؤتمر السابع بالدار البيضاء بالمصادقة على مشروع قرار برقم CS/DR/15 تمت فيه التوصية على وضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ. عبر دراسة الخطة التنفيذية من قبل اللجنة الدائمة للاعلام والشؤون الثقافية، وطلب من الدول اتخاذ الخطوات اللازمة لإدخال هذه الاستراتيجية ضمن سياساتها الوطنية في المجالات الثقافية والتعليمية والتربوية.

وعلى أي حال فما زال هذا المشروع باقياً على الصعيد النظري ينتظر صياغته بشكل مشروع عملي تنفيذي، مثله تماماً كمثل اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان.

ج. مشروع وضع خطة لمكافحة المفاسد الأخلاقية

مر هذا المشروع بعقبات كثيرة وضعتها بعض الدول الأعضاء، لأنّه يتنافى مع ما هي عليه من تبنّ لبعض السلوكيات اللاأخلاقية وسماح لبيع الخمور، وترويج للسفور، وفسح المجال للقمار والبلاجات الخليعة، وأمثال ذلك من أنماط الانحراف السائد في أرجاء العالم الإسلامي.

ورغم كل العقبات، فقد أصررنا على طرحه في المؤتمرات، حتى تمت الموافقة على صيغة معدلة منه، حذفت منها كل عبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخففت مواده حتى كادت تفقده فاعليته.

إلّا أنّ الغريب أنّ الأمانة العامة ومن ورائها بعض الدول عملت على حذفه من قائمة مشاريعها، حتى لم نعد نشهد له أثراً في القرارات التالية، الأمر الذي يشكك تماماً في مصداقية الكثير من نشاطات المنظمة مع الأسف الشديد.

والحقيقة أنّ القرار لم يترك أي أثر على صعيد إصلاح الأوضاع الأخلاقية، نظراً لفقدان العزيمة اللازمة لتحويل هكذا مشروع إلى واقع التنفيذ.

د. موضوع الموقف الموحّد من التجديف والاستهانة بالمقدسات الإسلامية

وهذا الموضوع انطلق من خلال الآثار العالمية التي تركتبها الفتوى التاريخية الخالدة للإمام الخميني قدس سره بحق المرتد سلمان رشدي، الذي عمل من خلال كتابه المشؤوم «الآيات الشيطانية» على الاستهانة بأهم المقدسات الإسلامية، وقد ساندته في موقفه التآمري كل الدول الغربية، معبرة عن حقدها ضد الإسلام والمسلمين. إلّا أنّ فتوى الإمام التاريخية أفشلت هذه المؤامرة، بل حوّلت الموقف إلى تجل جديد للوحدة الإسلامية بوجه أعداء الأمة الإسلامية ... وقد عرض الموضوع على المؤتمر الثامن عشر لوزراء الخارجية بالرياض عام ١٩٨٩م، فأصدر بيانه التاريخي حول «العمل المشترك إزاء أنماط الاستهانة بالقيم الإسلامية» وقد أيّد المؤتمر الإسلامي التاسع عشر عبر أحد قراراته هذا الاتجاه، وطالب بالوقوف امام نشر هذا الكتاب الضال.

إلّا أنّ ضغط الدول الغربية وتقاعس البعض من الأعضاء اضعف هذا الموقف، الأمر الذي تجلى في إدخال عناصر أخرى في هذا القرار، مثل مؤامرة الكيان الصهيوني لتدمير المسجد الأقصى، والضغوط الهندية الهادفة إلى هدم مسجد بابري فضمت إلى موضوع كتاب الآيات الشيطانية. وهذه المواضيع وإن كانت بنفسها مهمة، إلّا أن ضمّها لهذا القرار يضعفه بلا ريب.

هذا وقد صدر عن كل من المؤتمرين العشرين والحادي والعشرين للخارجية قرار يطالب الأمين العام بدراسة إمكانية اعداد وثيقة قانونية دولية لكفاية احترام القيم والمقدسات الإسلامية في برنامج عمل مجمع الفقه الإسلامي.

وفي المؤتمر الثاني والعشرين للخارجية الذي تبعه مباشرة المؤتمر السابع للقمة تم تأكيد البيانات السابقة، وبعد التنديد بالاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي والاعتداءات الهندية التي أدت إلى تدمير مسجد بابري والاعتداءات الصربية على الأماكن المقدسة في البوسنة والهرسك، تم التأكيد على ضرورة إبراهيم الوثيقة القانونية الآنفة الذكر.

وهكذا نجد أنّ المنظمة تتردد بين الأقدام والأحجام في كثير من المواضع، ومنها هذا الموضوع، وبدلاً من تقوية موقف المؤتمر الثامن عشر، راحت المسيرة تضعف من خلال ضمّ موضوعات مهمة أخرى كلها تستحق قرارات مستقلة إليه حتى يمكن تغطيته

بالأحداث، وصرف الأنظار المركّزة على الغرب في ذلك.

هذا في حين يصعّد الغرب من دعمه لهذه المؤامرة، ويستقبل رؤساؤه هذا المجرم، ويمنحه المكافآت والأوسمة كبطل للحرية التعبيرية، بل ويحاول تشجيع أمثال تسليمة نسرين المعتدية أيضاً على المقدسات في المسيرة، دون أن يأبه بالموقف الإسلامي الرافض.

الحقل الثالث: المؤسسات المتفرعة

وهي مؤسسات شكلتها المنظمة، وتعتبر الدول الأعضاء بشكل طبيعي أعضاء أيضاً في هذه المؤسسات، وتبلغ في الحال الحاضر سبع مؤسسات في المجالات الثقافية والاقتصادية، وتقع مقراتها في بلدان مختلفة. وها نحن نقدم نبذة مختصرة عن أهم مؤسستين ثقافيتين فيها وهما:

أوّلاً: «الارسيكا» مركز الدراسات التاريخية والفنية والثقافية الإسلامية باستانبول

وقد انشئ هذا المركز بقرار من المؤتمر السابع لوزراء الخارجية، وتمت الموافقة على نظامه الأساسي في المؤتمر التاسع وبرنامجه العملي في المؤتمر العاشر، وافتتح عام ١٩٢٨م. وأمينه العام هو الأستاذ إحسان اوغلو. وللمركز نشاطات متعددة منها:

- إصدار ٤١ كتاباً في الشؤون التي يختص بها.
- إصدار ٣٤ نشرة أخبارية.
- إنتاج شريطين وثائقيين حول الفنون الإسلامية.
- اقامة ٨٩ معرضاً في مجالات الفنون والصور التاريخية.
- شارك في أو نظم ٢٤ ندوة في مختلف المناطق.
- نظم ٨٨ محاضرة علمية في مركزه باستانبول.
- يقوم بأعمال اللجنة التنفيذية للجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري.

هذا ويعتبر المركز من المراكز الناجحة، إلّا أنّه مازال يعاني من النقص المالي، وكذلك مازال يهتم بكثير من الأمور الجانبية، في حين توجد قضايا مهمة جداً لم يتطرّق إليها بعد.

ثانياً: مجمع الفقه الإسلامي

وهو مجمع فقهي عالمي، تشترك فيه كل الدول الإسلامية على مستويات تمثل فيه كل المذاهب الإسلامية السبعة «الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي والإمامي والزيدي والأباضي» وتسوده روح حرة إلى حد جيد، ويدرس في كل عام قضايا مستجدة مهمة. واتشرف بتمثيل الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيه، بل أُمثل فيه كلّ أتباع ومدارس المذهب الإمامي في العالم... وقد عقد لحدّ الآن إحدى عشرة دورة في مدن مختلفة، درس فيها عشرات المواضيع المهمة، وأمينه العام هو الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة.

ونظراً لأهمية هذا المجمع، وبطلب من مندوب الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيه، فقد تفضل سماحة قائد الثورة الإسلامية فأمر بتشكيل «مجمع فقه أهل البيت عليهم السلام» ليقوم إلى جانب دراسة القضايا المستجدة دراسة معمقة بالإشراف على الدراسات المعدة لهذا المجمع وأمثاله.

ويعدّ هذا المجمع من أفضل المشاريع التي أقدمت عليها المنظمة على الإطلاق ولنا تعاون مستمر معه.

الحقل الرابع: المؤسسات التخصصية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي

وهي مراكز متخصصة تعمل في إطار المنظمة، لكن انتماء الدول الأعضاء لا يتم بتشكيل طبيعي، بل هي حرة في الانتماء وعدمه، ولها مقرات في بلدان متنوعة، وها نحن فيما يلي نشير إلى أهم مؤسسة فيها وهي:

«الإيسيسكو» المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

وقد طرح مشروع تأسيس هذه المنظمة في الاجتماع العاشر للخارجية، وتمت الموافقة على نظامها الأساس في الاجتماع الحادي عشر، ووافق مؤتمر القمة الثالث عام ١٩٨١م. على تأسيسها، وعقدت اجتماعها التأسيسي عام ١٩٩٢ م، وانضمت إليها آنذاك ٢٣ دولة وتستهدف ما يلي:

أ. تمتين أواصر التعاون التعليمي والعلمي والثقافي بين الدول الأعضاء.

ب. إقامة السلام والتفاهم عبر الاستفادة من مختلف الوسائل.

ج. تجسيد معالم الثقافة الإسلامية في البرامج الدراسية في مختلف المستويات.

د. إحياء الثقافة الإسلامية الأصيلة وردّ الشبهات.

هـ الدفاع عن الهوية الإسلامية للمسلمين في الدول غير الإسلامية.

هذا وقد انضمت الجمهورية الإسلامية الإيرانية إليها عام ١٩٩٤م، فبلغت الدول المنتمية ٣٩ دولة.

أما المؤسسات الأخرى فهي:

- الاتحاد الرياضي للتضامن الإسلامي - ومقره في الرياض.
- اللجنة الإسلامية للهلال الدولي - ومقره في بنغازي بليبيا.
- الاتحاد العالمي للمدارس الدولية - العربية الإسلامية.
- لجنة تنسيق العمل الإسلامي والدعوة.

وخلاصة الأمر: أنّنا نجد للمنظمة تأثيراً لا بأس به في المجالات الثقافية، وربما فاق هذا التأثير بكثير آثارها الاقتصادية والسياسية، إلّا أنّه لم يصل مع هذا إلى الحد المطلوب من منظمة عالمية تحمل أهدافاً كبرى، وتعمل على الرقي بمستوى أبناء الأمة في مختلف المجالات، ذلك أنّ التوعية الحقيقية تتطلب العمل على تعميق المفاهيم الإسلامية الأصيلة حول الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر الفضائل، وإيجاد التوازن المطلوب على مختلف المستويات، وحذف كل مظاهر الفساد الأخلاقي والسياسي والثقافي والاقتصادي، واحياء الشعائر الإسلامية بما لها من روح حقيقية، وبالتالي على إيجاد المجتمع الإسلامي الأصيل الواحد والفرد المسلم الملتزم. وهذه أمور لم تستطع المنظمة القيام بها مع الأسف ولعل أهم الأساس التي اقعدتها عن تحقيق أهم وظائفها تكمن في أنّها تستمد قوتها من أعضائها والبعض من هؤلاء الأعضاء يصوغون سياساتهم على أساس التبعية للغرب او للشرق، بالإضافة للمصالح الوطنية أو الحزبية أو القومية المغلقة، مكتفين من الإسلام ببعض الصفات السطحية. وهو الأمر الذي وجدنا الإمام الراحل الخميني قدس سره قد حذر منه في مجالات عديدة ودعا العالم الإسلامي شعوباً وحكومات للتحرر من التبعية والاستقلال في صياغة القرار.

هذا بالإضافة إلى أنّ المنظمة تسير عادة وفق المجالات المسموح بها من قبل الدول وبعض هذه الدول محكومة تماماً لعاملين أساسيين: التبعية السياسية للغرب، والأفق الضيق للثقافة القشرية والتصور الجامد للإسلام، وكل ذلك يمنع المنظمة من القيام

بدورها الفعال في التوعية الإسلامية، أو الارتفاع بمستوى المرأة، أو محاربة الفساد الأخلاقي وأمثال ذلك.

كيف تتم عملية التفعيل؟

رغم اعتقادنا في أنّ الحالة الطبيعية هي الوحدة السياسية والقانونية لكل العالم الإسلامي إلّا أنّ ملاحظة الظروف القائمة تجعلنا نفكر في البدائل ومنها هذه المنظمة. إنّ هذه المنظمة كبديل تستطيع أن تلعب أدواراً أكبر على الساحة الدولية في القرن الحادي والعشرين شريطة أن تتوفر في أعضائها إرادة التغيير المطلوب.

إنّ المنظمة يجب أن تحقق المستويات التالية:

أوّلاً: الانسجام الداخلي المطلوب عبر التقدم في المسارات الاقتصادية والثقافية والسياسية وتجاوز المنافع الضيقة نحو الأهداف العليا.

ثانياً: معرفة القدرات الهائلة التي تمتلكها الدول الأعضاء والعمل على الاستفادة الأفضل من هذه الإمكانات الضخمة.

ثالثاً: التدخل بكل قوة في الأحداث العالمية خصوصاً بالنسبة لما يرتبط بالعالم الإسلامي.

رابعا: التعاون الدولي في مختلف المجالات والإسهام الواسع في حل المشكلات الحضارية القائمة ومن الطبيعي أنّ تحقيق هذه المستويات لن يتم إلّا إذا توفرت الظروف التالية:

١. إعادة النظر بكل جدية في النظم التي تحكم نشاطاتها والآليات القائمة واعتماد اليات فعالة تمتلك القدرة التنفيذية المطلوبة وتعلو على العقبات المصلحية الضيقة لتفرض الواقع المطلوب، ولا ريب في أنّ هذا المعنى بحاجة إلى إرادة قوية للتغيير.

٢. امتلاك القدرة المالية المطلوبة، والاكتفاء الذاتي المالي دون انتظار المعونات الإضافية التي تتبرع بها هذه الدول أو تلك وإلّا بقيت تابعة ذليلة لمطامعها وقعدت عن تحقيق آمالها الكبرى.

٣. اعتماد عنصر العقوبات الرادعة للدول المتقاعسة عن القيام بواجباتها.

٤. اعتماد فكرة اشراك الجماهير والمنظمات غير الحكومية في مجال تحقيق الأهداف المطلوبة لو من خلال الضغط على حكوماتها للانسجام مع الخط الإسلامي العام.

٥. الاتجاد نحو تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية للدول الاعضاء وتطهير العالم الإسلامي من كل الظواهر اللاإسلامية وهو هدف كبير يعلنه الجميع ولكنهم يتوانون عن تحقيقه.

وفي خاتمة المقال نودّ أن نقول: إنّ المؤتمر الثامن للقمة الإسلامية في طهران شكل نقلة نوعية لعمل المنظمة من حيث قوة التماسك الذي ظهر في المؤتمر والصدى الاعلامي الذي تركه والقرارات المتقدمة التي وافق عليها وقبل ذلك من حيث تحديه لسياسات الاستكبار العالمي التي كانت تستهدف عزل الثورة الإسلامية حتى على المستوى السياسي والدبلوماسي فضلاً عن المستويات الاقتصادية والثقافية.

وكان للخطاب الهام الذي ألقاه قائد الثورة الإسلامية واقتراحاته البناءة لتسلم الدور اللائق بالمنظمة في نظام الاقتدار العالمي، وكذلك الخطاب الذي ألقاه رئيس المنظمة السيد الخاتمي الأثر الكبير في اتجاه منظمة المؤتمر الإسلامي نحو مستقبل أفضل واقتدار اسمى.

إلّا أنّ ذلك كله كما قلنا يتوقف على استمرار الإرادة وقوة التصميم وروح التحدي التي يجب أن يتحلى بها أعضاء المنظمة كي تستطيع تحقيق هذه الأهداف.

نسأل الله جلّ وعلا أن يوفقنا جميعاً لتحقيق مرضاته، إنّه السميع المجيب.

* * *

دور منظمة المؤتمر الإسلامي

في دورتها الحالية[1]

محمد كريشان: الآن وقد انتهت الأجواء الاحتفالية التي تصاحب عادة المؤتمرات الإسلامية، انتهت رئاسة إيران للمؤتمر الإسلامي وبدأت رئاسة قطر. ما الذي يمكن أن يقال لضمان استمرارية ما في عمل المؤتمر الإسلامي ولضمان نجاعة هذا العمل؟

الشيخ محمد علي تسخيري: بسم الله الرحمن الرحيم، أعتقد أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي تشكل وسيلة ضخمة من وسائل هذه الأمة للوصول إلى طموحاتها، طبعاً ليست الوسيلة الوحيدة، ولكنّها مهمة في هذا الصدد. وأعتقد أنّ هذه الأمة مؤهلة لتلعب دوراً كبيراً في مستقبل الحضارة الإسلامية باعتبار الموقع القيادي الذي أعطاها إياها الإسلام، باعتبار ما تملك من طاقات حضارية، وباعتبار أنّ المسيرة الإنسانية اليوم لا تفسح المجال إلاّ للأمة الفاعلة المؤثرة في المسيرة، ومن هنا فمنظمة المؤتمر الإسلامي يمكنها أن تفعل الكثير في تحقيق هذا الطموح، ولها دور كبير مستقبلي في هذا الصدد.

محمد كريشان: ولكن سماحة الشيخ يعني.. رغم أهمية الإسلام كجامع لهذا التجمع الدولي يبقى تنوع الدول داخل هذه المنظومة وتعدد ولاءاتها السياسية وتعدد أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية يجعل من مثل هذا التجمع تجمع مناسباتي أكثر منه شيء آخر.

---

١) اجرت قناة الجزيرة في قطر عبر المذيع محمد كريشان مقابله تلفزيونية بعد انتهاء مؤتمر القمة الإسلامي التاسع وها نحن نقدم مقتطفات منها لتتم الفائدة.

يعني.. هل فعلاً يمكن للمؤتمر الإسلامي أن يكون تجمع فعال وله كلمة في رسم السياسة الدولية؟

الشيخ محمد علي تسخيري: أعتقد أنّ هذه المنظمة لو بقيت على وضعها السابق فلن تستطيع أن تفعل الكثير، لكن أمامها سبل للتطوير، عليها ـ أوّلاً ـ أنّ تعيد النظر في آلياتها، وعليها ـ ثانيا ـ أن تمتلك القدرة المالية المستقلة إلى حد كبير، وعليها أيضاً..

محمد كريشان (مقاطعاً): عفواً... يعني مستقلة عن الحكومات؟

الشيخ محمد علي تسخيري (مستأنفاً): نعم، يجب أن تمتلك... حتى تمتلك الاستقلال في القرار أيضاً.

محمد كريشان: ولكن هي أصلاً تجمع لحكومات.

الشيخ محمد علي تسخيري: هي صحيح، ولكن مع ذلك هناك دور كبير للأمانة العامة، وهناك دور كبير للرئاسة في هذا المجال، ولو أنّها ضمنت شيئاً كما يمكن أن يطلق عليه من الجزاء للدول التي لا تمتثل للقرارات، ولو أنّها ضمنت أو فسحت المجال للتجمعات الشعبية أيضاً لتساهم في عملها، فإنّي أعتقد أنّها تستطيع أن تلعب دوراً أكبر مما هو عليه الآن، وبالمناسبة أعتقد أن رئاسة المؤتمر يمكنها أن تؤثر اكثر من ذي قبل، لم يكن للرئاسة دور ـ سابقاً ـ فاعل، ولكنه بدأ يقوى خصوصاً بعد مؤتمر القمة الثامن بطهران. وبدأت الرئاسة تدخل في المساحات المختلفة وتشترك مع الأمانة العامة لتحقيق أهدافها، وإنّي لأرجو لقطر أن تستمر في هذا المجال وتعطي للقوة الرئيسة الدور الفاعل إلى جانب الأمانة العامة، لكي تستطيع هذه المنظمة أن تكون بالمستوي المطلوب لتحقيق تلك الطموحات التي أشرتُ إليها.

محمد كريشان: سماحة الشيخ، هل تراهنون اكثر على الرئاسة أكثر من الأمانة العامة؟ يعني الرئاسة الإيرانية مثلاً ما الذي أضافته؟ وما المطلوب من قطر إذا أردنا أن نكون عمليين وواضحين في الطرح يعني؟

الشيخ محمد علي تسخيري: في الواقع الرهان يجب أن يكون على عناصر ثلاثة، أوّلاً: على آليات المنظمة، والتي قرر مؤتمر القمة تطويرها. وثانياً: على فاعلية الأمانة العامة نفسها. وثالثاً: على القيادة الفعلية لرئيس المؤتمر.

وأعتقد أنّ الرئيس خاتمي عندما كان رئيساً لمؤتمر القمة الثامن بذل كل جهده

ليسير مع القضايا ومع الأمانة العامة لتحقيق ما لديها من طموح ولتقوية مسيرتها، ولا أدل على ذلك من الدور الذي لعبته منظمة المؤتمر الإسلامي في مسألة تحويل قضيَّة الحوار الحضاري أو حوار الحضارات إلى قضية عالمية بحيث قبلت الأمم جميعاً هذه الفكرة، وأعلنت الأمم المتحدة بالإجماع عام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات في قبال أو في مقابل نظرية الصراع التي طرحتها النظرة الأمريكية أو المُنَظِّر الأمريكي هنتنجتون، فهذا نموذج من الدور الذي لعبته المنظمة، ولها أدوار أكبر وأكثر تأثيراً في هذا المجال.

محمد كريشان: هل تعتقدون بأنّ الجانب الثقافي هذا جانب مهم جداً، أنتم رأستم اللجنة الثقافية للمؤتمر الثامن للمؤتمر الإسلامي في طهران، سواء حوار الحضارات أو غيره من هذه القضايا هل ربما تنجح فيها منظمة المؤتمر الإسلامي. أكثر من القضايا السياسية الشائكة أو الاقتصادية المعقدة؟ هل الرهان على الجانب الثقافي رهان مضمون إلى حد ما؟

الشيخ محمد علي تسخيري: لا ريب أنّه رهان مضمون، وتاريخ المنظمة يثبت أنّها نجحت في الجانب الثقافي اكثر منها في الجوانب السياسية والاقتصادية أيضاً، يعني منظمة المؤتمر الإسلامي اليوم تملك مؤسسة ضخمة باسم مجمع الفقه الإسلامي الدولي. التي جمعت العلماء من شتّى أقطار العالم الإسلامي، ومن المذاهب الثمانية، والتي تطرح في كل عام قضايا تهم العالم الإسلامي أو قضايا لم تحل بعد، وتصدر الرأي فيها، وهي خطوة رائعة على طريق التقريب بين الآراء والمذاهب الإسلامية، مثلاً هذه المنظمة نجحت في تشكيل الإيسيسكو وهي منظمة ثقافية متعددة الجوانب، وفي تشكيل (الأرسيكا) أو في الإعداد لجامعات ومراكز ضخمة في شتّى أنحاء العالم الإسلامي، أو في كتابة أو في إقرار الاستراتيجية الثقافية الرائعة للعالم الإسلامي، كل هذه منجزات ضخمة وتذكر وتشكر لهذه المنظمة، لكنّها على الصعيد الاقتصادي مثلاً لم تحقق الكثير، وإن كانت حققت مثلاً تشكيل بنك التنمية الإسلامية، أو طرح فكرة السوق الإسلامية المشتركة، وتشكيل المؤسسات التي تجمع مؤسسات الدول المختلفة، ولكن لا يصل هذا العمل إلى مستوى الإنجاز الثقافي.

في المجال السياسي أعتقد أن المنظمة نجحت في كثير من الحقول، لكن هذا النجاح ـ كما أعتقد ـ لا يصل إلى نجاحها الثقافي.

محمد كريشان: إذا بقينا في المجال الثقافي قبل أن نتطرق للمجال الاقتصادي ربما والسياسي، من الأفكار المثيرة التي طُرحت مؤخراً إمكانية الحديث عن إطلاق فضائية إسلامية بمناسبة رئاسة قطر للمنظمة، كيف تنظرون إلى هذا المشروع؟ إلى أي مدى يمكن فعلاً إطلاق فضائية تليفزيونية إسلامية؟ وكيف يمكن أن نجد لها التصور الذي قد تتفق عليه أغلب الدول الإسلامية رغم تعدد اتجاهاتها سواء السياسية العامة أو غيرها؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة هذا حلم كنا ننتظره، والفضل للرئاسة الحالية، وهنا يظهر دور الرئيس في تحقيق هذا الحلم، وأعتقد أنّ جماهيرنا في أنحاء العالم الإسلامي تنتظر هذه الفضائية، وأرى أنّها تستطيع أن تنجح، ذلك أنّ المساحة المشتركة بين المسلمين أكبر بكثير من مساحات الاختلاف، اختلاف الأذواق، اختلاف السياسات، اختلاف المناطق والثقافات المحلية، المساحة المشتركة أوسع، يمكن لهذه الفضائية الإسلامية أن تركز على المساحة الثقافية المشتركة التي لا يختلف فيها اثنان في عالمنا الإسلامي، منابعنا القرآن الكريم، السنة الشريفة، تاريخنا الإسلامي المتفق عليه، كل هذه الأمور يمكنها أن تفتح آفاقاً رحيبة مشتركة، ويمكن لهذه الفضائية أن تقوم بدور كبير في عملية التوعية، لأنّ التوعية هي الأساس الأوّل لنهضة أي أمة وانطلاق دورها تحت الشمس.

محمد كريشان: على ذكر مساحات الاختلاف... من بين الأشياء التي ـ ربما ـ تؤرّق عديد الباحثين والمتابعين للشأن الإسلامي هذا التعدد في المذاهب، وأحياناً تضخيم البعض للخلافات المذهبية، يعني أنتم عضو في اللجنة العليا للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية... كيف يمكن لهذه الفضائية أو لغيرها من فضاءات الفعل الثقافي أن تتجه لمعالجة هذه القضية بكثير من الروية وبكثير من الحكمة، حتى نبتعد عن هذا التشتت الذي ـ أحيانا ـ يضخم ـ ربما ـ إعلامياً حتى أكثر من اللازم؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة الاختلاف المذهبي هو غنى فكري، وإضافات حضارية تضاف لمسيرة الحضارة الإسلامية، هذا هو المراد، وهذا هو الذي أراده الإسلام من فسح المجال للاجتهاد الحر، وهكذا فهم القادة الأئمة هذا الاختلاف المذهبي، إلا أن عصور الانحطاط وعصور التشرذم في ـ مثلاً ـ في أواخر القرن الرابع الهجري ثم الخامس ثم ما بعد، عصور الدويلات والطغاة

الذين كانوا يتسترون ـ أحياناً ـ بهذا المذهب أو ذاك حولت هذا الاختلاف الرائع المذهبي إلى طائفية مقيتة، وأَصَّلَت هذه الطائفية في نفوس الأتباع، وكان ما شهدناه في خلال التاريخ الإسلامي من فجائع وفظائع يندى لها الجبين، أما الواقع فهو يسمو على هذا... على ما جرى، الواقع أنّ المساحات المشتركة بين المذاهب، وخصوصاً بين السنة والشيعة، هي مساحات ضخمة جداً، حدثني الأستاذ المرحوم محمد المبارك أنّه رأى ٩٥٪ من المساحة الفقهية يشترك فيها السنة والشيعة برأي واحد، ويبقى ٥٪ من هذه المساحة يُشكل موارد الاختلاف، ولكن ـ الأسف كل الأسف ـ أن البعض يركزون على الـ ٥٪، وينسون تلك المساحة الضخمة، الحقيقة هذه الفضائية تستطيع أن تعيش في مساحة الـ ٩٥٪، وأن توسع ـ حتى ـ هذه الـ ٩٥٪ ليفهم بعضنا بعضاً، وإذا تفهمنا بعضنا البعض حصل التفاهم المطلوب، وحلقت الأمة ـ بكل أجنحتها ـ إلى المستوى الذي يريده الله لها.

محمد كريشان: يعني شيخ هذا على مستوى ـ ربما ـ على المستوى الفقهي الديني الفكري العام، يعني عندما يتحدث البعض عن تخوفات من إيران الإسلامية والتوجه الشيعي لدى إيران الإسلامية.. هل تعتقدون بأنّ هذا الحديث عن هذا التخوف ـ خاصة في منطقة الخليج ـ وعندما يتم الإشارة إلى القضايا السياسية سواءً الشيعة في العراق أو الشيعة في منطقة الخليج، يُشار إلى إيران ببعض الريبة، هل هذا الشك تراه في محله؟ وهل هناك من يغذيه أصلاً يعني؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة عندما تحرك الشعب الإيراني ضد النظام الشاهنشاهي كان يعلم ماذا يريد، النظام الشاهنشاهي كان يسعى لإبعاد الشعب في إيران عن جسم الأمة، وجعل إيران قاعدة أمان ـ كما عبر الرئيس الأمريكي ـ لآمال المستعمرين، الثورة الإسلامية أعادت الأمور إلى موضعها الطبيعي، والشعب أعلن أنّه يثور لأجل القرآن، ولأجل الإسلام، وبعد ذلك رأيناه يمشي في مجال دعم الأمة الإسلامية، وضرب المصالح الصهيونية، ولكننا شهدنا الكثيرين من الأعداء ـ كما أعتقد ـ أو الجاهلين الذين يعملون على حصر هذه الثورة في إطار مذهب ما، أو في إطار منطقة جغرافية ما، أو مصلحة إقليمية ما، إلّا أنّ روح الثورة الأصيل يتجاوز كل هذه الحدود الضيقة، ويعيش آمال الأمة الإسلامية، والدستور الإسلامي يرقى على كل هذه الأمور، يعني الثورة أَصَّلَت اللغة العربية، ونشرت ثقافة القرآن بشكل رائع، وراحت تمد الجسور إلى العالم الإسلامي، عملية التخويف

طبيعية من العدو، العدو يُخَوِّف بعضاً من البعض، كما يخوف العرب من إيران يخوف إيران من العرب، وأرى أن على المخلصين - أوّلاً - أن يحتفظوا للثورة بنصاعتها وأصالتها، وأن يمدوا الجسور الواسعة المهيعة بين إيران وكل الدول الإسلامية، وخصوصاً كل الدول العربية، وخصوصاً دول الجوار، ونحن نشهد - والحمد لله - تطوراً جيداً في هذا المجال.

محمد كريشان: يعني مثلما يقع التخويف بإيران أحياناً يقع التخويف بالإسلام بشكل عام، يعني كل هذا الحديث في أحداث معينة عن هذا الربط بين الإسلام والإرهاب والحركات التحررية في بعض البلاد العربية وتوجهها الإسلامي وبين الإرهاب والتطرف، يعني أنتم كرجل دين وكرجل سياسة - أيضاً - يعني كيف يمكن أن تقع معالجة هذه النظرة للإسلام والمسلمين يعني، سواء على الصعيد الثقافي أو غيره؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة يجب أن ندرك أنّ هناك منظومة تعمل على تحقيق هذا الهدف، نفس التنظير ونظرية صراع الحضارات. نفس العمل على خلق عدو وهمي للغرب بعد أن سقط العدو الحقيقي وهو الشرق، كل هذه الأمور وهذه الاتهامات، وربط الإسلام بالإرهاب - مثلاً - وأمثال ذلك. كل هذه المنظومة يجب أن نتفهمها جيداً، ولا نفسح المجال في أمورنا لتسلل هذه الأمور. الحقيقة المرحوم محمد الغزالي كان عنده تعبير جيد يقول عن الأعداء: إنّهم يمتدون في فراغنا لأنّنا تركنا فراغاً ونقاط خلاء وخلل امتد الأعداء إلينا. الحقيقة أنّ الإسلام دين حضاري ودين حوار، حتى مع المشركين نجد القرآن يوصي الرسول بأن يعلن الموضوعية الكاملة ليقول: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين بهذه الروح الموضوعية يدخل الحوار، والقرآن يقرر شروطاً رائعة للحوار لو درسناها بعمق، وطبقناها في مجال تعاملنا مع الآخرين أعتقد أنّ هذه الشائعات سوف تزول.

أعتقد أنّ هناك مجالات للقائنا مع الغرب أيضاً، يعني نستطيع أن نتحدث حول حقوق الإنسان، نستطيع أن نتحدث حول العائلة، نستطيع أن نتحاور حول العدالة، نستطيع أن نتحاور حول السلام العالمي، هناك مجالات كثيرة للحوار، ونفس تقبل العالم لفكرة حوار الحضارات يبشرنا بخير، ويبشر أيضاً بأنّ عصر التهم الزائفة الموجهة إلى الإسلام في طريقه إلى الزوال.

الإيسيسكو والقرن الحادي والعشرون

التحديات والمسؤوليات[1]

مسؤوليات الإيسيسكو في تنمية العالم الإسلامي

تعتبر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ الإيسيسكو ـ، وهي تحتفل بالذكرى الخامسة عشرة على تأسيسها، منظمة دولية تفتخر بها الدول الإسلامية، لما تقوم به من نشاطات أساسية واسعة. لقد جاء تأسيس هذه المنظمة استجابة حقيقية لمتطلبات الدول الإسلامية من أجل التخطيط والتعاون في سبيل الارتقاء بمستوى الأجيال الإسلامية من الناحية التربوية والعلمية الثقافية، إلى قيادة الحضارة الإنسانية، واستعادة الدور الريادي الذي كان للمسلمين في ثقافة الإنسان.

وقد خطت المنظمة الإسلامية خلال السنين الماضية، خطوات إيجابية كثيرة رغم كل التحديات التي واجهتها خلال الفترة الماضية. إلاّ أنّنا ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، نجد أن التطورات العالمية والإسلامية تدعونا لخوض مرحلة جديدة تدعو إلى كثير من التفاؤل بالدور الإسلامي القادم.

إنّ استعادة الدور الحضاري للأمة الإسلامية ينطلق من تربية الجيل القادم تربية تؤهله لحمل المهمة، وتوفير ظروف ملائمة لممارسة الفئة المفكرة دورها في عملية

---

١) ألقيت في ندوة الإيسيسكو بمناسبة مرور ١٥ عاماً على تأسيسها وقد عقدت بالرباط.

البناء الحضاري.

مصادر التحدي وعناصره

وقبل أن نتحدث عن ضرورات المرحلة القادمة، نجد من الضروري ملاحظة العناصر التالية، والتي ترتبط مباشرة بقضيتنا هذه:

أوّلاً: التغيرات العالمية

ومن الواضح أنّنا نواجه خلال القرن الحادي والعشرين تغيرات عالمية كبرى ترتبط تماماً بنوع التحرك الدولي الإسلامي من قبيل (التحولات الضخمة على مستوى الإعلام والعلاقات المعلوماتية، وكذلك ارتفاع مستوى التدخل الدولي في الشؤون التعليمية والاجتماعية والعائلية، وحتى التقنين الداخلي في هذه المجالات وهو ما يتجسد في الاتفاقيات الدولية العامة في إطار منظمة الأمم المتحدة)، ويجب أن تؤخذ كل التغيرات بعين الاعتبار.

ثانياً: التحولات على مستوى الأمة الإسلامية

ذلك أنّ الأمة الإسلامية دخلت عصر الصحوة الإسلامية الكبرى بعد مرحلة طويلة من الفتور الحضاري، وراحت تسترجع خصائصها القرآنية وتحقق معالم شخصيتها وتعمل على تحكيم شريعة الله في كل شؤونها وفي علاقاتها الداخلية والدولية، ومن الطبيعي فإنّ الأرضية المناسبة لأنشطة المنظمات الإسلامية الدولية، سوف تتسع، وبالتالي تلقى على عاتقها مسؤوليات ضخمة في هذا المجال.

على أنّنا نتوقع حضوراً إسلامياً أكبر ولو على مستوى الأقليات في شتى أنحاء العالم مما يضيف بعداً جديداً لهذا التحرك.

ثالثاً: التحولات على مستوى الحوار بين الأديان والحضارات

فإنّ هذا الحوار رغم ما انتابه من ظروف موضوعية أهمها التشكيك في نوايا الداعين إليه وعدم توفر القاعدة المناسبة، عاد اليوم ضرورة عالمية لا مناص منها لتعيين نقاط الاشتراك، سواء على الصعيد الفكري والعقائدي، أو على الصعيد العملي السلوكي الفردي والاجتماعي، أو على الصعيد الحضاري الدولي، باعتبار أنّ الجبهة الدينية يجب أن

تتوحد بوجه الاتجاهات المعادية للدين، كالعلمانية والمذاهب المهدمة للعلاقات العائلية والإنسانية.

وهذا المعنى يلقى بظله بلاريب على الساحة، ويعتبر تحدياً قوياً للقوى العاملة.

رابعاً: التحولات على مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي

فإنّ هذه المنظمة يراد لها أن تلعب دوراً أكثر فاعلية من ذي قبل، سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي؛ فالمنظمة لاتزال لحد الآن تفتقد بعض الجوانب التنفيذية المطلوبة، مما جعلها مع الأسف، لاتعيش في صميم القضايا المهمة؛ فالاستراتيجيات ماتزال معطلة، ولائحة حقوق الإنسان الإسلامية ماتزال تتلمس طريقها للتنفيذ. وما نرجوه هو أن يتبدل هذا الوضع إلى حالة أكبر تأثيراً. وهنا يبرز تحد جديد للمؤسسات التابعة لها لتقوم بالدور الحساس المطلوب منها بشكل أكثر نشاطاً.

إذا لاحظنا هذه العناصر الأربعة، واستعرضنا الأهداف التي رسمتها منظمة المؤتمر الإسلامي للإيسيسكو، نجد أمامنا مستقبلاً زاخراً بالتحديات الجديدة يتطلب منها مواقف أكثر اتساعاً وعمقاً وتخطيطاً.

التحولات العالمية على مستوى الإعلام

فبملاحظة التحولات العالمية؛ نجد أنّ التطور الحاصل في تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الإعلام اختزل الفوارق بين الزمان والمكان، مما سيحدث في القرن الحادي والعشرين نقلة كبيرة في هذا المجال، ولابد للعالم الإسلامي أن يأخذ حظه من هذا التطور ويكشف للعالم إسهامات علماء المسلمين في البناء الحضاري، ويبين مواقفه وأهدافه للمجتمع الدولي، ويعلن عن قيمه التي تدعو إلى السلام الحقيقي والمساواة بين الشعوب والأفراد والعدل واحترام العهود والمواثيق الدولية. وبما أنّ الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ستلعب دوراً مهماً، بل ستشكل ضرورة من ضرورات القرن الحادي‌العشرين، ونظراً لظروف العالم الإسلامي الاقتصادية والسياسية والعلمية الحرجة، فإنّه يمكن للإيسيسكو باعتبارها منظمة عالمية، أن تقوم بدراسة التعاون الدولي الإسلامي في إيجاد شبكة أقمار صناعية والتنسيق في مجال إنتاج ما يحتاجه العالم الإسلامي وما ينسجم مع ثقافته وأهدافه.

ومن جملة ما سيشكل ضرورة من ضرورات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، الاستفادة من الحاسب الآلي وشبكة الأنترنيت لتبادل المعلومات، وهذا أيضاً بحاجة إلى دراسة علمية دقيقة.

إنّ علوم الأقمار الصناعية والحاسوب الآلي يجب أن تأخذ طريقها للكتب المنهجية في الدول الإسلامية، وفي البحوث الجامعية والمعاهد الفنية المختبرات العلمية، وذلك بعناية وباهتمام من المنظمة الإسلامية إيسيسكو من أجل زيادة الكفاءات الإسلامية في نشر العلوم العصرية في عالمنا الإسلامي.

التحولات العالمية في مجال التدخل الدولي في عملية التقنين

ثم إنّ الإيسيسكو مطالبة بإلحاح في إطار وظائفها العامة بالتعامل الحكيم مع الاتجاه الدولي للأمم المتحدة ومن ورائها الدول العظمى للسيطرة على التقنين الداخلي لكل الشعوب، وخصوصاً شعوب العالم الثالث، ذلك من خلال:

١. رصد كل التحركات العالمية والتخطيط المطلوب لطرح المبادئ الإسلامية ووجهات نظر العالم الإسلامي.

٢. استباق الأحداث ووضع التصورات العامة والأسس المقبولة إسلامياً وتعميمها على الدول الإسلامية لتتم التوعية المطلوبة.

٣. عقد الاتصالات الدولية، والحضور الفعال في المؤتمرات واللقاءات التي تتم في هذا الصدد وتنسيق الجهود الإسلامية. وتذكر بهذا الصدد أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي، لم تستطع أن تلعب دوراً نشطاً في مؤتمرات مكسيكوسيتي، وبخارست، والقاهرة، وكوبنهاكن حول التنمية، أو مؤتمري نيروبي وبكين، وأمثالهما حول المرأة، مما فسح المجال لهجوم صاعق من قبل أعداء القيم الإنسانية تحت غطاء التحرك الدولي للتنمية.

٤. التعامل مع الجوانب الإيجابية من هذا التحرك بكل رحابة صدر والوقوف الحازم بوجه الجوانب السلبية.

فوثيقة القاهرة مثلا حول السكان والتنمية، ووثيقة بكين حول المرأة، تحويان بلاريب، عناصر إيجابية كثيرة لإصلاح وضع المهاجرين والمهاجرات، وتنظيم شؤون المبعدين واللاجئين، وقوانين العمل، خصوصا بالنسبة للمرأة والطفل، وإصلاح الوضع

التعليمي، وهي أمور ينبغي تشجيعها وتطويرها، ولكنهما في الوقت نفسه حوتا الكثير من العناصر السلبية الخطيرة كموضوع ما يسمى بالحقوق الجنسية، والصلات بين الجنسين خارج حدود الزواج، تغيير مفهوم العائلة التقليدي. وفسح المجال للإجهاض، والمساواة المطلقة في جميع الشؤون، بل وتأليب جنس ضد جنس آخر، وهي جميعاً وغيرها أمور ينبغي دراستها والاستعداد الكامل للردّ عليها، الأمر الذي كنا نفتقده مع الأسف.

الصحوة الإسلامية ومسؤوليات الإيسيسكو

لم تعد الصحوة الإسلامية مجرد إحساسات جماهيرية، بل أخذت أبعاداً جديدة على مختلف الصعد، مما أثار حفائظ أعداء الأمة الإسلامية، وهذا يتطلب من الإيسيسكو دوراً فاعلا في ترشيد الصحوة الإسلامية وتوجيهها توجيهاً يصب في المساوات الصحيحة لتحقيق أهدافها ضمن خطوات كثيرة، نشير منها إلى ما يلي:

١. تشجيع دراسات الصحوة الإسلامية (أسبابها خصائصها ـ نتائجها) والعمل على ترشيد هذه الصحوة لتقوم بدورها المطلوب في تحقيق الغد المشرق.

٢. العمل على بعث عطاء الصحوة في كل عروق الأمة وتحقيق التوازن التوعوي المطلوب.

٣. المساعدة في تحقيق مقتضيات الصحوة من قبيل دفع عملية تطبيق الإسلام إلى الأمام ونشر المظاهر الإسلامية، وتحريك الحماس المطلوب للقضية الإسلامية.

٤. مراقبة التخطيط المعادي للصحوة وتوعية الأمة بأخطارد وفضح أساليبه.

٥. العمل على تنفيذ كل الاستراتيجيات التي تمت الموافقة عليها والسعي للحفاظ على شخصيتها، والدفاع عن حقوقها، وإمكان قيامها بمهمة الدعوة الإسلامية.

٦. العمل على رفع المستوى الثقافي والعلمي والتقني في الدول الإسلامية، وتطوير أنظمة التعليم بما يخدم أهداف الدول الإسلامية حقيقة، وتشجيع الباحثين والمفكرين والدارسين، وإقامة المبياد الدول الإسلامية في مختلف المجالات العلمية.

ونقترح هنا إعداد تقرير سنوي عن أوضاع العالم الإسلامي في المجالات التي تعنى بها الإيسيسكو، وتحديد ميزان التقدم أو التراجع الحاصل فيها، وعرض هذا التقرير على المؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية ومؤتمرات القمة الإسلامي مع عرض الحلول

الناجعة للمشاكل واقتراح مشاريع قرارات مناسبة.

٧. الاهتمام بمساعدة الدول التي تعاني ظروفاً ثقافية واجتماعية سياسية حرجة كالعراق وأفغانستان والصومال وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيشان، لتخطي هذه المصاعب.

ونسجل هنا أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي لم تكن على مستوى الأحداث الضخمة التي واجهت الأمة الإسلامية حتى في الجوانب الاجتماعية والصحية والثقافية، فضلا عن الجوانب السياسية والاقتصادية، مما يتطلب جهودا حثيثة لمعرفة نقاط الضعف وحذفها ونقاط القوة ودعمها وتقويتها. وإلّا فمن المخجل حقا هذه الفروق الاقتصادية الهائلة بين أنواع الدخل، وأنماط التعليم والمستويات الصحية، وهذه العادات السخيفة المنتشرة هنا وهناك، وهذه المفاسد الأخلاقية التي تعج بها بعض المناطق، ولانكير ولانذير.

ونحن وإن كنا نسعى لكي نحسن الظن بالمسؤولين عن الأمور، لكننا لا نستطيع أن نغض النظر عما تعانيه شعوبنا خصوصا أثناء الويلات والنزاعات العسكرية، من تشريد وتقتيل قد يدوم سنوات طويلة وثقيلة، في حين تنعم أجزاء أخرى من عالمنا الإسلامي بالدعة والراحة وكأنّ شيئا لم يكن.

٨. توظيف العقول الإسلامية المهاجرة في تنمية العالم الإسلامي ففي الوقت الذي تعاني فيه الدول الإسلامية من نقص كبير في الخبراء، نجد الدول المتطورة تعتمد على المفكرين المسلمين في البحث العلمي والدراسات العليا، مع أنّهم لايتقاضون إلّا مايتقاضاه عامل التنظيف، وأسباب ذلك كثيرة، منها أمنية ومنها سياسية، لكن السبب الرئيس هو انعدام وسائل العمل العملي وغياب العناية الكافية برجال العلم في كثير من الدول الإسلامية.

وحبذا لو بادرت الإيسيسكو بإجراء دراسة لتسهيل عملية الاستفادة من العقول الإسلامية وتوظيفها لخدمة العالم الإسلامي أو على الأقل وضع خطة لاستثمار وجود هذه النخبة في المجتمعات غير الإسلامية لخدمة القضايا العلمية والإعلامية والثقافية في العالم الإسلامي.

٩. تطوير مستوي التعامل مع الأقليات الإسلامية المهاجرة أو المقيمة في الدول الأخرى بشكل يضمن لها الرفاه المستمر والحفاظ على الشخصية والدفاع عن الحقوق،

وإمكان القيام بمهمة الدعوة الإسلامية.

الحوار الحضاري

الأمة الإسلامية قد قطعت مرحلة صعبة من التبعية والعزلة، ولاتزال تبذل محاولات عديدة لعزلها عن مسيرة الحضارة الإنسانية وعن المجتمع البشري، وعلينا أن نسعى لأن تكون المرحلة القادمة مرحلة الانفتاح على المجتمع البشري، ولذلك فلابد أن تضع الإيسيسكو نصب عينها مغزى الرسالة الإسلامية وأهدافها العالمية النبيلة ودعوة الآخرين للتعاون في تحقيقها لخدمة المجتمع البشري.

إنّنا نعيش في عالم يتجاهل دور الدين والجانب المعنوي في الحياة الإنسانية ويعاديه في بعض الأحيان، لكنّ الأمة الإسلامية استطاعت أن تضرب للعالم أكثر من مثال، وهو مثال عملي على دور الدين في تفجير المواهب الفردية والجماعية، وما نريد من الإيسيسكو أن تبرهن عليه، هو أنّ الأمة الإسلامية غير منطوية على نفسها، وأنّها لاتعيش بأمجاد ماضيها فقط، بل إنّها قادرة على أن تلعب دوراً فاعلاً في بناء الحاضر والمستقبل أيضاً.

إنّ الأوضاع العالمية القادمة تتطلب مزيداً من التفاهم والاحترام والمساواة بين مختلف الحضارات.

وعلى هذا فيجب أن يتم تخطيط دقيق للأمور التالية:

أوّلاً: معرفة الجهات التي ينبغي أن نتحاور معها.

ثانياً: تحديد موضوعات الحوار الفكرية منها والعلمية.

ثالثاً: تحديد مقومات الحوار والسعي لإعطاء صورة تفصيلية عنها.

رابعاً: تحديد الجهة التي يمكنها أن تتحدث باسم الأمة الإسلامية وتمنح التعهدات المطلوبة.

خامساً: السعي لإيجاد المؤسسات المتخصصة في هذا الموضوع لتتم دراسة النتائج بدقة حتى لاتضيع سدى.

سادساً: تعيين المدى الذي يجب أن يسير إليه الحوار، والمستويات التي يجب أن يتم التعاون فيها بشكل منظبط.

التحولات المستقبلية لمنظمة المؤتمر الإسلامي

أمّا بالنسبة للتحولات التي نتوقع أن تشهدها منظمة المؤتمر الإسلامي، فمن الضروري أن تستعد الإيسيسكو لمرحلة تنفيذية أكبر تستطيع معها أن تنفذ إلى التخطيط التعليمي والثقافي للدول الأعضاء، وأن تراقب سير عملية التنفيذ للإستراتيجيتين الثقافية والإعلامية، وأمثالهما من الوثائق الدولية التي تشكل من حيث المجموع، حصيلة ثقافية مهمة لهذه المنظمة.

و إنّنا لنتوقع أن تقوم المنظمة بإرجاع أمر الكثير من القرارات الثقافية الاجتماعية إلى منظماتها العاملة، وفي طليعتها الإيسيسكو لتشرف هذه عليها بكل دقة وتواصل، وهذا ماحدث بالنسبة لبعض الجامعات والمراكز الثقافية، طبعاً مع ملاحظة وجوب تأمين الموازنة اللازمة.

اقتراحات عامة

وفي الختام نقدم بعض الاقتراحات في سبيل الارتفاع بقدرة الإيسيسكو على تحقيق أهدافها المقدسة.

الأوّل: كثيراً ما نجد العجز المالي يقف مانعاً مهما من تحقيق الأهداف المطلوبة، ومن هنا فنحن إذ ندعو الدول الأعضاء لتسديد مساهماتها المالية بانتظام، نؤكد على ضرورة تنظيم مشروع اقتصادي متكامل يمكنه أن يحقق الاكتفاء الذاتي نسبيا. ولم نجد في ميثاق المنظمة مايمنع من ذلك، وإذا كان هناك مانع وجب العمل على رفعه.

الثاني: مضاعفة النشاط في إطار المنظمة للعمل على عقد اتفاقيات مستمرة ثنائية مع الدول الأعضاء وغيرها، وكذلك مع المنظمات الأهلية ليتحمل الطرفان فيها تكاليف المشروعات الثقافية، وهذا المعنى يتمشى مع البند الثاني من المادة السابعة عشرة للميثاق، ويوفر للمنظمة قدرة أوسع على التحرك.

الثالث: بناء على ما تضمنه الميثاق من وظائف، نجد من الضروري أن ترصد المنظمة كل اللقاءات الثقافية والدينية على المستوي العالمي، وتعمل من خلال فتح الصلات مع منظميها، على الحضور الفعال فيها، والدفاع عن الثقافة الإسلامية والشخصية الإسلامية، كما يمكنها أن تشكل حلقة بين هذه الجهات وكل المنظمات الإسلامية المؤهلة.

الرابع: تعتبر الإيسيسكو من منظمات المؤتمر الإسلامي التي يسمح لها بالعمل على الصعيد غير الرسمي، إلّا أنّ التعامل مع هذا القطاع مازال غير حاصل على النصيب الأدنى. ومن هنا نقترح أن تعمل المنظمة على التعامل التعاون الأكبر مع هذا القطاع، بل يمكنها أن توازن بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي، وهذا المعنى يمنحها قدرة أوسع، وسمعة أكبر، ومجالا أرحب لخدمة قضاياها الكبرى.

الفصل الثاني

العلاقة مع الأديان

سيدنا إبراهيم عليه السلام

نموذج الإنسان الحضاري الكامل[1]

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ❁ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾[2].

يكاد يكون سيدنا إبراهيم عليه السلام الشخصية الوحيدة التي تجمع البشرية المتألهة على اعتبارها الأسوة الحسنة، وما نسعى إليه في هذا الاجتماع هو دراسة نقاط الالتقاء الإنساني التي تنسجم مع أصولنا العقائدية جميعاً لنجعلها منطلقاً حياً لمسيرة انسانية واحدة، ومن ثمّ لنعمل على تقريب الفرد المساهم في الحضارة الإنسانية من هذا النموذج الفريد.

وقبل استعراض ما يقرره القرآن الكريم حول هذه الشخصية العظيمة يجب أن نلاحظ بعض النقاط كمقدمات تمهيدية توضح توجه النظرية الإسلامية للحياة أوّلاً بأبعادها العامة، ثم نستعرض الدور الذي يلعبه الفرد في هذا التوجه الحضاري الإنساني

---

١) بحث ألقي في مؤتمر الأديان الابراهيمية المنعقد في قرطبة باسبانيا، بتاريخ ١٩٨٧/٢/١١.

٢) الحج، ٧٦ و ٧٧.

كما نركز على العقبات التي تنطرح أمام مسيرة هذا التوجه نحو أهدافه الكبرى مشيرين إلى العلاج المتصور. كل ذلك يؤكد أن الصورة القرآنية عن هذا الرجل الموحد يمكنها أن تشبع تماماً كل الحاجات التي تفترضها تلك النظرية في الرجل الذي يصنع التقدم الحضاري ويترك بصماته على التطور الحقيقي ـ من وجهة نظر الإسلام ـ أي التطور المنسجم مع خط الفطرة الصاعد إلى الله تعالى.

أهم المبادئ للنظرية الإسلامية حول الحياة الحضارية الإنسانية

الأول: ان الحياة الإنسانية نعمة الهية منّ بها الله ـ الرحمن الرحيم ـ تعالى على هذا الموجود وكرمه بها ليوصله إلى كماله الوجودي المناسب له.

الثانية: ان هذا الموجود الإنساني لا يصل إلى كماله إلا من خلال عمل اجتماعي حضاري تاريخي ومتدرج ومتكامل، تقوده إلى تكامله هدايتان تشكل إحداهما نبيه الداخلي وهي الفطرة بكل ما فيها من طاقات للمعرفة النظرية والعملية، ودوافع نحو استكناه المجهول، والاتجاه للكمال والتدين للإله المطلق، وقدرات للتعقل والتجريد والاستدلال، وتجاوز الحدود المادية، وهذه هي الهداية الفطرية. في حين تشكل الأخرى عقله الخارجي الذي نسميه (بالوحي) وهي الهداية التشريعية التي تكمل عنصر الإرشاد لديه وتهيئه للوصول إلى الهدف.

الثالثة: ان المسيرة الإنسانية تصادفها مشكلات جمة يمكن تلخيصها بما يلي:

١. مشكلة عدم الايمان بأي وجود أعلى، وبالتالي عدم التسليم لأي قيمة او قانون وهي ما نسميه أحياناً بـ(الالحاد).

٢. مشكلة الايمان المفرط بآلهة وهمية تأتي نتيجة عملية تصعيد ذهني لبعض الوجودات المؤثرة حقيقة أو حتى وهما وبالوصول بها إلى مستويات مطلقة، وجعلها موجهة تمام التوجيه للحياة.

٣. مشكلة التعارض بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية.

٤. مشكلة عدم وجود الدافع الذاتي للتسليم للحدود الاجتماعية وتطبيق النظام الاصلح حتى ولو كان يعارض المصالح الشخصية.

٥. مشكلة خمول الطاقات الفطرية نتيجة التخلف الاجتماعي. وغير ذلك من

المشاكل التي تترك أعظم الآثار السلبية على المسيرة الحضارية الإنسانية.

فالمشكلة الأولى اذا تحكمت في المجتمع ـ وكذلك المشكلة الرابعة ـ فإنهما تؤديان إلى تحلل عارم، وعدم انتماء مقيت فظيع لا تستقر معه حياة، ولا يسلم فيه قانون، وبالتالي لا تفترض معه مسيرة سالمة.

والمشكلة الثانية اذا انتشرت مزقت البشرية إلى جماعات متناحرة، وأوقفت عجلة التقدم الإنساني؛ باعتبار ان هذه الآلهة الوهمية تتحول إلى قيود على الذهن الإنساني الحضاري لأنها وليدة وضع متخلف، فلا تسمح ـ إذن ـ بوضع أكثر تطوراً.

والمشكلة الثالثة: تكاد تكون هي سر كل هذا الظلم والحيف والجور والتعدي على حقوق الجماعة، وما إلى ذلك من الفسق والانحراف عن المسيرة الإنسانية السلمية.

أما المشكلة الرابعة: فهي قد تحول الإنسان إلى مجرد حيوان وديع مسخر للطبيعةأو لمصالح الإنسان الآخر، وبالتالي تفقده القدرة على احتلال دوره الحضاري المنشود، وهنا نذكّر بأن هذه المشاكل قد تكون احياناً ناشئة من طبيعة الإنسان نفسه، كما قد تكون ناشئة من عوامل خارجية طارئة، إلا أنّ النظرية الإسلامية والواقع يؤيدها ـ تؤكد ان الحلول الحقيقية لهذه المشاكل الحضارية تكمن في الدين وهو ما تقود إليه الفطرة والطبيعة الإنسانية نفسها، وبالتالي فإذا تجسد الدين في الرجل الحضاري استطاع أن يغيّر المسيرة.

أما كيف يتم الحل على يد الدين فهو ما يمكن تلخيصه بالأمور التالية:

فأوّلاً: يعتمد الدين الإلهي مسألة الإيمان بالله العظيم وهو المطلق الحقيقي الذي تنزع إليه الفطرة كل النزوع، ولا تستريح الا بالوصول إليه والاطمئنان بذكره ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[١] وهو الوجود الحقيقي الذي لم يصنعه الذهن القاصر بل هو خالق الوجود.

وثانياً: يعتمد مسألة الوحي وامتداد الرحمة الإلهية إلى البشرية لتستمد من (العلم الإلهي) و(اللطف الرباني) ما يعطي الإنسان المخطط التفصيلي لحياته الصاعدة بعد ما أعطته فطرته المخطط الاجمالي لذلك.

---

١) الرعد، ٢٨.

وثالثاً: يعتمد مسألة الآخرة والحياة الإنسانية الممتدة إلى عوالم الخلود، وبالتالي تتحول الحياة من وجود محدود إلى حياة خالدة.

ورابعاً: ينظم كل الشؤون الحياتية ويربي النفس الإنسانية على حب يتعالى على الأمور الدنيا ليذوب في الله العظيم. ويتحول إلى تسليم حنيف خالص له جلّ وعلا لا يرى حقيقة في الوجود الا هو، ولا مولى في الكون الا هو، ولا محبوباً غيره، ولا مؤثراً سواه. جلّت قدرته وآلاؤه. وعندما يتأصل الدين في وجود الإنسان ويملأ عليه وجوده واحساساته فسوف لن تبقى أية مشكلة من المشاكل السابقة على الاطلاق، ولا معنى لتصور الالحاد، أو التأليه الكاذب،التغليب الجشع للمصالح الفردية، أو العصيان، أو حالات الخمود الفطري، كلاّ وإنما يعود السير طبيعياً نحو الكمال المطلق، وكادحاً نحو الله ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾[1].

الرابعة: ان الإنسان الفرد يستطيع أن يغير نفسه ومجتمعه ومسيرته الحضارية، لابل إن الإسلام يطلب من الإنسان المؤمن ان يدعو ربه دائماً ليجعله إمام المتقين. وبهذا الاحساس نقول ان النظرية الإسلامية لا تذيب الفرد في دوامة المجتمع في نفس الوقت الذي تعترف فيه بالإطار الاجتماعي النظيف مجالاً خصباً للتحول التكاملي للفرد. وبهذا يمكن أن يكون الفرد في سلوكه (أمة) على سعتها إذا امتلك تأثيرها المطلوب، وتفجرت لديه طاقات الفطرة الكامنة، وطفحت على سطح سلوكه دفائن العقل والنفس اللامادية الفاعلة، وهكذا كان إبراهيم عليه السلام[2].

إبراهيم عليه السلام نموذج الرجل الحضاري القائد

إن القرآن الكريم ليركز على شخصية إبراهيم عليه السلام تمام التركيز والتأكيد. بما لا نظير له من بين الشخصيات القيادية التي يطرحها. اللهم إلا شخصية الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وآله التي يعتبرها تجلياً لدعاء سيدنا إبراهيم، وأسوة للبشرية الصالحة.

---

١) الانشقاق، ٨٤.

٢) للتعمق في هذا المجال راجع ما كتبه الإمام الشهيد الصدر في نهاية كتابه «الفتاوى الواضحة» حول دور العبادات في حياة الإنسان.

وقبل أن نستعرض بشكل اجمالي خصائص هذه الشخصية نشير إلى نقطتين مهمتين في البين هما:

أوّلاً: ان ملاحظة دقيقة لهذه الخصائص توضح لنا أن إبراهيمعليه السلام كان يتمتع بكل الخصائص الحضارية للفرد القائد المغيِّر، وأنه استطاع ـ أو أن القرآن الكريم من خلال إبراز هذه الخصائص ـ أن يصور أروع كيفية للتغلب على كل نقاط الضعف التي أشرنا إليها من قبل.

ثانياً: إن القرآن الكريم يؤكد بكل دقة على علاقة الأمة الإسلامية بإبراهيمعليه السلام وذلك بأساليب كثيرة. فهو تارة يجعله والذين معه أسوة حسنة للمسلمين ﴿قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾[1].

وأخرى يجعل الأمة الإسلامية مظهر اجابة لدعائه عليه السلام ﴿ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[2].

ويطلق عليه ـ تارة ثالثة ـ اسم (الأب) ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾[3].

كما أنه يأمر هذه الأمة باتباع هذه الملة الحنيفة ﴿ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[4].

وهكذا جاء في قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾[5]. حيث يتم الربط بين إبراهيم والدور الحضاري للامة وبالتالي فإن أولى الناس بإبراهيم هم أتباعه وهذا النبي والمؤمنون ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾[6].

ويتجلى هذا الربط أروع تجل بعملية الحج حيث تبدأ العملية تاريخياً برفع قواعد هذا البيت.

---

١) الممتحنة، ٤.
٢) البقرة، ١٢٩.
٣) الحج، ٧٨.
٤) النحل، ١٢٠.
٥) الحج، ٧٨.
٦) آل عمران، ٦٨.

﴿واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم﴾[1].

ثم بذلك النداء التاريخي يطلقه عليه السلام منادياً كل فصائل التوحيد لتطوف حول البيت الحرام: ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[2].

وبذلك يتم الربط العظيم بين إبراهيم وهذه الأمة وكل ما تقوم به من عمل حضاري (تردد نفس النشيد وتعمل نفس العمل وترفع نفس الشعار).

من الخصائص التي يذكرها القرآن لإبراهيم عليه السلام

لعل أهم الصفات التي يتحدث عنها القرآن الكريم، وأجمعها؛ هي صفة (الحنيفية) والتي تعني باختصار (صفاء الإيمان، وعمقه في النفس، وتحوله إلى تسليم مطلق لله تعالى)، يقول تعالى:

﴿قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[3].

﴿قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[4].

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[5].

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[6].

﴿إنَّ إبراهيمَ كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين﴾[7].

﴿ثم أوحينا اليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[8].

---

١) البقرة، ١٢٧ و ١٢٨.
٢) الحج، ٢٧.
٣) البقرة، ١٣٥.
٤) آل عمران، ٩٥.
٥) النساء، ١٢٥.
٦) الأنعام، ١٦١.
٧) النحل، ١٢٠.
٨) النحل، ١٢٣.

وهذه الصفة هي مقتضى المسير الفطري السليم وهو ما أكّد عليه الأنبياء جميعاً، فبعد ذكر قصة إبراهيم والتركيز على خطه يأتي هذا المقطع القرآني ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾[1]. ولذلك يعتبر القرآن ملة إبراهيم هي الطريق السليم، وما عداها لا يعدو السفه ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾[2]. ويؤكد سلامة خطه عن كل لون آخر ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[3].

ويعتبر شريعته الصراط المستقيم ﴿قل إنّني هداني ربّي إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قيماً ملّةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[4].

﴿إن إبراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾[5].

وخلاصة الأمر أن (الحنيفية) والاخلاص لله هي سر الوجود الحضاري الفاعل.

بعد هذا لنستعرض بإجمال أهم الصفات التي يذكرها القرآن لهذه الشخصية وهي:

أوّلاً: الإيمان البالغ حد اليقين النافذ للقلب والوجود كله، وهو ما نلحظه في مجموع الآيات.

ثانياً: التأمل والتفكر والتعقل الدائب:

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون * إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين﴾[6].

ثالثاً: الدعوة إلى التوحيد بشتى الوسائل ومنها اقامة بيت التوحيد.

رابعاً: الحجاج الفطري السليم في مجال الدعوة إلى الله:

﴿وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا

---

١) النحل، ١٢٣.
٢) البقرة، ١٣٠.
٣) آل عمران، ٦٧.
٤) الأنعام، ١٦١.
٥) النحل، ١٢٠ و ١٢١.
٦) الأنعام، ٧٦ - ٧٩.

تعبدون ❊ أئفكا آلهة دون الله تريدون ❊ فما ظنكم برب العالمين ❊ فنظر نظرة في النجوم ❊ فقال اني سقيم ❊ فتولّوا عنه مدبرين ❊ فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ❊ مالكم لا تنطقون ❊ فراغ عليهم ضرباً باليمين ❊ فأقبلوا إليه يزفون ❊ قال أتعبدون ما تنحتون ❊ والله خلقكم وما تعملون﴾[١].

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين ❊ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ❊ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ❊ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ❊ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ❊ قال بل ربّكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ❊ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين ❊ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ❊ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين ❊ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ❊ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلّهم يشهدون ❊ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ❊ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ❊ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون...﴾[٢].

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا ❊ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ❊ يا أبت إنّي قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ❊ يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّا﴾[٣].

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم ❊ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ❊ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ❊ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ❊ أو ينفعونكم أو يضرّون ❊ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ❊ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ❊ أنتم وآباؤكم الأقدمون ❊ فإنهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين﴾[٤].

﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ❊ إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم

---

١) الصافات، ٨٣ – ٩٦. ٢) الأنبياء، ٥١ – ٦٤.

٣) مريم، ٤١ – ٤٥. ٤) الشعراء، ٦٩ – ٧٧.

رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[١].

خامساً: التسليم المطلق لله تعالى يقول القرآن المجيد:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك... * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[٢].

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلمّا تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم *... ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾[٣].

﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين *... قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾[٤].

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[٥].

سادساً: الاهتمام بالمسيرة الإنسانية كلها والبدء بالذرية

---

١) العنكبوت، ١٦ و ١٧.
٢) البقرة، ١٢٦ - ١٣٣.
٣) التوبة، ١١٣ - ١٢٠.
٤) آل عمران، ٦٠ - ٦٤.
٥) النساء، ١٢٥.

﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب انّهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنّه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربّنا إني أسكنت من ذرّيتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربّنا إنّك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبّل دعاء * ربّنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ [١]

سابعاً: الصراع الفكري والعملي ضد الأصنام واعلان البراءة الدائمة من خطها العملي:

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [٢].

ثامناً: عدم التخوف من الشرك وآلهته المزيفة وتهديداته:

قال تعالى : ﴿ وحاجّه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربّي كل شيء علماً أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزِّل به عليكم سلطاناً فأيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ [٣].

تاسعاً: التضحية التامة في سبيل الهدف، وكل حياة إبراهيم تضحية بالنفس والأهل والولد في سبيل الهدف....

عاشراً: توفير البيئة الصالحة لتلقي الرحمة والبركة الإلهية:

﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمتُ الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ [٤].

حادي عشر: امتلاك الصفات الإنسانية العليا:

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا

---

١) إبراهيم: ٣٥ـ٤١.
٢) الممتحنة، ٤.
٣) الأنعام، ٨٠ و ٨١.
٤) هود، ٧٣.

يظلمون نقيراً * ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾[١]. ﴿ إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب ﴾[٢]. ﴿ أم لم ينبّأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفّى * ألاّ تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأنّ سعيه سوف يُرى * ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ﴾[٣]. ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفيل وكلٌ من الأخيار * هذا ذكر، وان للمتقين لحسنَ مآب ﴾[٤].

ثاني عشر: الدعاء واللجوء الدائم إلى الله:

﴿ ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك الحرام المحرَّم ربّنا ليُقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون * ربّنا إنك تعلم ما نُخفي وما نُعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ﴾[٥].

ثالث عشر: الجهاد المتواصل:

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على النّاس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾[٦].

وبعد كل هذا ألا يحق لنا أن نعبِّر عن إبراهيم بأنه النموذج الإنساني الحضاري الكامل، وأنه (الأمة) القائمة لوحدها، وأنه المحور الذي يجب أن تجتمع حوله الأديان جميعاً وتسير في ظلّه محققة هدفه وهدف الأنبياء جميعاً، وهو تعبيد الإنسانية لله، والصراع ضد الطاغوت والاستكبار ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[٧].

---

١) النساء، ١٢٤ و ١٢٥.
٢) هود، ٧٥.
٣) النجم، ٣٦ - ٤١.
٤) ص، ٤٥ ـ ٤٩.
٥) إبراهيم، ٣٧ و ٣٨.
٦) الحج، ٧٨.
٧) النحل، ٣٦.

ولذا فإننا ندعو البشرية جمعاء إلى هذا المستوى الرفيع، وإلى نبذ كل الاطروحات المادية التي سلبتها وجودها الإنساني الأصيل ومقامها المكرم، وذلك رغم ما طرحته من شعارات برّاقة كالحرية والديمقراطية، والضمان والاشتراكية، والعلاقات الاقتصادية المتوازنة، وما إلى ذلك، وما هي في الواقع إلا جسور لتحقيق المطامع الجشعة لأرباب الكارتلات النفطية، وشركات الاحتكار العالمية، ومؤسسات النقد ا لدولية الجاثمة على صدور الشعوب الضعيفة. وإننا بعد هذا لندعو البشرية إلى أن تؤطِّر كل نظمها الحياتية (التربوية، والاقتصادية، والحقوقية وغيرها) بإطار أخلاقي إنساني رفيع، يعتمد عناصر الثبات الفطرية، ويتّجه نحو الكمال المطلق بفلسفة شاملة تركز على خصائص الإنسان الأصيلة (التعقل، الإندفاع المتحرك دائماً نحو الكمال، الإرادة الواعية) والحضارة إذا فقدت هذه العناصر فقدت روحها وسارت بالبشرية إلى وديان العذاب والدموع، فإلى حياة القرآن الكريم ندعو كل الشعوب.

* * *

خلاصة نظرة الإسلام إلى

العلاقة بين الحق والتكليف والعدالة[1]

لكي ندرك هذه العلاقة لابد من ان نعرف هذه المصطلحات وندرس كيفية نشوء العلاقة بينها وندرك سر الإشكال وكيفية حلّه.

فالحق: هو في اللغة (الثبوت) ولذا يطلق على البارئ جلّ وعلا فهو تعالى (الحق المطلق) ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾[2]. ويطلق أيضاً على الخبر المطابق للواقع.

والكون كلّه ـ كما يصوره القرآن الكريم ـ يقوم بالحق أي يوجد عبر رحمة إلهية. ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما فيها إلّا بالحق﴾[3]. ومن هذا المفهوم الحقيقي الواقعي انتزع مفهوم اعتباري ليساهم فى تنظيم العلاقات الاجتماعية. ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾[4].

وعليه: فيمكن القول بأنّ الحق الاجتماعي يمتلك بعدين:

الأوّل: النشوء من حالة واقعية (تركيب تكويني أو مصلحة واقعية).

الثاني: اعتبار شرعي أو عقلائي أو عقلي (قائم على الفطرة).

منشأ الحقوق:

---

١) بحث أُلقي في مؤتمر الحوار في فينا، بتاريخ ١٩٩٩/٩/١٧.

٢) انعام، ٦٢.

٣) الحجر، ٨٥

٤) الرحمن، ٧- ٩.

والذي يبدو من النصوص الإسلامية، ومن التأمل الذاتي هو ان كل الحقوق ترجع في أصولها إلى الفطرة الإنسانية وتشكل بذلك مجالاً لتحقق مفهوم للعدالة. ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [١].

والعدالة امر يدرك حسنها العقل بشكل مطلق. ولذلك فان الله تعالى وهو الحق يأمر بالعدل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [٢] وتوضيح هذا الأمر:

ان نظرية الفطرة (التي تقبل بها الأديان) تؤكد ان الإنسان موجود متميز يحمل امكانات ذاتية اودعها الله تعالى فى طينته.

وهذه الامكانات تقود الإنسان إلى كماله المطلوب اذا توفرت لها الظروف المناسبة. وتشمل الأمور التالية: قضايا العقل النظري وقضايا العقل العملي والدوافع الفطرية الغريزية نحو الكمال وحب الذات والتدين وغيرها.

ولن ندخل في تفاصيل هذه المكونات وانما نكتفي بهذه الاشارة لننتقل الى القول بان الوجدان الإنساني قد يدرك بشكل واقعي بعض الحقوق الإنسانية مباشرة من قبيل ادراكه:

لحق الإنسان فى الحرية المعقولة. وقد جاء في النصّ التاريخي «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

وحق الإنسان فى الحياة ولوازمها. ﴿ومن قتل نفساً فكأنّها قتل الناس جميعاً﴾ [٣]

وتقابل ذلك (تكاليف) الآخرين بحفظ هذه الحقوق. حيث يؤكد القرآن ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ [٤].

فاذا ضممناإلى ذلك حكم النفس الإنسانية الدائم بحسن العدل. والمقصود به اعطاء كل ذي حق حقه ادركنا بان هناك منظومة اساسية تنطلق منها الحقوق، والتكاليف على أساس من العدالة.

الحقوق والتكاليف والعدالة الدينية:

والنصوص الإسلامية تؤكد ان الفطرة الإنسانية نفسها تقود الإنسان الى عالم

---

١) الروم، ٣٠.

٢) النحل، ٩٠.

٣) المائدة، ٣٢. (اقتباس)

٤) اعراف، ٨٥

رحب وسيع وأفق عظيم هو أفق (الدين) باعتباره متقوماً بالعلم الإلهي الواسع والقدرة الإلهية المطلقة واللطف الإلهي الشامل.

فان قضايا العقل الفكرية تقود الإنسان إلى الايمان بالله تعالى ايماناً عقلياً، كما ان قضايا العقل العملية تؤكد له ضرورة اللجوء إلى هذا الوجود المطلق والاستمداد منه والتعبد له وطاعته طاعة كاملة مناسبة لحقه كمولىً حقيقي لهذا الكون كله وحينئذٍ ينفتح امام الإنسان عالم واسع للحقوق والتكاليف وانماط العدالة هي في الواقع مستمدة من تلك المنظومة الفطرية الصغيرة التي يدركها بوجدانه. فالعقل هنا يقوم بدور الهادي إلى الله والداعي إلى طاعته في حين يفتح الدين أمامنا آفاقاً واسعة من الحقوق على ضوء العلم الإلهي بالعلل الواقعية والكمالات الإنسانية.

وعندما ندخل العالم الديني نجد أنّ النصوص الدينية تتحدث عن مقولات كثيرة من قبيل:

أوّلاً: التوسع في مجال الحقوق بما يكفل قيام نظام اجتماعي سليم يكفل سيراً طبيعياً للفرد والمجتمع نحو الكمال (وذلك وفق العلم الإلهي الواسع بمايصلح الإنسان، وهنا تأتي الحقوق الاعتبارية والشرعية الواسعة في مختلف المجالات (الفردية والاجتماعية، والتربوية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك).

كما تأتي (التكاليف الإلهية) في تلك المجالات كما يأتي توضيح دقيق لكيفية التعادل بين الحقوق والتكاليف.

وثانياً: فان النصوص الدينية تؤكد ان هذا النظام الحقوقي الذي اعطاه الله تعالى يقوم على أساس العدل العام ﴿**اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله**﴾[1]. وان هناك موازاة للتوازن التكويني مع التوازن التشريعي.

﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان**﴾[2].

خامساً: طرح الفقهاء المسلمون مسألة مفصلة ليفرقوا فيها بين الحقوق والاحكام (التكاليف) ولا نرى حاجة للدخول فيها فهي من تفاصيل البحوث الفقهية وهي تتبع الدليل الذي يثبتها من حيث اللوازم التابعة كالاسقاط والنقل والانتقال وغير ذلك.

---

١) المائدة، ٨. ٢) الرحمن، ٧ و ٨.

والخلاصة هي:

١. إنّ هناك منظومة لهذه العلاقة يُدركها الإنسان بفطرته.

٢. إنّ الفطرة تهدي الإنسان إلى الدين (كعالم ارحب).

٣. إنّ الدين ينظم العلاقة على أُساس من علم الله وقدرته ولطفه بالانسان.

٤. وإنّ نظام الحقوق الديني يقوم على القسط والعدل وتحقيق المصلحة الإنسانية والتوازن المطلوب.

سرّ الإشكال وسبيل الحلّ:

والذي يبدو لنا من خلال ما تقدم ان مسألة الايمان بنظرية الفطرة الإنسانية تفتح مجالاً للحديث عن (الحقوق) و(التكاليف) و(العدالة) و(الإنسانية) و(الأخلاقية) و(الذوق الفني) وغير ذلك.

بل ان هذه المسألة هي التي تفتح مجالاً لتحقق (المعرفة الإنسانية اليقينية).

وبدونها فكل حديث عما مضى انما هو حديث بلا معنى كما نتصور (وهذه حقيقة كبرى تصطدم بها الاتجاهات المادية بقوة) ومن هنا جاءت النصوص الإسلامية لتؤكد على (الفطرة) وان الدين في الحقيقة ينسجم مع (الفطرة) لانها واقع أصيل والدين مشروع واقعي لاصلاح الإنسان يقول تعالى:

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾[1] وهذه الآية الكريمة تقرر كما يقول الامام الشهيد الصدرقُدِّس سرُّه في كتابه «اقتصادنا» (ص ٣١٢).

أوّلاً: ان الدين (بكل ما فيه من حقوق وتكاليف ومنظورات للعدالة) هو من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعاً لا تبديل لخلق الله.

ثانياً: ان هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلّا الدين الحنيف الخالص اما اديان الشرك والايمان بالالهة الوهمية النسبية فهي لا يمكن ان تحلّ المشاكل الإنسانية.

يقول سيدنا يوسف لصاحب السجن: ﴿ما تعبدون من دونه الا اسماء سمّيتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾[2].

---

١) الروم، ٣٠. ٢) يوسف، ٤٠.

وثالثاً: ان الدين الحنيف الذي فطرت عليه الإنسانية يتميز بكونه ديناً قيماً على الحياة قادراً على التحكم فيها وصياغتها في إطار العام.

ذلك ان المسألة الاجتماعية المهمة في تاريخ الإنسان هي التعارض الذي ينشأ بين المصالح الفردية (وهي تؤدى لان يتصور الإنسان لنفسه حقوقاً في الحصول عليها بمقتضى حب ذاته و(المصالح الاجتماعية) التي يطرحها النظام الاجتماعي الذي يعيشه ويفرض عليه (تكاليف) تجاهها باسم (العدالة) وهذا التناقض بين المصالح الفردية والاجتماعية لم يستطع العلم ان يحلّه، فان علم الإنسان لن يقف مطلقاً امام ترجيح مصالحه الشخصية.

ولم تستطع المادية التاريخية من خلال قوانينها التاريخية ان تقدم الحلّ ويبقى للدين الحل النهائي لهذا التعارض وتحقيق العدالة وذلك من خلال ربطه بين المصالح الذاتية وسبل الخير إذ يقول القرآن الكريم:

﴿ومن عمل صالحاً من ذكر وانثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة، يرزقون فيها بغير حساب﴾[1] ويقول: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها﴾[2].

وهكذا تتلاحم المصلحة الفردية والمصلحة الاجتماعية و(الحقوق) و(التكاليف) تلاحماً رائعاً ينفي التعارض.

يقول المرحوم الشهيد الصدر قدس سره:

«فللفطرة الإنسانية إذن جانبان فهي من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتية التي تنبع منها المشكلة الاجتماعية الكبرى في حياة الإنسان (مشكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية للمجتمع الإنساني) وهي من ناحية اخرى تزود الإنسان بإمكانية حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي إلى التديّن»[3].

* * *

---

١) غافر، ٤٠. ٢) فصّلت، ٤٦.

٣) اقتصادنا، ص ٢١٠ ـ ٢١٢، طبعة مشهد.

فلسفة العلاقة بين السلام والعدالة[1]

انطلقت دعوة الحوار بين الأديان على أسس منطقية سليمة، وراحت تترك أثرها الجيد في مجال تحقيق التفهم والتفاهم المنشود وتقليل مناطق الصدام، وتوفير مجالات التعاون المستمر على صعيد خدمة القضية الإنسانية والقضية الدينية، والقيم المعنوية.. ونحن نرجو لها التوسع من مرحلة التفاهم بين المتخصصين إلى مرحلة صيرورتها ثقافة عامة تعشقها الشعوب وتتعامل على أساس منها في مختلف قضايا التماس الحضاري بعيداً عن محاولات الاستغلال والتشكيك.

ومن اوليات قضية الحوار ـ اي حوار كان ـ ضرورة الانطلاق من قناعات متفق عليها مسبقاً.. لتكون هذه القناعات هي الاضوية الكاشفة التي تحل العقد وتفتح السبل المسدودة لعملية الحوار، وتقضي في موارد الخلاف.

وما نتصوره ان الايمان بالفطرة هو من القناعات المشتركة بين جميع الأديان السماوية:

والمقصود بالفطرة هو ان الإنسان مخلوق الهي اودعت الحكمة الإلهية في وجوده وطينته الاصلية مجموعة من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول والغرائز التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له.

وإنّ الأديان إنّما جاءت لتثير له دفائن العقول ـ كما يعبر الإمام علي عليه السلام ـ وتهيىء الجو المناسب لبروز هذه الطاقات كامنة على سطح حياته فتهديه سبيلاً إنسانياً يختلف كل

---

١) بحث ألقي في مؤتمر الحوار بموسكو، بتاريخ ١٩٩٩/٦/٥.

الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي لا تتمتع بما يتمتع به من طاقات.

اما القضايا البديهية فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الاشياء وتلك من قبيل: الايمان بمبدأ العلية، والايمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين، وارتفاع النقيضين) و(بعض القضايا الأخرى) فهذه قضايا مغروزة في القناعة والوجدان الإنساني لا يحتاج للاستدلال عليها والا دخل في طريق مسدود لأنّ الاستدلال نفسه يتوقف عليها كما هو واضح.

أما القدرات العقلية فهي نفس قدرة النفس الإنسانية على التأمل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكليات، والقيام بقياس الاشياء للوصول إلى تصورات جديدة والتخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم.. ان هذه القدرة الذهنية هي من مختصات الإنسان وهي سرّ مسيرته التكاملية وابداعه ونموّه.

واما الميول الغريزية فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه للاستفادة من طاقاته في هذا المجال:

ومن هذه الميول: ميله نحو الكمال، والسير نحو الكمال المطلق، ومحاولة سد جوانب العجز في وجوده، والركون إلى هذا المطلق القادر واداء حقه وشكر نعمه والقيام بحق طاعته ـ فهذه امور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وان اختلفت تجلياتها وتعددت أساليبها وربما غطت الشبهات على هذه الميول وكبتتها.

ومنها أيضاً غريزة حب الذات والعمل على تحقيق طموحاتها فهي من الغرائز الاصلية في الإنسان والتي لا يمكن تجاوزها والقضاء عليها، كما تصورت الماركسية يوماً ما أنها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية.

ومنها التذوق الفني: والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخر بها هذا الكون.

ولسنا نريد استعراض كل العناصر الفطرية وانما نريد ان ننطلق إلى هذه الحقيقة وهي: ان الاقتناع بان (العدالة شيء حسن دائماً) و(ان الشيء الحسن ينبغي فعله) هي من القناعات الفطرية التي لا تحتاج إلى دليل... فإذا اقتنع الإنسان بان الموضوع المعين حسن اقتنع بانه مما ينبغي فعله دونما تشكيك فهو موضوع مطلق كما ان من المواضيع المطلقة حكم الوجدان الإنساني بان قضية (اطاعة المنعم الحقيقي، والمالك الحقيقي للكون

والإنسان) هي قضية مطلقة لا تتخلف أيضاً وهناك من القضايا التي زرعت في الوجود الإنساني كمصاديق لمسألة العدالة (أصلاً) الصدق، والأمانة، والرحمة، والإيثار، والسلام.

فهذه الأمور حسنة في أصلها، ونقصد من عبارة (في اصلها) أنها قد تطرأ عليها بعض الحالات التي تفقد معها حسنها الطبيعي الفطري وتخرج من كونها تجليات للعدالة ومصاديق واقعية لها لتعود من تجليات الظلم والتعدي.

ونستنتج من هذا ان الفطرة الإنسانية تحكم بنوعين من الحكم:

أحدهما مطلق من قبيل: العدالة نفسها وطاعة الخالق الحكيم.

والثاني مقيد ونسبي من قبيل: الصدق والسلام.

فقد يكون الصدق في بعض الاماكن نتيجة ما يؤول إليه من تبعات ظلماً لا عدالة وكذلك السلام احياناً بما يؤدي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة فان السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهاً من وجود العدالة، ونرفضها ان كانت ظلماً ولكن التساؤل الاساس هو: ما هي معايير العدالة؟ وكيف نتأكد من تحققها.

ان الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأول: معيار تعبدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق وهو الله تعالى وهو تعليمات الدين الثابتة، والتي نتأكد من كونها صادرة من الله سبحانه ذلك اننا نتأكد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتعه بكل صفات الكمال، فهو لا يريد بالإنسان الا الخير ولا يخدع الإنسان وانما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه التأمل في الاعماق وقناعاتها أو فلنعبر يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق الفطري هو كون هذه القناعة ـ أيّة قناعة كانت ـ من ملازمات الطبيعة الإنسانية ولذلك نجدها متوفرةً لدى كل ابناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وازمنتهم وامكنتهم.

ولكي نتأكد من هذا المعنى نستطيع ان نطرح هذا السؤال على اي إنسان (هل تعتبر ان السلوك الفلاني سلوكاً انسانياً ام سلوكاً حيوانياً) مثلاً (قتل اليتامى والعجزة

والمستضعفين للتلهي والتشهي) مثل هذا السلوك يعد سلوكاً وحشياً من قبل اي إنسان بلا ريب والقرآن الكريم احياناً يعيد الإنسان إلى تأمله الوجداني وقناعته الفطرية ﴿أحلَّ لكم الطيبات﴾[١] ويترك امر تعيين الطيبات للإنسان ﴿إنّما حرّم ربّي الفواحش﴾[٢] ويترك امر تعيين الفواحش أيضاً ويعتبر الخروج عن الحالة الإنسانية (فسقاً) وانحرافاً عن الطبيعة ﴿نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون﴾[٣].

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة وهي:

ان الأديان تؤمن بالفطرة الإنسانية، وان الفطرة تقرر كون العدالة مطلوباً مطلقاً وكون السلام مطلوباً اذا شكل مصداقاً من مصاديق العدالة وتجلياً لها ومن هنا كان التأكيد الدائم على (السلام العادل) تأكيداً انسانياً صحيحاً.

السلام العالمي والموقف منه:

قلنا لا ريب في كون الامان مطلباً انسانياً فطرياً يستمد جذورد من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة (حب الذات). وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للانسان... فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجوّ الأمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الاطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

فالامن إذن حاجة انسانية دائمة لا تغيّرها الظروف، وليس ظاهرة عرضية حتى يقال، بأنها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدل تبدلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا فمن الطبيعي أن نتصور الحاجة إلى نظام شامل يتكفل حماية الامن الفردي والاجتماعي على

---

١) المائدة، ٥. ٢) الأعراف، ٣٢.

٣) الحشر، ١٩.

مدى مسيرة الإنسان الطويلة.

ولا يمكننا أن نتصور حدوداً لمسألة حماية السلام والامن الا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها، بعد أن ندرك أن الفطرة هي معيار الحقوق الإنسانية كلها بشكل اجمالي. وأنها هي التي فرضت حماية الامن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الامن تحديداً الا اذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصراً ضد الامن نفسه، فلا معنى إذن لضمانه.

وإلّا فكيف نتصور الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الامن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدد بما يردعه عن فعلته، حتى ولو كان ذلك بتهديد أمنه؟

* * *

الحوار بين الإسلام والمسيحية
الموانع والحلول[1]

إذا كان السيد المسيح العظيم جاء هذه الأرض الطاهرة ليقدسها ويربطها بالله العظيم، وإذا كانت جحافل الظامئين عبر التاريخ جاءت عيون هذه الأرض الظاهرة فارتوت منها، وراحت تسقى من نميرها كل الظامئين الآخرين، وتغذي كل أولئك الذين يتضورون جوعاً للمعرفة والحقيقة، وإذا كانت الصفات التي تحلى بها هذا الشعب العظيم تتألق في سماء عالمنا اليوم، وإذا كانت المقاومة اليوم تتجلى قدرة حقيقية تبهر الانظار؛ فحقيق على جميع الظامئين وجميع العاشقين في أيّ مكان حلّوا أن يحجوا إلى هذه الأرض وأن يعيشوا مع حاضرها... مع مقاومتها، وحينئذ ليس غريباً أن يكون بينكم هذا الرجل الصغير ليعيش أروع أيام حياته، أنا أعتقد أنّ الكثير من الجوانب التي يتوفر عليها الحوار بين أتباع الديانات الإبراهيمية التوحيدية بقي مجهولاً تحت أطمار من النظريات الضيقة والتعصب وادعاء احتكار الحقيقة ومنعها عن الآخرين، مما أفقد البشريه ـ وأؤكد أفقد البشرية ـ الكثير من العطاء الذي لو أثمر لغذى طريق الأجيال.

هدف الأنبياء

الإسلام ينظر للإنسان كخليفة الله، والإسلام ينظر للدين كعطية إلهية منطلقة من

---

١) حديث ارتجالي في جامعة الحكمة المسيحية بلبنان، بتاريخ ١٩٩٧/٦/٣.

منطلق اللطف الإلهي بالبشرية، أليس الله خالق الإنسانية؟إنّه الأعلم بخبايا النفس، وإنّه الأعلم بما يصلح هذا الإنسان ويقوده إلى هدف خلقته، وهذه نقطة أركز عليها.

يخطئ من يتصور أنّ الله كان بحاجة لشيء، فالله غني مطلق، لطفه اقتضى أن يوجد هذا الإنسان ليسير إلى الكمال، وكمال الإنسان قربه من الله، الدين إذاً هدية، والمسيرة الدينية واحدة، الأسس واحدة، هذه حقيقة قرآنية أصيلة، الأنبياء جميعاً إنّما جاؤوا ليحققوا هدفين ـ وفق منطق القرآن ـ:

الهدف الأوّل: تعبيد الحياة لله وتعميق معالم الشخصية الفردية الاجتماعية والدينية.

والهدف الثاني: هو الصراع ضد مظاهر الطاغوت والطغيان، ومظاهر الطاغوت تعني كل فسوق عن المسيرة الفطرية الصافية، كل نبوٍ عن المسيرة الإنسانية الحقيقية. يقول القرآن الكريم: ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ [١] هل نرون نبياً حاد عن هذا الهدف؟ إذا كان الأمر كذلك فكل ما جاء به الأنبياء عطاء على هذا الطريق، وإذا كانت هذه هي الحقيقة فكل تقارب بين أتباع الأديان سوف يثري الفكر الإنساني، ويمنح المسيرة الإنسانية قدرة وثباتاً على الخط وتسمراً للاحداق في الهدف.

القاعدة القرآنية للتقارب

لا أريد أن اتحدث عن تاريخ العلاقة بين الإسلام والمسيحية، والكثير منكم أعلم مني في هذا المجال، ولا أريد أن أتحدث عن الاحترام الخاص الذي يقيمه القرآن لتعاليم الأنبياء، وبالأخص تعاليم السيد المسيح، وعندنا هنا علماء يعلمون أنّ الكثير من النصوص الإسلامية تستقي بالنص من تعاليم السيد المسيح، تستقى بالنص لتقول لأتباعها أنّ هذه التعاليم هي تعاليم سماوية، وأنّ الإسلام جاء ليعمّق هذه التعاليم، ويا حبذا لو نهض المفكرون لاستخراج هذه النصوص لندرك جميعاً عمق تأثير تلك التعاليم التي جاءت من منبع واحد في ثقافتنا الإسلامية.

إذا لاأريد أن استعرض، وإنّما أذكر لاستنتج، أيضاً أريد أن أنسى الماضي الطويل

١) النحل، ٣٦.

لحالات التداول في الصراع بين المسلمين كدول والمسيحيين كدول، هناك تاريخ طويل من الصراع تارة تتقدم القوة الإسلامية إلى قلب العالم المسيحي، وأخرى تتقدم القوة المسيحية إلى قلب العالم الإسلامي، وتزهق نفوس ونفوس وتغمر حضارات وحضارات ـ مع الأسف الشديد ـ باسم الإسلام وباسم المسيحية، وكم كان حري بنا أن نجلس جميعنا إلى القاعدة القرآنية الكبرى: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾[1].

إذا أعبر كل هذه الحوادث: أعبر حوادث الأندلس، وأعبر الحروب الصليبية، وحتى أنّي أعبر ـ أحياناً ـ الصراع على السواحل الافريقية والجنوب آسيوية لأصل إلى واقعنا الحاضر، وأعبر كل الكتابات التي ـ مع الأسف ـ انطلقت من منطلق تعصب أو من منطلق حقد، ولا أفرق فيها بين الكتابات المسيحية والإسلامية، فكل من ينطلقون خلاف الحقيقة مدانون، وكل من يكتبون من منطلق الحقد والتعصب مرفوضون، أمّا المقبولون فقط فهم الذين ينطلقون من منطلقات الحقيقة وخدمة القضية الإنسانية.

نقاط الضعف في مسيرة الحوار

الحوار بين الإسلام والمسيحية ليس قديماً، وإن كان التماس قديماً، ولكن الحوار بشكله الحاضر يكاد يكون مستحدثاً، إلّا أنّ أكثر محاولات الحوار قد ابتليت بنقاط ضعف كثيرة، واسمحوا لي أن أذكر بعض النقاط الأساسية:

أوّلاً: إنّ الحوار ركز على العنصر العقائدي المجرد، على الحوار اللاهوتي فقط، حتى دون أن يدرك مدى أثر التوصل إلى قناعة في ذلك الجانب على الحياة العملية، ومن الطبيعي أن تبقى الاستغلالات قوية لدى الجانبين. نسيان الحديث عن الجوانب الفكرية أو الجوانب الايدئولوجية المبنية على تلك الأسس الأصول المشتركة، نسيان الحديث عن القيم الأخلاقية التي يؤمن بها الطرفان، نسيان الحديث عن القيم الاجتماعية التي يؤمن بها الطرفان أفشل كل محاولات الحوار.

ثانياً: أنّ كل فريق كان يدخل ساحة الحوار وكأنّه يدخل ساحة معركة ليحسم

---

١) آل عمران، ٦٤.

الموقف لنفسه، يقول للآخر أنت على باطل وأنا على حق، ويجب أن يحذف الباطل ويحق الحق وأنا الحق، إذا كانت هذه الروح اللاموضوعية هي المحور فلن نتوقع نتيجة. اسمحوا لي أن أنقل لكم آية قرآنية تقول لرسول الله، لمحمد وهو المؤمن برسالته تمام الإيمان، تقول له يجب أن تدخل إلى الحوار مع الآخرين بروح حذف المسبقات الذهنية كلها، تدخل بهذه الروح وتقول لمحاوريك ﴿ **وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾[1] قد تكون أنت على الحقأنا على الباطل، والعكس بالعكس، وقد يحمل كل منا جزءاً من الحقيقة فإذا تكاملنا تكاملت الحقيقة.

النقطة الثالثة: هي أنّ كل إنسان يريد أن يتحاور يطلب من الآخر أن يعترف به أوّلاً، المسلم يقول للمسيحي اعترف بي أوّلاً حتى أحاورك، والمسيحي يقول للمسلم اعترف بي أوّلاً حتى أحاورك. هناك بعض الموانع، ولابد من التفاهم على الحدّ الأدنى من الاعتراف بالآخر، وحينئذ لايبقى المسلم سجين ذاتهلايبقى المسيحي سجين نصوصه، ويكون الحوار منتجاً.

رابعاً: إنّ الحوار كان يجرى بين شخصين أو بين طرفين كل منهما يشك بالآخر، يدخل المسلم إلى الحوار ويقول للمسيحي أنت تحاورني لتحقق أهدافاً سياسية، ويدخل المسيحي إلى الحوار ويقول للمسلم أنت تحاورني لتحقق أهدافاً سياسية أخرى، وفي إطار الشك لايمكن للحوار أن يثمر.

النقطة الخامسة: هي أنّ الحوار كان يجري بشكل عفوي، لاتنظمه مؤسسة، ولايبدأ الآخرون من حيث انتهى الأوّلون، يجري بشكل متقطع متجزئ لايعبر عن مسيرة، ولايستفيد من السوابق، على الأقل أنا أشهد أمامكم من الجانب الإسلامي.

النقطة الأخيرة: التي أود الإشارة إليها، أنّ كلا الجانبين كان يفتقد المرجعية الرئيسية في الحوار، لنفترض أنني أقنعتك أو أنّك أقنعتني، أو أنّنا اتفقنا على خطة، فمن الذي يقبل بهذه الخطة؟ ألم يكن الأحرى أن تكون هناك مرجعية دينية تتصدى نيابة عن هذا الجانب، وأخرى عن ذاك الجانب حتى إذا ما اتفقنا على شيء عاد قاعدة للجميع!!

هذه مجموعة نقاط، وهناك نقاط أخرى لم أتعرض لها ولكنها تنفعنا كثيراً عندما

---

١) سبأ، ٢٤.

نحاول أن ندخل مرحلة جديدة من مراحل الحوار. أعتقد أنّه من الطبيعي أن تتولى المرجعيات الدينية تنسيق مواقفها في كل طرف، وأن تتولى هذه المرجعيات سحب رواسبها النفسية والتاريخية والقاءها جانباً، قد لانستطيع أن نتحرر من هذه الرواسب، على الأقل ولو للحظات الحوار، لنصل الى نتحة.

وهنا أريد أن أقول أنني أفضل أن ينتقل الحوار من الحوار الكلامي اللاهوتي المحض إلى الحوار الفكري العلمي، وما أكثر القضايا التي يمكننا أن ندرسها فكرياً؛ أليست مسألة صراع الحضارات مسألة تستحق أن نفكر فيها معاً ونتحاور؟! هل قدر الحضارات أن تتصارع؟ هل قدرنا جميعاً أن نعيش الحرب، أما السلام فيجب أن لانحلم به؟ هل هناك مجال لمساحات مشتركة في التعامل الحضارى؟ هل علينا أن نتبع «هانتينگتن» مثلاً؟ أم نتبع نظريات «بريان» وأمثاله، أم أن هناك مجالاً قوياً للتعاون بين أتباع الأديان؟

مساحات مشتركة للحوار

أ. حقوق الإنسان

حقوق الإنسان ـ مثلاً ـ مسألة ضخمة يمكننا أن نتعاون وندرسها بقوة، هل صحيح ما يقال من أنّ الدين يقف أمام حقوق الإنسان؟ أنا أعتقد، وأنطلق في هذا من منطلق إسلامي مسيحي، لأنّي أو من بأنّ الدين وحده يؤمن بشيء اسمه الفطرة، ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾[1] أؤمن بأنّ الفطرة تعني أنّ التركيبة الإنسانية صاغها الله لتسير بشكل طبيعي نحو المحبة والخير، أرأيتم هذا النص الذي قرأه علينا رئيس الجامعة، لو أنّك حملت كل معاني العلم والمعرفة الإيمان وفقدت المحبة فإنّك لاتساوي شيئاً. الفطرة هي منبع المحبة، الفطرة هي مجموعة النوازع والطاقات التي يملكها الإنسان تقوده نحو كماله، إذا جردنا الإنسان من فطرته جردناه من إنسانيته، ما الفرق بين الإنسان والخشب، الخشب تصنعه باباً أو تحرقه لم تخالف فيه فطرته، أما الإنسان إذا سلك سلوكاً فإنّه يقال هذا السلوك سلوك وحشي لا إنساني. ما الذي يميز بين السلوك الإنساني واللاإنساني؟ أليس ما يشير إليه الوجودان؟ والوجدان جزء من الفطرة. على أساس الفطرة

---

١) الروم، ٣٠.

يقوم نظام الحقوق، بل على أساسها يقوم نظام الأخلاق، ويقوم نظام المعرفة الإنسانية.

عندما يقول الفلاسفة العقلانيون إنّ الإنسان ينطلق من سجن ذاته الخارج وفق البديهيات العقلية، يشيرون إلى أنّ هناك أموراً غرست في فطرة الإنسان هذه الأمور بديهية لا مناقشة فيها: الإيمان بالعلية، الإيمان باستحالة اجتماع النقيضين، الإيمان بوجود العالم الخارجي، هذه أمور فطرية نعبر من خلالها إلى العالم، وبدونها فنحن حبيسو ذاتنا، الفطرة هي مساحة جيدة نتحاور حولها نتحدث. أنا أؤمن بأنّ المعرفة مقسمة، وأنّ الفكر الإنساني إذا دأب وفقه الله تعالى إلى مساحات، لماذا لا استفيد من مساحات فكرك ولاتسفيد من مساحاتي الفكرية؟ الإيمان بالقيم العائلية والقيم الإنسانية أليست أموراً من صميم الدين؟!

أنقل إليكم تجربة من «مؤتمر السكان والتنمية»، هذا المؤتمر الضخم الذي عقد في القاهرة، أعدت له وثيقة مملوءة بتصورات مادية فردية محطمة لكل العلاقات الاجتماعية والعائلية، مملوءة بنصوص تخالف الوجدان الديني، تدعو إلى الاباحية الجنسية، بل تدعو لطرح مصطلحات لايعرفها القانون، هل سمع أحد القانونيين بما يسمى «Sexcial Rights» الحقوق الجنسية ـ؟ هذه الحقوق تطرحها هذه الوثيقة بقوة، وتؤكد أنّ الحقوق الجنسية تعنى أنّ كل فرد له الحق في أيّ اتصال جنسي وليس لأي فرد آخر أن يشرف عليه مطلقاً، حتى الأب والأم والعائلةأ وأنّ الاقترانات الأخرى، غير الاقتران بالزواج، مقدسة كالزواج تصرح بذلك في تعاريفها. بل تدعو هذه الوثيقة لتغيير تعريف العائلة ـكما ذكرت في مكان آخر ـ، العائلة: هذا الذي نعرفه في الأديان أب وأم وأولاد، و علاقات قانونية، وحجر زاوية في البناء الاجتماعي، أليس كذلك؟! الوثيقة تدعو لتغيير تعريف العائلة وجعله (كل مجموعة يصرف عليها مال واحد)، هل تعلمون ماذا يعني هذا؟ يعني أنّك لو نظرت إلى مجموعة من الذين يتناولون المخدرات في مكان واحد لا سميتهم عائلة، أو نظرت إلى مجموعة من الشواذ جنسياً ـ وأرجو المعذرة ـ لاسميتهم عائلة؛ ومعنى ذلك تحطيم كل الروابط العائلية، وإذا ماتت العائلة مات المجتمع، وإذا مات المجتمع ماتت كل القواعد الأساسية لإقامة النظام والدين.

هذه الوثيقة طرحت أمام العالم وناقشتها دول، كثيرون رفضوا أن يشاركوا، قلنا لماذا نرفض؟ ندخل الساحة ونبين رأينا، ودخلنا وأصرت دول «النورديك» على الموافقة

على هذه الوثيقة بقضها وقضيضها، وقلنا ديننا لايسمح وتعاونا مع الفاتيكان أروع تعاون، واستطعنا أن نغير أكثر نقاط الضعف في هذه الوثيقة من خلال هذا التعاون، وخرجت الوثيقة نظيفة إلى حد كبير، مع بقاء بعض نقاط الضعف أليس هذا مجالاً للتعاون؟ لم أقل للفاتيكان أنت على حق ولم يقل لي أنت على حق ولم أطلب منه أن يعترف بي تماماً، ولكنّنا قلنا نتعاون فيما اتفقنا عليه.

ب. القيادة والشورى

و هناك قضية، لاأظن أنّها تخفى عليكم، أنّها قضية العلاقة بين القيادةالشورى، أو الحكم الفردي والحكم المجلسي، أليست هذه القضية موجودة بين الكنائس؟ هناك من يؤمن بولاية البابا ـ مثلاً ـ، وهاك من يؤمن بولاية شورى عامة لاتخص فرداً، هل هذه قضية مسيحية فقط؟ أنا أقول لكم إنّها قضية إسلامية، حتى أنّنا عندما انتصرنا على ما يسمى بعرش الطاووس،كان عرش الدم والحديد، واجهنا هذه المشكلة، هل الإمام حر فيما يحكم وله الولاية الكاملة ـ أسميناها ولاية الفقيه ـ، وإذا كان الأمر كذلك فما دور الشعب؟ أم نترك الأمر للشعب كيف ينتخب وأنّى ينتخب وأي قانون يريد؟ وهذا لاينسجم مع التعليمات الإسلامية والنظام الإسلامي الذي اختاره الشعب نفسه. كان هناك حوار مطول، وانتهينا إلى هذه الصيغ، صيغ توجيهات المرشد وقيادة الولي الفقيه للساحة، وكذلك تدخل الشعب بمجالسه البرلمانية وانتخاباته للرئاسة وما إلى ذلك ـ بكل قوة ـ، فإذا وصل الحكم إلى طريق مسدود تدخلت ولاية القائد لتفتح هذا الطريق المسدود. وكان هذا التعاون الرائع، وأقمنا نظاماً أسميناه الشورى في ظلّ ولاية الفقيه، أنّها قضية يمكننا النقاش حولها.

ج. الهجوم المادي الغربي

لقد زرت بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الروسية، وإذا به يقول لي: «نحن في روسيا، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، نتعرض لهجوم ثقافي مادي غربي، وأنتم تعرضتم لهذا الهجوم، ولكم تجارب ضخمة في هذا المجال، لماذا لانتعاون ونستفيد من تجاربكم وتستفيدون منا لكي نواجه الهجوم المادي،ألسنا جميعاً ضد الإلحاد والمادية؟ نعم كلنا نرفض الاتجاهات المادية لأنّنا نؤمن بالله جميعاً. هذا مجال نتعاون عليه كثيراً.

الحوار مع كل الأديان

لا أريد أن أطيل كثيراً في هذا المجال، وإنّما أريد أن أفسح مجالاً للأسئلة عسى أن أقف على شيء ممّا يعتلج في بعض الصدور من أسئلة، وربما استطعت أن أقدم توضيحات لها، ولكني أريد أن أقول إنّنا بدأنا وأصررنا على أن نفتح باب الحوار مع كل الأديان: المسيحية واليهودية والزرداشتية، المجوس نحن نعتبر هم أهل كتاب وبالتالي فتحنا معهم حواراً، بل حتى الأديان غير الإلهية، مثل البوذية والهندوسية دخلنا معها في حوار لأنّنا نعتقد أنّ لها جذوراً إلهية؛ بل الحوار مع الغرب بدأناه حواراً فكرياً، وتوصلنا فيه لنتائج جيدة. أنا أفتخر بأنّي التقيت بزعماء الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكيسة،المجلس العالمي للكنائس، والكنيسة الانجيلية والايرلندية،زعيم الكنيسة في كرواتيا، والكنيسة الاميركية، وغيرهم كثيرون. ولنا معهم حوارات مختلفة وندوات متصلة ومتتابعة.

و أفتخر بأنّي استجبت لدعوة من سيادة الكاثيلوكوس آرام الأول، هذا الرجل العامل لصالح الحوار، والذي زارنا في ايران، وافتخرنا بزيارته، ورأى الإخوة الارمن هناك وهم يعيشون ككل فرد في شعبنا، يضحون كما نضحي، يشعرون بكل ما نشعر، ويتمعون بكل ما نتمتع به، كجزء لايتجزأ من كل هذا الوجود. ولي كل الفخر أن ألتقي هنا بالقادة الروحيين من شتّى الكنائس ومن علماء المسلمين، وأتعرف على وجوه طيبة.

و قبل أن أختم كلمتي، أودّ أن أخص بالشكر هذه الجامعة وزعيمها المحقق الكبير، وأساتذتها وكل المسؤولين فيها، لأنّها قدمت خدمة جلي للفكر، و أسأل الله تعالى أن يجعلنا جمعياً على طريق الحق. والآن أنا مستعد للإجابة على الأسئلة، إذا سمحتم.

أسئلة ومداخلات

- المطران بسترس، مطران بعلبك
- الدكتور بطرس ديب، رئيس الجامعة اللبنانية سابقاً
- المطران الزغني
- الدكتور شوقي ريا، أمين عام المنبر الحر
- الاباتي بولس نعمان، مؤرخ ورئيس الرهبنة المبنانية سابقاً
- الاستاذ ابراهيم عطوي، صحافي في جريدة النهار

- الاب الدكتور مونس، أستاذ جامعي وعميد معروف
- حول نظام الحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية
- أسئلة الوزير خاتشيك بابكيان

المطران بسترس، مطران بعلبك

عندما سمعنا سماحتكم في هذا الفكر. شعرنا بأنكم تعبرون عن فكرنا أيضاً. ونشكر لكم هذا الانفتاح، ونشكر لكم هذا التقارب، ونتنمى أن يكون الجميع من مسلمين ومسيحيين على هذا القدر من الانفتاح والتفاعل. كنت في لجنة الحوار الإسلامي المسيحي رئيساً للجنة المكلفة من قبل البطاركة الاساقفة في لبنان وبدأنا نوعاً من التعاون بين المسيحيين المسلمين، و نهيىء لموتمر مسيحي إسلامي ننشر فيه هذا الفكر، وسنبدأ إن شاء الله السنة القادمة بمؤتمر نوجز فيه ما توصل إليه الفكر المسيحي، وبنوع خاص الفكر الكاثوليكي، من بعد المجمع الفاتيكاني الثاني؛ وسررت أن أرى في محاضرتكم القيّمة موجزاً ومطابقة لكل ما نعد له، ونتمنى أن يتجاوب معنا الأصدقاء المسلمون لكي ينجح هذا المؤتمر. اللبنانيون بأجمعهم يريدون الحواريريدون التعاون ولكن هناك الشعب، الشعب لايزال عائشاً - كما قلتم - في رواسب قديمة. أريد أن أطرح - بكل بساطة - هل تطور الفقه الإسلامي إلى ما يفسح في المجال لهذا التعاون، مثلاً حقوق الإنسان أصبحت أمراً معترفاً به في جميع الدول ومنها الحرية الدينية، وقد تكلمتم أنّ الارمن في ايران يعيشون هذه الحرية، فهل يسمح لهم بأن يكون لهم مدارس على غرار المدارس الخاصة، لا أعرف ما هي القوانين التي تشرع المدارس في ايران، ولكن في لبنان توجد حرية المدارس فهناك المدارس الرسمية والمدارس الخاصة، وكل الطوائف اللبنانية مسيحية وإسلامية لها الحق بأن يكون لها مدارس خاصة، أريد فقط أن استوضح من سماحتكم حول موضوع المدارس في ايران.

(الجواب)

تطور الفقه نحو تعاون مشترك

شكراً لسيادتكم على هذا التعبير وأجدني ممتناً لهذه الكلمات الطيبة، أتصور أنّ هناك سؤالاً سبق مسألة المدارس في ايران وهو عن تطور الفقه. أنا لااستطيع أن أقول أنّ

الفقه الإسلامي استطاع أن يحقق أوج عليائه، فهو أيضاً يقطع مرحلة بعد مرحلة، ولكنني أجد في فقهاء المذهب الشيعي الإمامي نهضة كبرى، وأجد انفتاحاً على القضايا العالمية. وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وخصوصاً بعد أن ووجهوا بطلب عظيم من النظام الإسلامي ليقول الفقه كلمته في مختلف النظريات التي يجب أن تطرح حتى تحل المشكلات؛ وأرى فيه تحولاً كبيراً.

أمّا بالنسبة لحقوق الإنسان، فاعتقد أنّ مسألة حقوق الإنسان في عالمنا الثالث، وحتى في عالمنا الإسلامي، ما زالت تحبو في مدارجها النظرية. وما زلنا بحاجة إلى ترجمة حقوق الإنسان في الإسلام، على لائحة قدمت إلى مؤتمر القمة الإسلامي فوافق عليها بدوره، وكان قد كتب في آخرها عبارة تقول: «تعمل الدول الأعضاء على تطبيق هذه الحقوق في واقعها الداخلي»، فقالت بعض الدول يجب أن نضيف عبارة «إذا وافقت قوانينها الداخلية». قلت له: إنّ هذا يعني أنكم تقولون للإسلام أو للدين، وأنتم ترون أن هذه حقوق إسلامية، يمكنك أن تدخل بيتي إذا طابق قدك أو طولك طول الباب الذي نملكه، فإذا كنت أطول من هذا الباب عليك أن تقطع رأسك أو تقص رجليك.

الإنسان له حقوق بحدودها المعقولة، ولا أوافق على الحق المطلق في كثير من هذه الحقوق. لأنّ المطلق يتعارض مع حقوق الآخرين في كثير من الأحيان، إذا آمنا بأنّ هذا الحق هو من الحقوق المعترف بها شرعاً؛ فإن علينا أن نطبقه حتى لو خالف قوانيننا الداخلية، علينا أن نغير هذه القوانين بدل أن نغير هذا الحق الذي آمنا بأنّه حق.

مدارس الأقليات الدينية في الجمهورية الإسلامية

أمّا المدارس في ايران، فإنّ للإخوة الارمن مدارسهم الخاصة. كما لكل الأقليات المسيحية وغير المسيحية ـ اليهودية ـ مدارسهم الخاصة، ويرأسها مدراء أرمن. كما أنّ لهم نائبين حرّين في البرلمان الإسلامي، يتحدثان بقوة أمامهما الميكرفون المفتوح للشعب كله، لأنّ البرلمان مفتوح للشعب،هناك إذاعة خاصة يستمع الشعب من خلالها لكل المناقشات. كما أنّ للأقليات خمسة نواب، وأحد علماء الارمن معنا هنا، الأستاذ سركسيان، وهو ممّن نحب وربما يشهد أروع التحام بين المسيحية والإسلام. فإنّ الأطروحة التي قدمها هذا المسيحي المؤمن تتحدث عن ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام بأسلوب جميل.

نطلب من حضرته أن يطبع هذه الأطروحة لنستفيد منها.

و ما أكثر مؤلفات لبنان حول أئمة أهل البيتعليهم السلام بالأمس ذكرنا جورج جرداق وملحمته الخالدة «علي صوت العدالة الإنسانية»، تغنينا بها نحن شباب، ومؤلفات سليمان كتاني والآخرين، والملاحم الشعرية للشعراء أمثال: بولس سلامة ونصري سلهب... كلهم عظماء، تسرى كلماتهم في عروقنا كالعافية، تغنينا وترسم لنا ملحمة الوحدة.

على أي حال، أمامكم هنا أقول: مائتا ألف أرمني لهم نائبان في المجلس،هي نسبة لو انعكست على الشعب لم يكن هناك تناسب بينها، فليس لكل مائة ألف شخص نائب، يعني لهم أكثر بالنسبة لأفراد الشعب الآخرين، فلكل مائة وخمسين ألف منهم نائب، ولهم الحرية الكاملة فيما يقولون. كذلك لهم مدارسهم التي تدرس باللغة الارمنية، وقد زارنا ـ كما قلت ـ الزعيم الروحي كاثوليكوس الارمن آرام الأول: وزار هذه المدارس، وزار الكنائس فاسألوه وسوف يحدثكم.

الحرية والكرامة

الكرامة بطرس ديب، رئيس الجامعة اللبنانية السابق، (سفير ومثقف ومورّخ)

«لايستحين أحد إذا كان لا يعلم الشيء ان يتعلمه»، كلمة من نهج البلاغه الخالد، كنت اذكرها وأتأملها وأنا أنتشى مما كنت أسمع.

تحدثتهم يا سيدى عن التقارب، والإنسان أخ الإنسان، والتقارب هو القاعدة، والعكس هو الشواذ غير المقبول، فمتى سمى الفكر إلى تلك الأعالى تتضاءل الفروع الصغيرة، وتصغر في عين العظيم العظائم.

تحدثتم عن حروب صليبية وعففتم عن التوقف عندها وحسنا فعلتم كما في سائر ما تقولون، وإذا كانت الحروب إجمالا وسيلة سخيفة في التعامل بين البشر فيما تفترضه من فرض الحل بالقوة لا بالفعل والعدل، فربما كانت الحروب الدينية من أسخف الحروب لأنّ الذين يستميتون في القتال وبكل شراسة لايعرفون لماذا يقتلون ويقاتلون، الحروب الصليبية لها ربما بعض الأهداف الدينية، ولها الأهداف السياسية والاقتصادية إلى ما هنا لك، وأقول الحمدلله أنّ هنا لك أهدافاً غير دينية لأنّها تخفف من فظاعة الجريمة.

كما تكلمتم سيدي عن حقوق الإنسان، حقوق الإنسان الحرية والمساواة المشتقتان

من كرامة الإنسان، والحرية تتصدر الدساتير عادة وتسمى بحق طبيعي للإنسان، ربما كانت أكثر من ذلك، أنّها جزء لايتجزأ من إنسانية الإنسان بالذات، لانّ من خصائص الإنسان أن يكون مسؤولاً. ولا مسؤولية حيث لاحرية. يا سيدي ندد تم بما قامت به الدول في الماضي وقد يقوم بها بعضها حالياً، وفي تلك الأمور بذور شر علينا أن نقاومها. القضية الكبرى هي عدم انتقال تلك الشرور من صعيد الدولة إلى صعيد الشعوب وتلك صعيد الشعوب، و تلك هي الأمانة الكبرى التي بين أيديكم وأيدى أمثالكم. أرجوا أن تقولوا لنا كلمة فيها.

الجواب: ليعذرنا إخوتنا، أننا إذا ذكر إمامنا بطل الإنسانية (علي) ننتشي، وإذا انتشينا غنينا، وإذا غنينا يطيب الحفل (علي) ذكره أستاذنا الكبير (علي) يقول لأحد ولاته ـ لمحافظ من محافظيه ـ وهو مالك الأشتر الذي أرسله إلى مصر، وسجّل له أروع وثيقة سياسية إدارية، أرجو من أخواني أن يطالعوها في نهج البلاغة، رسالته إلى مالك الأشتر تقول: «الناس صنفان أم أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» ولا ثالث لذلك أخ في الدين وحتى إذا لم يكن متديناً فيكفي أنّه إنسان، والإنسان له حقه وكرامته، لعلي الكثير الكثير يعز علي أن لا اذكر سطراً واحداً من مناجاته مع ربّه حيث يقول: «إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب».

أنا أعتقد أنّ الأديان كلها تتفق على تعريف للحرية، وتعريف للكرامة، وتعريف للحياة، وهذه أسس الحقوق الإنسانية: الحرية، الكرامة، الحياة لا حياة بلاحرية وكرامة، ولا كرامة بلاحياة وحرية، ولا حرية بلاحياة وكرامة، هذا التعريف عن الكرامة يقول إنّ الإنسان بما هو إنسان كريم عند الله، وفي القرآن ﴿ولقد كرّمنا بنى آدم﴾[1] هذه كرامة ذاتية من منبع الكرامة وهو الله، الله منبع القداسة وهو تقديس للإنسان كإنسان، هذه كرامة نسميها الكرامة الطبيعية، كرامة طبيعية ذكرت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، (كرامة الإنسان) أعتقد أنّ الأديان تقول بكرامة إضافية، هذه الكرامة غير موجودة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومن نواقصه، كما أنّ هناك نواقص أخرى وأن كان هذا الإعلان يمثل خطوة رائعة على طريق إحقاق حقوق الإنسان.

١) الإسراء، ٧٠.

أنا أقدر لهذا الإعلان دوره التاريخي، ولكني أعتبره ناقصاً، وأعتبر الدين أكثر تقدماً منه، وعندما أقول الدين أقصد كل دين، وفي طليعة هذه الأديان الإسلام والمسيحية. الدين يؤمن بأنّ هناك كرامة فوق طبيعية تسميها الكرامة المكتسبة، هذه الكرامة يكتسبها الفرد إذا كان عاملاً في خدمة الإنسانية، الإنسان المتقي والإنسان الصالح، الصلاح والتقوى تعطي الإنسان الإنسان كرامة مكررة، كرامة مكتسبة، هي فوق الكرامة الطبيعية، ولاريب أنّ الكثير من الأناس العاديين لهم كرامة، ولكن هل تضعون إلى جانبهم الأنبياء؟ إنّهم أكرم من الأناس العاديين لأنّهم أناس قادوا الصلاح في التاريخ وسجلوا تغيير الإنسانية.

هناك آية قرآنية تقول: ﴿ يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[١] هنا التقوى تدخل كعنصر جديد للكرامة، وفي التقوى يندرج الجهاد ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾[٢] كذلك يندرج في التقوى العلم: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾[٣] وهناك عناصر كثيرة تكمل هيكل التقوى وتعطينا كرامة معقولة، ثمّ إنّ الحرية والحياة والكرامة يجب أن تكون مقيدة بالعقل: الحياة المعقولة، الكرامة المعقولة، الحرية المعقولة، أمّا إذا تحولت الحرية إلى تهديم للإنسانية باسم الحرية فنحن ضدها، أو إذا كانت الحياة ضد الحياة إذا كانت الحياة حياة «هولاكو» و«تيمور لنگ» فإنّ هذه الحياة ضد الحياة، وإذا كانت الكرامة تعني إهانة كرامة الآخرين فهذه الكرامة ضد الكرامة، إذاً الأديان تقيّد هذه القواعد الثلاث بما أسميه المعقول وسمّها أنت المنطقية، أو سمها الإنسانية، أو سمها ما شئت، أريدها كرامة مكتسبة، وحياة في إطار الأخلاق، وحرية لصالح الحرية. وشكراً.

هل الدين إلاّ الحبّ

المطران الزغبي ـ مداخلة ـ

يقولون «نحن في معهد الحقوق» العدل سيد الأحكام، هذا صحيح إذا حمل العدل على أجنحة الحب، تكلم آية الله العظيم عن المحبة، وتكلم مدير المعهد الأب الحبيب بولس

---

١) الحجرات، ١٣. ٢) النساء، ٩٥.

٣) الزمر، ٩.

عن المحبة الحب، وهذا ما شجعني على أن أقول هذه الكلمة وأوجهها إلى أخي الكبير آية الله الضيف العظيم أهلاً وسهلاً بك.

أخي قبل أن أكون مسيحياً، وأنا بالطبيعة أخوك قبل أن تكون مسلماً، فكل منا ينتمي شاء أم أبى إلى ذينك الأبوين الأوّلين وإلى الخالق لا إله إلّا هو، إنّ الانتماء الديني هو الذي طرأ على ذات الإنسان، وليست الذات هي الطارئة على الانتماء الديني، أنت أخي في الخلق والخالق وفي أبوينا الأوّلين، أنا أحبك لأجل من خلقني وخلقك، ولأجل اليدين اللتين جبلتاني وايّاك من ذات التراب، على حد ما قال صاحب «المزامير» «يداك صنعتاني وجبلتاني»، أحبّك لأجل من شملني و شملك بذات الحب، كما أحب أخي شقيقي من أبي وأمي، لكنّي لا أحبك فقط لأجل الله الذي أحبني وأحبك، بل أحبك بذات الحب، حب الله الذي أبدعني أبدعك، أي أنّ حبي لك مشتق من الحب الذي غمرني به الخالق، ومن الحب الذي أحمله في قلبي، أنا لا أحبك بمعزل عن حبي لله كما لا أحبك بمعزل عن حب الله لك ولي، و إذا تقدمت وحدي إلى الله عابداً ومصلياً سألني كما سأل يوماً (قايين): «أين أخوك؟» وإذا شئت أن أقدم للهيكل قرباناً ولك علي شيء بادرني المسيح بالقول اذهب أوّلاً وصالح أخاك ثم قدّم قربانك، حب واحد ينبثق من الله ليشمل كلينا يرتفع إلى الله من قلب كل منا مروراً بالآخر، إن حبنا المتبادل لا يدوم يوم يكون ثنائياً ويقتصر على كلينا، إن حبي لك وحبك لي إلى زوال ما لم ينبثقا من حب الله وينتهيا إليه، أنت وأنا نؤمن بالله الواحد فإذا اختلفنا في مفهوم هذه الوحدانية لا في جوهرها ـ والعياذ بالله ـ فأنا وأنت موحدان، وقد ميّز القرآن الكريم بين المسيحيين والمشركين فأنا وأنت موحدان في ذات الحب، لأنّ الحب واحد سواء هبط من الله إلينا أو صعد إلى الله من كلينا، حب واحد دائري ينبثق من الله مصدر كل حب ومآله إليه عز وجل عبر حبي لك وحبك لي يا أخي.

الجواب: أنا لا كلام لي إلّا أن أقول هناك رواية عن أهل البيت عليهم السلام تقول: «و هل الدين إلّا الحب».

الحرية بالمفهوم القرآني (إشكالية)

الدكتور شوقي ريا، أمين عام المنبر الحر

أحب أن أشكرك على هذه المرتكزات الفكرية التي نورتنا من خلالها نحو أسس

جديدة للحوار الإسلامي ـ المسيحي ـ وأحب أن ألفت نظرك إلى مسألة تهم المسيحيين من الناحية الفقهية ومن ناحية التشريع الإسلامي، مع أنني تلميذ صغير ولا زلت مستمعاً عبر التاريخ يرتبط ترابطاً تقريباً جزئياً، أو يجسد الحضارات البيئية أو التاريخية أو العادات الاجتماعية، هذه الإشكالية الاجتهادية والفقهية هي المسألة حوار ثابت من الناحية الاجتماعية. ثانياً: بالنسبة لي، وحسب دراستي للقرآن الكريم، أجد الحرية التي يخاف منها الكثير من المسلمين، أجدها حرية مطلقة في القرآن الكريم، بالمعنى اللاهوتي بالمعنى المسيحي، مثلاً أعطيك آية صغيرة تعبر عن الحرية المطلقة التي يعطيها الله من خلال القرآن الكريم للإنسان. في سورة الأنفال يقول: ﴿و لاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون﴾ [1] السمع هنا يعني العقل، ﴿إنّ شر الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لايعقلون * ولوعلم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون﴾ [2] هل هناك أروع من هكذا آية تعطي الإنسان الحرية المطلقة؟ ويقول أيضاً: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [3] ﴿قل آمنوا به أو لاتؤمنوا إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ . [4]

الذى أقوله هنا أن الحرية بالمفهوم القرآني وبالنص القرآني حرية مطلقة، تعطي حقوقاً طبيعية وحقوقاً سياسية، (يا أيها الناس انا خلقناكم من نفس واحدة)، نرجع ونجد مشكلة عبر التاريخ الإسلامي أو التاريخ العربي بالأخص، أنّنا بدلاً من أن نتبع النص بالمفهوم، نتبع العادات الاجتماعيةالتاريخة ثم ننطلق منها لشرح الإسلام، لذلك أحببت أن ألفت نظركم لهذه النقطة الأساسية وأحب أن أقول لكم أن مفهوم الحرية أنّه لا جبرية في الإسلام، الحرية مطلقة في القرآن الكريم.

الحرية من منظور الاجتهاد الإسلامي (إجابة)

شكراً للدكتور وحيّاه الله على هذه الروح المتوثبة، روح الشباب لدى الشيوخ، في الحقيقة أنّ الاجتهاد هو الطريقة المثلى لمعرفة موقف أيّ دين أو أيّ قانون من الوقائع

---

١) الأنفال، ٢١.

٢) الأنفال، ٢٢ و ٢٣.

٣) الكهف، ٢٩.

٤) الإسراء، ١٠٧.

المختلفة، لايمكننا أن نحذف الاجتهاد من أيّ دين سواء كان سماوياً أو غير سماوي، أو من أيّ قانون، الاجتهاد هو عملية إعمال نظر دقيق لمعرفة رؤية النصوص لهذه الواقعة أو هذه الحادثة الجديدة، وهو عنصر مرن في أيّ تشريع دينياً كان أو وضعياً، لكنّ الاجتهاد فيه خطر، هذا الخطر هو الذاتية، وهو ما أشرتم إليه، قد تنعكس الذاتيات الفردية والتركيبية النفسية على ذهن الإنسان المجتهد فتجعله يستنبط شيئاً ربما يخالف ما ترمي النصوص، ولكن هل لدينا طريق لمعرفة الواقع غير الاجتهاد؟ الاجتهاد في القانون الوضعي أيضاً هناك مجتهدون للمعرفة، في النصوص القانونية القاضي يجتهد لمعرفة موقف هذا النص القانوني من هذه الحادثة، الاجتهاد هو عنصر مرن قوي ويجب أن يلاحظ المجتهدون الذاتيات لئلا تترك أثرها، ومن هنا توجد دعوة للاجتهاد الجماعي، هناك دعوة لتكرر الاجتهاد حول النص،عندما يتكرر تحذف الذاتيات ويقرب المجتهدون إلى الواقع، «برايان» الانكليزي في العام ١٩٩٤٧ ينشر في الـ«Economsit» يقول: «علينا نحن الغربيين أن نحذف عنصر الاجتهاد من العالم الإسلامي لأنّ الاجتهاد يكرس احتكار العلماء للساحة الثقافية فى العالم الإسلامي، فإذا أردنا أن نحدث انقلاباً على الوجود الإسلامي علينا أن نحذف الاجتهاد»، وهذه حالة خطيرة جداً، الاجتهاد هي حالة صحية جيدة شريطة أن لاينفذ من خلالها التأثير البيئي التأثير النفسي إلى النتيجة، وهناك شروط وضعها المجتهدون ودققوا فيها، أذكر أنّ أحد المجتهدين أراد أن يدرس قضية عندنا، في الفقه الإمامي قضية تسأل لو فرضنا أنّ هناك بئراً، ماؤها قليل لكنّ لها مادة تمد هذا الماء، وقع فيها حيوان ميت، فهل هذا الماء يتنجس؟ (هناك حكم الطهارة والنجاسة في الفقه)، وهل علي أن أنزح كل هذا الماء؟ المجتهد درس ووجد أن هناك نوازع نفسية تقوده لأن يقول بطهارة هذا الماء، فأمر بإغلاق هذه البئر بكاملها، يعني قطع أمله من هذه البئر، ثم درس المسألة وتوصل إلى نتيجة، يعني المجتهد يجب أن يعمل قواعده الفقهية والاجتهاد هو عنصر مرونة للفقه، يعني هناك قضايا مستحدثة، توجد الآن قضايا العقود المستجدة، عقود التأمين، قضية الاستنساخ البشري ينقلون خلية من جلد إنسان ويضيفونها للخلية الجنسية لبويضة جنسية، وحينئذ تنمو هذه البويضة طبق عملية تنقسم إلى قسمين شبيهين لبعضها، ثم تتطور إلى أربعة لأنّ الخلية الجنسية تنقسم إلى اثنين ثلاثين ثم تتفرع، يستفيدون من اثنين وثلاثين فرعاً، كل منه يشبه الآخر باعتبار وحدة الجينات يشبه الطرف الآخر، وهذه العملية

مطروحة الآن على ساحة العلم وأثبتتها التجارب في«النعجة دوللي» فهل نسمح أو لانسمح؟ هل يؤدي ذلك إلى إنسان «كاتالوك» هل أنّ الإنسان الذي يريد أن ينمي طفلاً ينظر كاتلوك ويقول أنا أريد أيتها الشركة إنساناً بهذا الشعر وبهذه العين وبهذه البشرة؟ هل نسمح بموت العلاقات العائلية من خلال عملية الاستنساخ أم لا؟ هذه تحتاج إلى اجتهاد، وأنا أقول لك بأنّ القضية لم تدرس جيداً، هناك من هاجمها بقوة، أنا شخصياً قد لا أجد لدي ما يبرر مهاجمتي لهذه العملية، فربما فتحت آفاقاً للعلم واستفدنا من نظريات الوراثة للقضاء على أمراض السرطان معرفة الجينات التي تحمل خللاً وتؤثر في جيل تجعله جيلاً مختلاً، أنا أعتقد بأنّ العلم يجب أن يفتح ولكن نراقب هل يؤدي بالتالي إلى ضرر اجتماعي أم لا؟ المهم المصلحة الاجتماعية والمصلحة الإنسانية، إذا الاجتهاد له دوره في مختلف القضايا المستجدة.

الفطرة في ظلّ المعايشة اليومية لأمور الحياة (سؤال)

الاباتي الدكتور بولس نعمان، مؤرخ ورئيس الرهبنة اللبنانية سابقا

كلامك الليلة بالنسبة إلينا هو اكتشاف يكاد يوازي اكتشاف (كريستوفر كولومبس) لامريكا، وقد قلتم كلاماً هو شبيه بكلام الرسول بولس، كلام رائع ساحر، لم أكن أنتظر أن أسمعه مطلقاً، ولكن أريد أن أسألكم سؤالاً قلتم كلاماً رائعاً بالنسبة للفطرة الإنسانية، والفطرة الإنسانية كما فهمتها منكم الطبيعة الإنسانية أو العنصر الإنساني للإنسان، وهذا يرفعه الدين إلى مرتبة القداسة، من خلال خبرتكم في ايران، أريد أن أعرف هل تدخل الدين في الأمور اليوميةفي الأمور العادية من شأنه أن يرفع هذه الفطرة أو بالعكس من ذلك أن يضر بهذه الفطرة، وهذا الاختيار الذي شهدناه في قلبكم وعقلكم وصدركم كم يلزمه من السنين حتى ينحدر إلى الطبقات الشعبية عندنا في المسيحية وعندكم في الإسلام وشكراً.

الفطرة على ضوء المنهج القرآني (إجابة)

أشكركم كل الشكر، وأنا أحقر بكثير مما قلتم، ما زلت تلميذاً صغيراً يحبو ويحبو في مدارج الأنبياء، وأسأل الله أن يهبنا جميعاً عيوناً نافذة تستطيع أن تبصر جنانهم وتعيش آفاقهم، كلنا متطفلون على موائدهم، الأنبياء سادة البشرية والرسل والأوصياء

حملة رسالة الأنبياء.

بالنسبة لما تفضلتم أنطلق من منطلق إسلامي، ومن منطلق ديني عام أيضاً. وأعتقد أنّ كل التعاليم، شريطة أن يثبت أنّها تعاليم السماء، شريطة أن نثبت أنّ التعاليم التي جاءت بها الأديان هي تعاليم موحاة وليست من صياغة ذهن إنساني لا علاقة له بالوحي، شرط واحد عندي وهو أن تكون هذه التعاليم موحاة، ونحن نعتقد أنّ النبي ليس كالفيلسوف، تأتيه الفكرة فيطبخها مع وجدانه ويعطينا معجوناً أو تركيبة فيها من خارج الذهن وفيها اعتمالات النفس، النبي حسب اعتقادنا هو أمين صادق يحمل كلمة الله ويوصلها: ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ إن هو إلّا وحي يوحى﴾[١] وفي آية أخرى:﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ لأخذنا منه باليمين﴾ ثمّ لقطعنا منه الوتين﴾[٢] يعني لقبضنا على يده بقوة و قطعنا حياته، النبي مؤتمن فإذا ثبت لنا أنّ الحكم هو حكم إلهي فأنا أعتقد أنّ كل الدين منسجم مع كل الفطرة لأنّهما ينطلقان من منبع واحد ومن خالق واحد ومن حقيقة واحدة، الآية الكريمة تقول: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم﴾[٣]، اعتقد هذا بقوة. وأعتقد أنّ الدين يعطي الإطار لايتدخل في كثير من الجزئيات، يعني يعطي الإطار العام.

يعطي القاعدة العامة في العمل وفي السلوك، القاعدة يجب أن تدخل في الساحة الحياتية، الدين يجب أن يوجّه مجمل الحياة الإنسانية، وتبقى المصاديق حرة ينتخبها الإنسان، ﴿ إما شاكراً وإما كفوراً﴾[٤] -كما في التعبير القرآني -ومن هنا أعود لكلمة شيخنا عن الحب، أرى أنّ الإنسان المؤمن يعيش الحب كله، يحب ذاته، الدين يقول له ليس لك أن تؤذي حتى ذاتك، عندنا رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول:«إنّ الله فوض إلى المؤمن أموره كلها إلّا أن يذل نفسه» ليس له أن يذل نفسه، هو يحب نفسه، وهو يحب مجتمعه، هو يحب إخوته، هو يحب الكون، هو يحب الجمادات. رسول الله محمد صلى الله عليه وآله مر يوماً على جبل «أُحد» وهو جبل يقرب من المدينة، قال: «هذا (أُحد) يحبنا ونحبه»، الجبل يحبنا ونحبه. ونحن عندما نصلي ونسلم على كل عباد الله الصالحين عبر التاريخ، نقول: السلام علينا

---

١) النجم، ٣ و ٤.
٢) الحاقة، ٤٤-٤٦.
٣) الروم، ٣٠.
٤) الإنسان، ٣.

وعلى عبادالله الصالحين، لأنّ الجميع ينطلقون من منطلق واحد ووفق فطرة واحدة.

أنا أؤكد سيدى أنّ الدين يجب أن يدخل إلى الساحة العملية بقوة. وان كان الدين لا يشخص الكثير من المصاديق. هو يقول: ﴿و اعدّوا لهم مااستطعتم من قوة﴾[1]. أعدوا لهؤلاء الذين يتحدونكم القوة. وتبقى القوة قاعدة عامة تنسجم مع القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة الذرية والقوة الثقافية. كل هذه هي منطلقات دينية.

وضع المسيحيين في الجمهورية الإسلامية

الاستاذ ابراهيم عطوي، صحفي في جريدة النهار

أحب أن أضيف كلمة على ما قاله سماحة الشيخ التسخيرى حول المسيحية في ايران، من خلال عملي الصحفي تجولت كثيراً وكنت أسمع أنّ المسيحيين في ايران ـ بعد الثورة ـ مضطهدون. وأنّهم إلى ذوبان، لم أنف ولم أصدق ولم أسلّم، وكنت منذ البدايات أحلم بزيارة ايران، وقبل أسبوعين تحديداً في الأوّل من نيسان الماضي، كنت مع وفد المجمع الثقافي العربي في ايران وأصررت على زيارة إحدى الكنائس، زرت كنيسة «وانغ» في إصفهان هي للارمن، وعرفت هناك أنّ للمسيحيين في مجلس الشورى الإيراني خمسة نواب من أصل خمسمائة ألف مسيحي ـ على ما أعتقد ـ يعني النسبة أكثر بكثير من نواب المسلمين، وهذه الكنيسة فيها دير وفيها أيقونات وجداريات وفيها متحف أناجيل من القرون الغابرة: انجيل من القرن الحادي عشر، وانجيل من القرن الثاني عشر، وما لفتني الجيل الجديد، جيل الفتيات المسلمات وهن يتأملن الأناجيل ويدوّن بعض الملاحظات؛ كما تأملت جيداً لوحة للرسام العالمي «رامبران» موجودة في الكنيسة ـ وهي من اللوحات النادرة ـ تمثل أبناء إبراهيم.

و سألت هناك عن وضع المسيحيين ـ طبعاً سألت الأرمن المسيحيين ـ قالوا لي أنّهم ـ كما تفضل سماحة الشيخ ـ يتمتعون بحرية كاملة، لهم طقوسهم... لهم عباداتهم... لهم كتبهم، وفي منازلهم يصنعون الخمرة، يعني أن بإمكانهم أن يصنعوا الخمرة في منازلهم، وأنّهم كسائر المواطنين الإيرانيين عليهم نفس الواجبات ولهم نفس الحقوق.

---

١) الأنفال، ٦٠.

العقول المتنورة في مجتمع الثورة الإسلامية (استفسار)

الاب الدكتور مونس، أستاذ جامعي وعميد معروف

السادة الحاضرين، لن اطيل عليكم، لكن حديث آية الله كان «كالنبيذ» لطيف، ولو كان ذلك محرماً في كتاب الله، آية الله صدقني سمعتك بكثير من النشوة، وشهادتي فيك أضيفها لشهادة الأب نعمان وسيدنا الزغبي بالحقيقة أنّ الصورة التي أعطيتها هي غير الصورة المعروفة، التي هي أذهان جميع الناس.

أنا أستاذ علم الأديان في الجامعة وعلم الاجتماع الديني، لم يقرأ رجل ديني قراءة كتابه الدينيبهذا الوضوح وبهذا النقض وبهذه الصراحة وبهذا العقل وبهذا الإيمان وبهذه المحبة، شكراً لهذا الفكر المنور. اسمح لي يا آية الله أن أقول خوفي، أنا أخاف من رجال الدين عندما يتكلمون في الدين. كما يقول نابليون: «الحرب شيء صعب لايمكن أن تعطى للعسكر يجب أن تعطى للمدنيين»، الدين شيء صعب يجب أن لايعطى لرجال الدين الدين للتكلم به، لكنّك قلبت الآية الكريمة يا آية الله، فشكري العميق لما قلت.

سؤالي هو التالي، كم من العقول المنورة في مسارك تقرأ كما تقرأ سماحتك؟ هل هذه حالة جامعية أكاديمية، أم أنّك... منفرد، رائد، متطلع، جريء، تُقدم ـ كما قال الاباتي نعمان ـ بكتاب بولسي كأنّك كربلائي جديد، فقلوبنا معك و لو كانت سيوف الآخرين عليك؟!

ما علاقة الدين بالوحي؟

و سؤالي الثاني، هو التالي: ما علاقة الدين بالوحي، الدين فعل صاعد من الذات نحو الله، والوحي عطية ـ كما قلتم ـ مجانية من الله إلى الإنسان، أي يمكن للإنسان أن ينتج ديناً، لكن صعب عليه أن ينتج وحياً الوحي هو ما تقول عند الديانات السماوية الثلاث لايقرأ إلّا من فوق، الدين يقرأ في المجتمع وهو علة للتحولات الاقتصادية والنفسية والسياسية والعسكرية والتاريخية، علينا كي ننقد الدين أن نبتعد عن الخلط بين قراءة الوحي الهابط من فوق إلى المجتمع بين قراءات الجلية تخلط أحياناً بين عواطفنا وبين قراءاتنا التاريخية.

التنور اتجاه كبير (توضيح)

سيدي شكراً، أن أكون كربلائياً فلي أعظم الفخر، فكربلاء بقعة سالت عليها دماء

أعظم شهيد، وظنوا أنّهم قتلوا الحسين، ولكن الحسين قتل ألف يزيد و قتل ألف ظالم، وتبقى كربلاء خالدة خلود الفكر والعطاء. أن يفكر كل المسلمين كما أفكر فلا أدعي ذلك، أن تفكر الأغلبية كما أفكر لااستطيع أن أوكد ذلك، ولكن أن أتفرد أنا أو بعض زملائي فهذا غير صحيح، هناك اتجاه كبير بهذا المنحى، فيكفيكم أن تعلموا أنّ القائد الإمام الخامنئي مطلع على كل تفاصيل هذه الأمور، وهو أستاذي في ذلك ويشجعني. كما وأنّه مرجع من مراجع المسلمين الكبار، لقد طالع كل وثيقة القاهرة بنفسه ـ رغم كل مشاغله ـ قلت له أنّ دولاً رفضت مناقشة هذه الوثيقة وقالت إنها ظالمة ومنحرفة. فقال: وهل نريد أن نسير على طريق الجنة؟ يجب أن نمشي على طريق الاشواك ونصلح الطريق، نبدأ ونقول كلمتنا فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها.

أنا أعتقد أنّ الكثيرين يفكرون كما يفكر هذا العبد، وأعتقد أنّ هناك الكثيرين ممّن يعملون على دعم القضية الدينية في العالم، يسعون لتحريك ما قلت، وأود لو كثر أمثالي وكثر أمثالك في العالم المسيحي والعالم الإسلامي، فحبذا لو صعدنا إلى أوج (عليّ) حين يقول: «الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».

علاقة الوحي بالدين (إجابة)

أمّا العلاقة بين الوحي والدين فأعتقد أنّ علينا أن نعرف الوحي أوّلاً، ثم نعرف الدين ثانياً، ثم ندرس العلاقة بينهما. ما هو الدين؟ هل الدين هو تنظيم للحياة الفردية، أم أنّ الدين هو نظام جامع للبشرية، يقود جموعها نحو التكامل؟ و ما هو الوحي؟ هل الوحي عملية اتصال بين الله والإنسان تقول له عن أشياء عقلية مجردة. لقد عاش الكثير من المسيحيين فى فترات الضعف، يفكرون في أمور لاهوتية لايتصل بعضها بالواقع؛ وكذلك عشنا نحن المسلمين نفكر فى أمور لاتتصل بالواقع، نزاع طويل عاشه المسلمون أيّام الخليفة العباسي المأمون حول «خلق القرآن»، هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ كم قتل وكم سجن بسبب جدال لافائدة منه. البعض قال القرآن مخلوق والبعض قال القرآن هو كلام إله وهو غير مخلوق، ما علاقة هذه الحالة بعلاء الإنسان؟ لنفترض أنّه مخلوق أو أنّه غير مخلوق، ما الفائدة التي نرجوها من هذا الجدل.

الدين هل هو ايحاء أفكار مجردة بعيدة عن الحياة، أم هو صياغة أيديولوجية

حياتية للإنسان يسير عليها نحو التكامل؟ مانفهمه من الدين أنّه صياغة للحياة، وقد قلت لكم أنّ الآية القرآنية تقول: ﴿و لقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾ [١] (نداء الرسل)، ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [٢] اقيموا دين الله في الأرض وقفوا ضد الطاغوت وكل مظاهر الطاغوت، الصنمية والرجعية الحجرية، أنا أعتقد أنّ الوحي يعني أعطاء الإنسان ما يسير به نحو كماله.

قلت أنّ الدين لطف إلهي، يوحي الله به للإنسان ليرسم له طريقه، أنّ الإنسان له نوازع تجري كالسيول، هذه المياه لو تركت كما هي لفاظت وحطمت، أو لقلت وعطش الإنسان. يأتي الفكر فيقول: نضع سداً فتجتمع كل هذه المياه خلف هذا السد، يقف على هذا السد إنسان متحكم، يجمع المياه حينما لاتكون هناك حاجة إليها، ويعطيها حينما تكون هناك حاجة إليها. إنّ العقل هو الذي يقف على السد يستوحي معلومات من فوق، توضح له هكذا افعل وهكذا لاتفعل، تعطيه الخطة؛ الإنسان أعطي من قبل الله ارادة وأعطي عقلاً ينمي هذه الإرادة ولكن هذا العقل قاصر لايكتشف كل الحقيقة، يأتيه الوحي فيعطيه عقلاً الهياً، ينزل إليه صورة كاملة للحياة تساعد هذا العقل في توجيه الإرادة، لتنظيم عملية تنفيذ إرادة هذه الغرائز في السلوك الإنساني. أنا أعتقد أنّ الوحي الحقيقي، الذي هو نطق الهي، هو الوحي الذي يرسم للإنسان مايخطط فيه حياته، وليس وحياً عقلياً فلسفياً مجرداً، وحينئذٍ إذا كان الوحي هو هكذا، وإذا كان الدين يعني تنظيم الحياة، فأعتقد أنّ الدين هو الحصيلة الطبيعية للوحي وشكراً.

---

١) النحل، ٣٦.

٢) النحل، ٣٦.

بيروت

ملتقى الأديان والمذاهب والثقافات[1]

جئتك يا بيروت، ويا كل لبنان

احمل منجلاً، منطاداً مبتور الجناح، بدراً تعلقت به نجمة مسحورة

نعم جئتك احمل علامة استفهام كبيرة لقد طلبوا مني ان اتحدث عنك كملتقى: والملتقى قد يكون افقياً تلتقي فيه الحضارات المتعاصرة، وقد يكون عمودياً يلتقي فيه الحاضر والماضي والمستقبل وانت على كلا المعنيين كذلك و حينئذٍ، فلست أدري من اين انطلق؟ أأبدأ بداية أدبيةً والشعر حوار الإنسان انت يا معشوقة الادب والشعر، مسرحه ومنبعه.

لقد وقف عندك امير هائم ليقول:

إذا شئت تصابرت	و لا أصبر ان شيت
ولا والله لا يصبر	في البريّة الحوت
الا يا حبذا شخص	حمت لقياه بيروت

و نادى ابن خراسان (احمد بن الحسين بن حيدرة الطرابلسي)

وان جهلت جهال قومي فضائلي فقد عرفت فضلي مَعَدٌّ ويعرب

---

١) ألقي في الاحتفال الذي أقامته جمعية أدبية لبنانية في بيروت بمناسبة انتخابها عاصمة للثقافة العربية، بتاريخ ٢٤/١١/١٩٩٩.

ولاتـــعتبوني اذ خـــرجت مـــغاضباً فمن بعض ما في ساحل الشام يُـغضَب
وكـــيف الـتــذاذي مـــاء دجـلة مـعرقاً و امـــــواد لبـــنانِ الذ واعـــذب

و نادى شاعر المهجر:

وطـــن النـــجوم انـا هـــنا حـــدّق اتـــذكر مـــن انـــا
أنـــــــا ذلك الولد الذي دنـــــياه كـــانت هـــاهنا
ولكـم تشـيطن كـي يـقول النـــاس عـــنه تشـــيطنا

كلا فالمراد أن اعرض صورة تاريخية فكريةً لك يا ملتقى حوار الحضارة والسلام والوحدة فلنتجه إذاً صوب المراد.

و عندما أتوجه إلى تاريخك العظيم أجدك في العصر المسـيحي كـرسياً اسـقفياً، تعجين بالقساوسة والكرادلة والرهبان وتنشرين الروح و الحنان...

و جاءك الفتح الإسلامي بالخير واعطاك الوجه المشـرق فـتحولتِ قـاعدة كـبرى للدعوة الإسلامية تتخذين طريقك في البحر سرباً وفي البر لاحباً حيث المعمورة تعلنين كلمة الله، وترفدين الجائعين بالمعارف الإلهية السامية.

و انطلقت قوافل العلماء شرقاً وغرباً

فها هي قافلة تنبعث إلى فارس وغيرها تضم عشرات العـلماء مـن مـدرسة أهـل البيت عليهم السلام وفيهم المع نجوم العلم.

كالشهيد الأوّل الشيخ محمد بن الشيخ جمال الدين مكي العاملي الجزّيني.

الرجل الذي الّف اروع الكتب الفقهية في سجنه. وعلّق عليه الشـهيد الثـاني العـاملي أيضاً بكتاب هو اليوم محور الدراسـات العلمية في الحوزات الشـيعية وفـيهم المـرحـوم الشيخ البهائي العقل المفكر الكبير الذي لم يكتشـف عمقه بعد.

أجل وفيهم الكثير الكثير

ولقد قام الإمام محمد بن الحسـن الحرّ العـاملي المتوفى سـنة ١٠٣٣ بإصـدار كتابه العظيم «أمل الآمل في علماء جبل عامل» ليحصـي علماء عامل في القرن السـادس الهجري وما بعده.

إلا أن المرحوم السيد محسن الأمين يؤكد أنّه كان هناك علماء كبار قبل هذا القرن وقد ذكر المرحوم العاملي ان احد المؤمنين توفي فسار خلف جنازته سـبعون مـجتهداً

وكان ذلك في عصر الشهيد الثاني.

و ذكر صاحب «روضات الجنات»: «إنّ مدينة جزين خرج منها ما يقرب من خُمس علماء جبل عامل رغم ان مساحتها لاتتجاوز عشر العشر من المنطقة»[1].

أمّا الحديث عن الإمام الاوزاعي رحمه الله الذي سطر له التاريخ دفاعه عن أهل الكتاب دفاع واعٍ رشيد وكذلك الإمام الوليد بن مزيد العذري البيروتي وغيرهما فهو واسع الابعاد ولانستطيع أن نحيط به.

لقد كنت مسرحاً للعلماء وملهمةً للمفكرين من مختلف الديانات المذاهب و لقد مرت القرون والمسيحيون والمسلمون سنةٌ وشيعةً يتعايشون بسلام،قد يختلفون الا ان المثل العليا هي فوق الاختلاف.

حتى شهدنا اخيراً لقاء جمع المسلمين والمسيحيين في ١٤ حزيران ١٩٩٦ التحم فيه مجلس الكنائس العالمي، رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الدعوة الإسلامية، وجمعية الحوار بين الأديان في روما، وعلماء الشيعة الكبار ليعلنوا وقوفهم بوجه الجرائم التي ترتكبها اسرائيل بحق المقدسات الإسلامية المسيحية، وأنّهم سيكونون جميعاً صوت القدس الواحدة وأنّ القدس مرتقاهم إلى السماء هم مولودون منها بالروح وشاخصون إليها بالحب.

أم اركز على بعدك الاجتماعي لالمح الشعوب تتعاقب: الاكاديون، والكنعانيون والفينيقيون والاموريون والاراميون والحثيون والعبرانيون الكلدانيون والاشوريون والفرس والمصريون والانباط واليونان و الايطوريون والرومان والموارنة والارمن والسريان واللاتين والعرب المسلمون ومنهم الهمدانيون الذين حملوا معهم الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

وصدرك الرحب يضم كل الشعوب ويسحرها ويصهرها، اخوةً في الدين والوطن والهدف الاسمى يطبعهم التسامح بطابعه والأصل عندهم التعايش بسلام. بل والتآخي المتأصل في النفوس.

و يحدثنا كتاب «لبنان» الشهير عن العادات الاجتماعية، فيقول:

---

١) روضات الجنات، ج ٧، ص ٤.

«و طالما سمعنا من آبائنا ومن تقدمهم أنّ الأصحاب والجيران يحافظون بعضهم على بعض في ايام الوقائع التي تحدث بين طوائفهم المختلفة او احزابهم، ولايغدر احدهم بالآخر بل يحمي عرضه ودمه، ويحافظ عليه محافظته على نفسه مما يدل على طيب الاعراق وكرم الارومة ولاسيما عند الدروز المعروفين بآداب الصداقة وشهامة النفس، وإذا تآخى اثنان او أكثر ولو من طوائف متباينة توارث أولادهم تلك المودة فيبقون على عهود اسلافهم مهما حدث بينهم من الضغائن الجديدة وهي عادة غريبة فاشية في لبنان الجنوبي خاصة وكثيراً ما يقول الواحد منهم للآخر اخي وابن عمي مع تباين النسب»[١].

و حق ما قيل من أنّه (ليس هناك بلد كلبنان قط امتزجت فيه عناصر الأمم).

واضيف (ليس هناك بلد كلبنان كان فيه المعذبون اخوة محبوبين في عين الله).

أما عن الوحدة الإسلامية:

يا بيروت ويا لبنان: فلقد لمعت في سمائك نجوم الوحدة الإسلامية حتى لاتكاد تأفل وهل ينسى المسلمون الجهود المضنية التي بذلها الكبار لتحقيق التقارب بنى المسلمين على مستوى العالم الإسلامي ويقف الإمامان الكبيران السيد محسن الأمين العاملي والسيد عبدالحسين شرف الدين في الطليعة.

أما الأمين العاملي فقد دعا إلى تعميم المساواة وآخى بين الناس ورفض التحزّب الضيق المقيت كما انه خاض غمار حملة اصلاحية ضخمة لدى الشيعة أنفسهم ليصرفهم عن كثير من الخرافات التي علقت بشعائرهم الحسينيةجاهد في سبيل ذلك حتى اعتبره بعض السذج امويأ هذا إلى جانب تعبئته للجماهير ضد الاحتلال الفرنسي.

وكان أجمل تعبير لديه في مسألة النزاع في الخلافة وهي أهم مسألة بين السنة والشيعة هو قوله: «لم نزل نتخاصم على شرعية الخليفة حتى صار المندوب السامي الفرنسي هو خليفتنا» وقد عارض قانون الطوائف الفرنسيقال مخاطباً المفوضية الفرنسية: «فانا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان ارجو فخامتكم ان تحيطوا علماً باستنكار الشيعيين عامة لهذا القرار وهذه التفرقة المصطنعة بين المسلمين»[٢].

---

١) كتاب (لبنان)، ص ٢٠٧.

٢) اعيان الشيعة، م ١٠، ص ٢٧٠.

وأما الإمام شرف الدين فهو رجل الوحدة الإسلامية إذ ركز على (الحوار الموضوعي) وألف كتاب «الفصول المهمة في تأليف الأمة» مبرراً ذلك بأنّه ازهاق لنفس العصبية واعتناء باتحاد التشيع والتسنن ثم جاء كتابه الرائع «المراجعات» مثالاً للحوار الهادئ المخلص.

وها أنت بيروت بالامس تعقدين مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية لتعلني السير على هذا الخط اللاحب.

كما عقدتِ بالامس مؤتمراً للحوار بين القوميين والإسلاميين

و قبل ذلك مؤتمر الصرخة المسيحية الإسلامية ضد العدو الصهيوني.

إنها الروح السمحاء التي قد لانشهدها في أي مكان آخر.

لقد اعجبني تعبير قائمة (العوائل الكنسية) الذي يعبر عن تجانس اجتماعي ديني بين الكنائس وقد اعد القائمة الاستاذ (الامين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط) فهناك عائلة الكنائس الارثوذكسية التي تشمل:

- كنيسة الاسكندرية وسائر افريقيا للروم الارثوذكس
- كنيسة الروم الارثوذكس وسائر الشرق للروم الارثوذكس
- كنيسة الروم الارثوذكس في القدس
- كنيسة الروم الارثوذكس في قبرص

و هناك عائلة الكنائس الارثوذكسية الشرقية التي تشمل:

- كنيسة الاسكندرية والكرازه المرقسية للاقباط الارثوذكس
- كنيسة انطاكية وسائر الشرق للسريان الارثوذكس
- الكنيسة الارمنية الرسولية ـ كاثوليكوسية الارمن الارثوذكس لبيت كيليكيا

و هناك عائلة الكنائس الكاثوليكية التي تشمل:

- الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية
- كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك
- كنيسة الاقباط الكاثوليك
- كنيسة السريان الكاثوليك
- كنيسة بابل للكلدان

- كنيسة اللاتين في القدس
- كنيسة الارمن الكاثوليك

وهناك أيضاً عائلة الكنائس الانجيلية التي تشمل:

- السينودس الانجيلي الوطني في سورية ولبنان
- اتحاد الكنائس الانجيلية الارمنية في الشرق الادنى
- الكنيسة الاسقفية في القدس والشرق الاوسط
- الكنيسة الانجيلية اللوثرية في الاردن
- سينودس النيل الانجيلي
- الكنيسة الاسقفية بالسودان
- الكنيسة الانجيلية بالسودان
- الكنيسة الانجيلية الوطنية في الكويت
- الكنيسة البر وتستانتية في الجزائر
- كنيسة مارجرجيس - تونس / قرطاجة
- الكنيسة الانجيلية الوطنية - البحرين
- الكنيسة الانجيلية المشيخية في ايران

ان لبنان يشكل محور هذه الكنائس الشرقية والغربية كلها وقد جاء في مقدمة الدليل «وفي الطريق من فلسطين إلى دمشق دعا المسيح شاوول فلبى النداء واغمد سيف الاضطهاد رافعاً راية التبشير والولاء حتى الاستشهاد وفي انطاكية دُعي المؤمنون-مسيحيين لأوّل مرة». هذا في الجانب المسيحي وفي الجانب الإسلامي نجد:

الشيعة كطائفة واحدة من المسلمين، والسنة كطائفة إسلامية واحدة رغم تعدد مذاهبها أيضاً، والدروز والعلويين ثم نجد اليهود باتجاهاتهم ومذاهبهم.

كل هذه المذاهب والأديان الشرقية والغربية وجدت في لبنان وبيروت محلاً آمناً تتعايش فيه ونظمت حياتها بشكل يرفع التناقض حتى في كيفية اللبس والأكل والشرب والتقاليد، والاعراف والاعراس، وبالتالي الدفن وامثال ذلك.

إنّ هذا التنوع الكبير ليكشف عن صدر رحيب وقلب كبير لانجد له مثيلاً في مكان آخر.

إنّ المسيحي ليؤلف في العلوم الإسلامية فيبدع

وإنّ المسلم ليؤلف في المفاهيم المسيحية فيبدع

وإنّ السني ليكتب في الإطار الشيعي فيبدع

وإنّ الشيعي ليكتب في الإطار السني فيبدع.

وهكذا هي الحياة: تعايش واحترام، واثراء هو عطاء للبشرية جمعاء

يكتب جورج جرداق (الامام علي صوت العدالة الإنسانية)

وينظم بولس سلامة ملحمته عن (الغدير) ويكتب سليمان كتاني (فاطمة وتر في غمد) ويجمع المرحوم صبحي الصالح «نهج البلاغة» ويشرحه وينظم فهارسه ويؤلف عبدالله العلايلي عن الحسين عليه السلام.

وعندما يقف كمال الصليبي على تاريخ لبنان ومراحله ويطرحها بتسلسلها نجد التلاحم بين التاريخين الإسلامي والمسيحي كاروع ما يكون:

يتحدث عن عام ٦٨٠م / ٦٠ ـ ٦١هـ

ـ مقتل الحسين بن علي عليه السلام في واقعة كربلاء في العراق

ـ ثورة عبدالله بن الزبير في الحجاز

ـ تكفير المجمع المسكوني السادس، في القسطنطنية لمذهب المشيئة الواحدة

ـ الانفصال في الكرسي الانطاكي بين الملكية والموارنة

ـ انتخاب يوحنا مارون بطريركاً على الكنيسة المارونية

ولاننسىٰ هنا قول البطريرك الماروني المارون الياس الحويك عندما بلغه نبأ وفاة السلطان العثماني عبدالحميد الثاني إذ قال بوجوم وحزن.

«لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان الفقيد، ولانعرف ماذا تخبى لنا الايام بعد موته رحمة الله عليه». اوراق لبنانية ـ آب / اغطس ١٩٥٦ ج ٨ ص ٤٠٢.

نقل الاستاذ القرضاوي ان الاستاذ فارس الخوري دعا إلى تحكيم الشريعة الإسلامية بعبارات هي اقوى من عبارات المسلمين.

و روح التسامح مسيحية إسلامية بلاريب.

يقول القرآن الكريم ﴿خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1] ويقول هوﷺ: اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون» ويقول الانجيل: «عندما كان بعض القرويين لايستقبلون المسيح اكد بعض التلامذة على استنزال النقمة عليهم فكان يرفض ذلك» وهذا التسامح ادى إلى قيام تواصل ثقافي عبر التاريخ بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي.

فإن كتب التراث حافلة بذكر التواصل الثقافي مع المسيحية.

فهذا الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ينقل اربعة أنماط من الحوار بين كبير النصاري والائمةعليهم السلام، وهذه كتب الشيعة تنقل سيرة السيد المسيحعليه السلام بشكل مفصل كما في «نهج البلاغة» وما روي عن الامام الصادقعليه السلام في نصائحة لعبدالله بن جندب، وما ذكره ابن شعبة الحراني المتوفى سنة ٣٨١ هـ في كتابه «تحف العقول» حيث بلغ ١٦ صفحة (و يبدو انه كان أكثر اطلاعاً على المؤلفات المسيحية لانه حراني) ومن اروع ما جاء في وصف المسيح ما قاله الامام عليعليه السلام في الخطبة رقم ١٥٩:

«و ان شئت قلت في عيسى بن مريم، فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر، وظلّه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولامال يلفته ولاطمع يذله دابته رجلاه خادمه يداه».

و لاتعدم كتب أهل السنة النقل عن هذه السيرة المباركة فهذا الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» يذكر بعض الكلمات القصار ورواية مفصلة عن السيد المسيحعليه السلام.

وان هناك تواصلاً ثقافياً وسيعاً بين المتكلمين من الطرفين[2].

والمنطلق الأساس لدى المسلمين هو الدعوة القرآنية لأهل الكتاب كي يجتمعوا مع المسلمين على مساحة مشتركة يقول تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلّا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله﴾[3].

و هذه المساحات كثيرة واسعة فالإيمان بالله تعالى رباً لهذا الكون وخالقاً ومرسلاً

---

١) الأعراف، ١٩٩.

٢) يراجع مقال السيد الداماد حول الموضوع في كتاب «الإسلام والمسيحية الارثوذكسية»، نشر جمعية الصداقة الإيرانية ـ اليونانية، ص ٦٧.

٣) آل عمران، ٦٤.

الانبياء لهدايته حيث كماله.

والإيمان بالفطرة الإنسانية منبعاً ثرأ لكل المقومات التي تهدي الإنسانية لذلك الكمال. والايمان بالشريعة الإلهية التي تنظم الحياة الاجتماعية، والقيم الإنسانية في المجال العائلي، والدفاع عن كينونة العائلة وقيمها.

والإيمان بالمستقبل الإنساني الكريم للبشرية حيث المصلح المنقذ المهدي ومعه المسيح يبنيان الحياة المليئة بالعدل والقسط بعدما ملئت بالظلم والجور.

والايمان بباقي حقوق الإنسان والدفاع عن المحرومين والمستضعفين كلها مساحات مشتركة تتحاور حولها الأديان وتسعى للتعاون فيما بينها يقول القرآن الكريم: ﴿ ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء الولدان ﴾[1] والكتاب المقدس يؤكد «الرب يحكم للمظلومين، يحكم لصالحهم»؛ ثم الاتفاق على مقاومة العدو الصهيوني الغاصب، ورفض ادعاءاته الباطلة من أنّه «شعب الله المختار».

يقول القرآن الكريم: ﴿ قل يا ايها الذين هادوا إن زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنّوا للموت ان كنتم صادقين ﴾[2]. ويقول الانجيل: «الله قادر على ان يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم» فالمعيار هو طاعة إبراهيم وتبعيته ﴿ ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾[3].

ولكن هل انتهت تساؤلاتي؟ يا بيروت
كلا فهناك علامات استفهام كثيرة في حياتك
ترى يا بيروت!

هل مرّبك المسيح ليقدسك؟ وما معنى الوصف المقدس لشخصيته الكريمة بانّه كان فتىً كالارز وان طلعته كانت كلبنان؟

و ما هي اسرار الهجرة إلى انحاء الارض وماذا تركته من اصداء وهل غيرت ثقافتها ام انصهرت في تلك الثقافات؟

وما هي ابعاد الهجرة العلمية إلى ايران وآسيا الوسطى والهند و الباكستان؟

---

١) النساء، ٧٥.
٢) الجمعة، ٦.
٣) آل عمران، ٦٨.

يروي المرحوم الحر العاملي «ان الشيخ عبد النبي بن احمد العاملي النباطي كان فاضلاً جليلاً فقيهاً معاصراً قاضياً في حيدرآباد (الهند)»[1].

و ما هي قصة الصحابي الجليل ابي ذر رضي الله عنه ومشهدية المنسوبين إليه في (الصرفنة الساحلية) و(ميس الجبل) فهل حل هذه الديار وبنى أسس التشيع لعلي عليه السلام ؟

و ما هي قصة هجرة قبيلة (همدان) إلى هذه البلاد؟

و ما هي قصة المدارس العلمية الكبرى في جبل عامل؟

و ما هي قصة المقاومة ضد العدو الغاصب؟

إنها وغيرها من مئات الاسئلة ما زالت مبهمة يضمها صدرك الكبير ذو الأسرار فحدثينا ونحن الساعون للاستماع وكلنا إذن واعية.

ايه بيروت يا ذات الربيع الثر الدائم وانت تلبسين حلة جديدة فانت عاصمة الثقافة، امس واليوم وغداً تواصلين امسك المفعم بغدك المشرق.

ايه فاتنة الدنيا... كم راق لسعدي الشيرازي ان يناجي طيفك بترانيم شعره وان يحث السير إليك ناصر خسرو (الرحالة العظيم) ليدوّن لنا بكل دقة في «سفرنامته» طولك وعرضك حتى بالأمتار، وبريشته الأحاسيس الجياشة الحب الولهان.

أجدني في ختام هذه الرحلة ما زلت غارقاً في النقطة التي تقع تحت علامة الاستفهام او تحت بائك الساحرة التي تبارك خالقها أحسن الخالقين فاغرق العالم في جمالها الفتان.

❊ ❊ ❊

---

١) روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٧٣.

الفصل الثالث

العلاقة مع الغرب

تأملات في رؤية غربية[1]

تبلورت نظرة الغرب إلى الإسلام عبر مراحل زمنية طويلة، تعددت فيها رؤى المستشرقين والمفكرين والباحثين والسياسيين الغربيين، تبعاً للخلفيات والمداخل المنهجية والدينية والفكرية والسياسية لكل رؤية. وعلى الرغم من تعدد هذه الرؤى، الا أنها تتفق، غالباً، على جملة من المبادئ التي تشكلت وتكاملت بالتدريج، حتى باتت تمثل وعي الغرب بالآخر، وهو جزء من وعي الغرب بذاته، وفي إطار هذا الوعي منح الغرب لنفسه موقع «الحقيقة» و«القوة» و«المركز» و«العقل» و«التقدم»، وأبقى للآخر موقع «التمثيل» و«الضعف» و«الاطراف» و«الجنون» و«التخلف»، وبالتالي مارس الغرب هذا المنهج في الواقع بأشكال مختلفة، كالغزو العسكري والسيطرة الاقتصادية والهيمنة الثقافية والسياسية والحرب النفسية والاعلامية.

ومن الرؤى المهمة التي طرحت في الغرب، في عقد التسعينات، رؤية المفكر الانجليزي «بيدهام برايان» التي عرضها في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة «الايكونوميست»، خلال عام ١٩٩٤، ولكنها لم تحظ بالاهتمام الذي حظيت به رؤيتا هانتينغتون في «صدام الحضارات» وفوكوياما في «نهاية التاريخ»، على الرغم مما تحتويه من نظرات لافتةإلى علاقة الغرب بالإسلام؛ وهي رؤية تكشف، في حقيقتها، عن نوع من الإستراتيجية الغربية تجاه التعامل مع العالم الإسلامي وأوضاعه العامة، ولا سيما ما يرتبط بمضامين الحضور الإسلامي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية.

---

١) نشر في مجلة المنهاج اللبنانية، العدد ٢٢.

مضمون رؤية برايان

يبدأ برايان عرض رؤيته بالقول: «ان الجو السائد في القرآن الكريم هو الجبرية، وان الإسلام ليس الا التسليم الجبري للإنسان أمام الخالق». ثم يعقد مقارنة بين نظرة الانجيل ومفهوم القرآن لما يسميه بالخطيئة الأولى. ويقول أيضاً: «ان الطبقة التي تحول دون التقارب بين الإسلام والغرب هي طبقة علماء الدين التي تتسلح بالاجتهاد الحر لتقرير المواقف العامة».

ويعقب على ذلك بقوله: «اننّا لو نظرنا إلى القرآن فسوف لن نجد سوى ثمانين آية تشير إلى النظم العامة، وغالبية هذه النظم ليس لها تأثير يذكر في مسيرة الحضارة الان». ثم يدعو الذين يؤكدون على التقارب بين الإسلام والغرب إلى رفع احتكار الفقهاء للاجتهاد، وتعميمه للجميع، ليكون لكل فرد قراءته الحرة للقرآن. ويضيف ان «واجب كل مسلم النظر إلى المستقبل، ولا يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم الا بازاحة علماء الدين وتعميم الاجتهاد على كل الافراد». كما «أن الإسلام إذا أراد دخول عالم الديمقراطية فإنه بحاجة إلى الاصلاح».

وهنا يعقد مقارنة بين وضع العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري ووضع أوربا في القرن الخامس عشر الميلادي، ويرى أن كلا الوضعين متشابهان في توافر الارضية المناسبة للاصلاحات، وفي نوعية المؤسسات الدينية لدى المسلمين السنّة حالياً ومؤسسات الكنيسة في القرن الخامس عشر الميلادي، وفي مستوى اليأس لدى المسلمين اليوم والأوربيين آنذاك، وفي التشوق لتحسن الاوضاع.

ويتحدث برايان عن عامل آخر له أثره في تحقيق الاصلاحات، ويتمثل في العامل الخارجي الذي يحرك الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكل فيه المسلمون العامل الخارجي المحرك لتطوير أوربا حينها، فإن الغرب اليوم هو عامل دفع العالم الإسلامي نحو التطور والتقدم. ويطرح هنا اشكالية حول الزمن الطويل الذي استغرقه التحول في أوربا، إذ يقدر بمئة وخمسين عاماً، بينما لا يستطيع العالم الإسلامي اليوم أن ينتظر مثل هذه المدة. ويجيب على هذه الاشكالية بأن التحولات اليوم تطرأ وتؤثر بسرعة، فلا يحتاج الأمر إلى

هذه المدة الطويلة، ولكن من أين يبدأ التحرك؟

يرى برايان أن التحرك يبدأ من الإسلاميين المحررين الذي يؤمنون بالديمقراطية، ولا بد من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، ولكنه يعترف بأن القسم الأعظم من العالم الإسلامي اليوم على أعتاب الدخول في أزمات سياسية كبرى تخلق جواً من القلق وتداخل العلاقات، وعلى الغرب أن يتحمل هذه التحولات، إذ يعتقد أن الغرب إذا أراد أن يحرك التحول في العالم الإسلامي، فعليه أن يدخل في نظمه (أي في نظام الغرب) هو أيضاً مسحات أخلاقية واجتماعية، يعبر عنها بالميول نحو اليسار الجديد، كما يشير إلى أن ابتعاد الغرب عن الاعتقاد بالآخرة هو سبب الكثير من مشكلاته، ولذلك يدعو الغرب للعودة، ولو قليلاً، للاعتقاد بالآخرة، ليكون أقرب إلى المسلمين.

وهنا يطرح برايان هذا السؤال: هل هناك بين الإسلام والغرب حرب محتومة؟ هذا السؤال أجاب عليه «هانتينغتون» بالايجاب في نظريته المعروفة بـ «صراع الحضارات». لكن برايان يرفض هذه النظرية حاذفاً من أطراف الصراع كل ما عدا الغرب والكونفوشيوسية والإسلام، معتبراً أن الاطراف المحذوفة لا تشكل حضارات أخرى.

أما الكونفوشيوسية فهي، كما يقول، غير مؤهلة لتقديم بديل حضاري للعالم، فيجب حذفها من الصراع، وفرض الصراع بين الغرب والإسلام، ولكنه يعتقد أن الصراع بين الإسلام والغرب غير محتوم، رغم ما يعبر عنه بالعنف الإسلامي، هنا وهناك، وكذلك تاريخ الصراع العنيف بين الإسلام والغرب، تارةً بالهجوم الإسلامي على الغرب حتى وصل إلى «بواتييه»، وأخرى بالهجوم الغربي على الإسلام حتى احتل الكثير من المناطق الإسلامية، فعلى الرغم من هذا التاريخ الا أن نوع الصراع غير مؤكد. ويفسر ذلك بأنه رغم الاختلافات العقدية بين المسلمين وبين الغرب المسيحي، فإن هناك أرضية مشتركة يمكنهما أن يتحاورا عليها. ويرى أن الدين نفسه لا يسوغ الصراع الماضي. ويضيف ان هذين الطرفين يمكنهما أن يتعاملا أحدهمامع الآخر، حتى الثوريين في ايران يمكنهم أن يتعاملوا مع الغرب بحكمة.

ثم يوجه اهتمامه إلى شمال أفريقيا، معتقداً أنه قد تقوم فيها نظم معادية للغرب،

فتقف في وجه هذا التقارب. ويبدي حساسية خاصة من هذا الاحتمال.

وبعد هذا يوجه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاث لكي يتأهل للتعامل مع الغرب والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة:

الأولى: الانسجام مع الاقتصاد الحديث.

الثانية: القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

الثالثة: العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم فيه.

وقبل أن يشرح هذه التوصيات الثلاث يركز على ما كان يجري، آنذاك، في الجزائر من زاوية نظرته الغربية، ويؤكد ضرورة التدخل الغربي في الصراع في الجزائر، ويتخوف كثيراً، من عواقب الانتصار الإسلامي هناك.

وحول قضية الصحوة الإسلامية، يطرح رأيين متعارضين: أحدهما متفائل، وخلاصته أن قيام النظم الإسلامية قد يوجد هجرة جماعية للغرب وجواً من القلق، ولكن هذا الجو القلق سوف ينتهي بسلام. أما الرأي الثاني فمتشائم، ومفاده أن قيام النظم الإسلامية يعني احتدام الصراع، وبالتالي تحقق نظرية «هانتينغتون».

بعد هذا، يرى أن على الغرب أن يغير الكثير من فرضياته، وعلى المسلمين أن يعيدوا النظر في التعاليم التي رُويت عن الرسول محمدﷺ قبل أربعة عشر قرناً، ليروا هل يمكن أن تؤثر هذه التعاليم في القرن الواحد والعشرين؟ ثم يعود إلى توصياته السابقة ليطرحها بالتفصيل.

فحيال المسألة الاقتصادية، يشكك برايان في وجود نظرية اقتصادية إسلامية، ثم ينتهي إلى ان الإسلام يعتمد النظم الفردية، وأن الاقتصاديين المسلمين يعتقدون بلزوم تحديد دور الدولة في الحياة الاجتماعية. ويقول: إنّ الفكرة السائدة هي أن المسلم يجب أن يتوخى العدالة، مثلاً، في أن يقوم الإنسان بتبديل مزرعة للحنطة إلى مصنع للكامبيوتر، ولكن كيف يمكن أن نعرف رأي الإسلام في هذا التغيير؟!

ويعود ليوصي النظام الرأسمالي بشيء من الانضباط الأخلاقي، الأمر الذي لم تستطع أن تحققه الماركسية بانقلابها على النظام الرأسمالي. ثم يشير إلى نظام الزكاة

فيعده نظاماً تبرعياً، ولذلك فهو لا يحل المشكلة، ويقول: إنَّ الزكاة في عصر الرسول كانت تركز على المعادن والزراعة، وتوسعت بعد ذلك، ولكن هذا النظام من الضرائب لا يمكنه أن يواجه احتياجات اليوم. أما الربا، فيرى أن تحريمه شيء مفيد، وان كانت الآراء في العالم الإسلامي، كما يدعي، تختلف في مسألة الربا، فقد أحلها «الطنطاوي» في بعض الحالات ورفضها من عداه في جميع الحالات.

ويميل برايان إلى مثل هذا الأسلوب، ويوصي البنوك الغربية باعتماده نوعاً ما، ولكنه يُشكل على هذا بالقول: إنّنا إذا لم نكن نطبق نظام الربا فكيف يمكن السيطرة على التوازن في عرض المال.

هذه المسألة هي المسألة الأولى، التي يتلخص رأيه فيها بعدم امتلاك الإسلام نظاماً اقتصادياً، وانما يملك بعض التعليمات العامة التي يمكن بشيء من التحوير وشيء من المرونة الغربية، الجمع فيها بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الحر.

أما في مسألة مساواة الرجل والمرأة؛ فهو بعد أن يقدم شرحاً تفصيلياً لوضع المراة اليوم، يقول: إنَّ السلوك الإسلامي، اليوم، لا يمتلك جذراً قرآنياً، وانما خلقته التفسيرات الذكورية للقرآن. وقد يبدو أن القرآن يقوم بنوع من التفرقة بين الرجل والمرأة، ولكن هناك طريق مفتوح لتفسيرات جديدة، ويدعو العالم الإسلامي إلى تجديد النظر في الاحكام القرآنية التي تقول بالتفرقة بين الرجل والمرأة.

وآخر بحث يطرحه هو المسألة الديمقراطية، ويراها المانع الأكبر لتقارب العالمين: الإسلامي والغربي؛ وذلك لان سبعة بلدان فقط من مجموع ثمانية وثلاثين بلداً إسلامياً لها نظم ديمقراطية، وما عداها يحكم بالحديد والنار والديكتاتورية.

ويرى أن العالم الإسلامي، إذا أراد أن يصل إلى الانموذج الغربي، عليه أن يعمم الديمقراطية في أرجائه جميعها. أما التمسك بنظام الشورى فهو لا يقوم بالدور الذي تقوم به الديمقراطية.

هذه هي خلاصة رؤية الباحث الغربي برايان حول منهج التقريب بين العالم الإسلامي والعالم الغربي؛ وهي توضح، تماماً، التخطيط الغربي الواسع لتحقيق نظم

العولمة المطروحة اليوم، ليس على الصعيد الاقتصادي وحسب، وانما على الصعيدين الثقافي والسياسي أيضاً.

ملاحظات على رؤية برايان

نجمل مداخلتنا على رؤية برايان في جملة من الملاحظات هي:

الأولى: ان هذا التصور الذي يذكره الباحث يعتمد النظام الغربي، اليوم، أصلاً يحتذى به بين الأمم، ويطلب من الأمم الأخرى أن ترتفع بنفسها ونظمها، كما يدعي، حتى تصل إلى هذا المستوى الذي يراه أصلاً.

والحقيقة أن برايان يتغاضى عن المساوئ الكثيرة التي يحملها النظام الغربي، وذلك على الرغم من اشارته إلى بعضها؛ إذ ان النظم الغربية تفتقر، عادة، إلى المعاني الإنسانية والاتجاه الاخلاقي، بل وتفتقر، أيضاً، إلى الحالة الاجتماعية المتعاضدة. والاغرب من كل شيء أنه يدعي أن الماركسية جاءت لتقيم نظاماً اجتماعياً أخلاقياً، ولكنها أخفقت في ذلك. والحقيقة أن الماركسية كانت تعاني من الداء الذي ابتليت به الرأسمالية والنظام الغربي اليوم، ألا وهو المادية في التصور وفي النظرة؛ إذ تصورت أن النظام الرأسمالي، بتشريعه الملكية، أوجد هذه التناقضات والآلام والآثار الاستعمارية جميعها، ونسيت أن داء النظام الرأسمالي ليس بقبوله الملكية، وانما يكمن في الاتجاه المادي الذي يحمله. ولما كانت الماركسية تحمل الاتجاه المادي نفسه، فقد ابتليت بالاعراض نفسها، كما ابتليت بالحالة الاستعمارية والتوجه السلطوي؛ حيث كانت الطبقة، هنا، تقوم مقام الفرد في النظام الرأسمالي، فتظلم باقي الطبقات وتستأثر بها. وبشكل عام يمكن الاشارة إلى ألوان من مساوئ النظام الرأسمالي، أو النظام الغربي، كالتدني الأخلاقي والتفكك الاسري وشعور الفرد بالوحدة، وتفشي حالات الانتحار. والاسوأ من كل شيء، استمرار مجالات الهيمنة على الآخرين، وهو الداء الذي تعبر عنه «العولمة» اليوم، والتي تعني هيمنة الوضع الاقتصادي الغربي على الوضع الاقتصادي العالمي، والوضع الثقافي الغربي على الوضع الثقافي العالمي، والوضع السياسي الغربي، أيضاً، على الوضع العالمي. ومن هنا حري بنا

أن نسمي العولمة بـ«الغربنة» أو «الأمركة».

والغريب أن الباحث برايان ينصح الأمة الإسلامية بالتبعية (السياسية والاقتصادية والثقافية) للغرب حتى يمكن تحقيق التقارب المطلوب. هذهالنقطة ألاهم في رؤية برايان. وغريب، أيضاً، أن يرى أن العالم الإسلامي الذي يعيش في القرن الخامس عشر الهجري بحاجة إلى نهضة شاملة، كما كان العالم الغربي في القرن الخامس عشر الميلادي على أبواب نهضة شاملة، ويرى أن العامل الخارجي الذي حرك الغرب نحو النهضة هو العالم الإسلامي، وهنا يرى أن العالم الخارجي الذي يحرك العالم الإسلامي هو الغرب. فالغرب إذا عامل الاصلاح، وهدف الاصلاح هو الكينونة وفاقاً للصورة الغربية.

الثانية: ان برايان يوجه نقده إلى نقطة القوة والحيوية في عالمنا الإسلامي المتمثلة بعلماء الدين الذين يصفهم رسول الله ﷺ بأنهم ورثة الانبياء عليهم السلام باعتبارهم فقهاء الشريعة وباعتبارهم يمنحون الحياة الإنسانية صورتها الإسلامية، بهم تحفظ الصفة الإسلامية للأمة، كما يوجد نقده للمنهج التخصصي للفقهاء وهو الاجتهاد ويدعو لسلبهم هذا السلاح الحيوي - وهو كما نعلم - سر من اسرار المرونة الإسلامية والخلو والإسلامي. لان المجتهد هو الذي يعمل على استكشاف الحكم الشرعي وهو الذي يعمل على تطبيق القواعد واستكشاف حكم الوقائع من الاصول التي لديه فاذا فقدت الأمة علماءها واجتهادهم المطلوب الذي يحقق كل الشروط المطلوبة عادت امة تائهة لاترتبط بأصولها، ولاتعرف منابعها، وهذا ما يريده الباحث برايان، فهو يدعو إلى ان تنفصل الأمة عن ماضيها، وأحياناً يكشف عن ارادته هذه - حينما يوصي الأمة بأن تعيد النظر من جديد في كيفية تطبيق تعاليم نزلت قبل اربعة عشر قرناً على واقع متطور متحضر هو الواقع اليوم، او عندما يقول: ان هناك فقط ثمانين آية تشير إلى الاحكام العملية لتنظيم الحياة، وهي لاتصلح للتطبيق في واقعنا القائم. كل هذه التعبيرات تكشف عن الغرض الأصلي من هذا التنظير، انه محاولة سلب الأمة صفتها الإسلامية، وإبعادها عن دورها وعن واقعها وعن سر إسلامتيها بقائها واقتدارها. وفي الوقع ان مثل هذا التهديد ينبهنا إلى مكمن الخطر، يشدنا إلى عملية تحصين هذا المكمن، وينبه العلماء إلى دورهم الكبير في الحفاظ على شخصية هذه الأمة، واتصالها بواقعها.

الثالثة: يحاول برايان ان يغير الحقائق، أو يفرض فهمه المغلوط للقرآن الكريم ليبني على أساس منه تصورات نظرية، فمثلاً نجده يؤكد بأن الجو الغالب فى القرآن هو الجبرية، والإنسان المسلم يشعر بأنه، مجبور في حياته وفي مسيرته، مما لايؤهله للتطوير، ولايؤهله للنهضة والاصلاح، وهذا أمر مغلوط تماماً، فالقرآن الكريم يؤكد للإنسان انه يستطيع ان يغير نفسه، وان التغيير الإلهي يتبع تغييره الذاتي «أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم». «ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على القوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، فالاتجاه القرآني ـ خلافاً لما يتصور ـ يقرر الإرادة الإنسانية وتقوية الارادة الإنسانية، ولكن في إطار اللطف الإلهي.

و نراه أيضاً يفسر الإسلام بالتسليم إلى القدرة الإلهية دون ان يشعر بوجود ارادة حرة، وهذا تفسير مغلوط ايضاً؛ لأن الإسلام يعنى التسليم الطوعي للإنسان، للأوامر الالهية باعتبارها الطريق إلى التكامل، وحيال مقارنته بين قراءات الانجيل قراءة القرآن للمعصية الاولى، او ما يسمعيه المعصية التي ترتبط بالحياة الإنسانية، فالحقيقة ان ما نعلمه من القرآن هو أن كل الآيات القرآنية ترتبط ارتباطاً مباشراً او غير مباشر بالحياة وسلوك الإنسان، حتى آيات الآخرة وآيات التوحيد،آيات العدل الإلهي، فانها كلها تصب في صياغة الشخصية الإنسانية الموحِّدة والعادلة والمتوازنة في سلوكها ومايذهببرايان مغاير للحقائق تماماً.هو الأمر نفسه مع تصوره بأن تعاليم القرآن هي تعاليم انسانية، جاءت لتصلح وضعاً قديماً، في حين أن القرآن الكريم جاء من خالق الإنسان، ليصلح الإنسان، ويعلمه طريق الكمال الوحيد، وينسجم مع فطرته التي لا تتغير مهما تغيرت الاحوال والظروف.

ومن هذا القبيل ما نشاهده من عرض خاطئ ومبسط للاقتصاد الإسلامي، فكأن الاقتصاد الإسلامي يتلخص في اتجاهين أخلاقيين، أحدهما: الزكاة التبرعية، والثاني: تحريم الربا، في حين أن الاقتصاد الإسلامي له نظريته الكاملة في توزيع ما قبل الانتاج الإنساني، وفي الانتاج نفسه وتطويره، وفي عملية توزيع ما بعد الانتاج الإنساني، كما أن له تصوراته الكاملة عن أهم عناصر الاقتصاد، ولا ينحصر بما تصوره برايان. كما أن المذهب الاقتصادي الإسلامي يطرح مختلف المشاكل الإنسانية، ويعطي حلوله المتكاملة،

فيستوعب الحياة كلها. فأي سلوك اقتصادي في المجتمع لا بد من أن ينطبق عليه أحد الاحكام الخمسة، وهذا يعني أن النظرية الاقتصادية الإسلامية، مذهبياً، عامة وشاملة لجميع نواحي الحياة.

أما القوانين الاقتصادية والنتائج العلمية التي تكشف ما هو الواقع في الخارج فإنها أمور ليست من وظيفة الدين، انما على الدين أن يعطي قواعده وخطوطه العامة. ومن هنا تصوّر برايان أن المسلمين يمكنهم أن يضعوا نظريتهم الاقتصادية جانباً ليلتحقوا مباشرة بالنظام الغربي العالمي لقاء أن يقوم الغرب ببعض التعديلات الاخلاقية على نظمه. وهذا التصور، في الواقع، تصور غريب جدا، ينطلق من فكرة العولمة الاقتصادية التي أشرنا إليها.

الرابعة: ان بزايان يقدم أحيانا اعترافات مفيدة، فيقول مثلاً: ان كثيرا من النظم القائمة في العالم الإسلامي صنعها الاستعمار الغربي، وهو يتحمل وزرها، وعليه إذا أراد أن يقرب العالم الإسلامي اليه، أن يتحمل تغيير هذه النظم الدكتاتورية إلى نظم ديمقراطية. وفي مكان آخر يرى الباحث أن ابتعاد الغرب عن الاعتقاد بالآخرة هو سبب الكثير من مشاكله، ولذلك فهو يدعوه للعودةهذه العقيدة؛ لكي يكون أقرب للمسلمين كما يقول: ان على الغرب أن يغير الكثير من فرضياته ونظرياته، لانها لم تعد تمتلك صفة علمية. ويوصي النظام الرأسمالي بمقدار من الانضباط الاخلاقي والاتجاه الاجتماعي واعتماد سياسة اليسار الجديد، أي الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية. وبالنسبة إلى الربا، فإنه يرى فيه أضراراً كبيرة، ويرى أن تحريم الإسلام للربا هو اتجاه صحيح يجب أن تحتذيه البنوك الغربية، ويجب أن يأخذه الاقتصاد الغربي بعين الاعتبار.

وهكذا نجد برايان، بين الحين والآخر، يحاول الاعتراف بالحقائق الدامغة من قبيل اذعانه بأن النظام الإسلامي الإيراني هو نظام ديمقراطي كامل.

الخامسة: هناك تركيز كبير، في هذه الرؤية، على أوضاع الجزائر وتخوف عظيم من التحول الإسلامي فيها، فهو يرى أن أي تحول في هذه المنطقة يعني انقلاب العالم الإسلامي كله باتجاه النظام الإسلامي، ويرى أن الغرب يجب أن يبذل جهده للوقوف أمام هذا التحول الذي يقع لا محالة.

والحقيقة أن الجزائر حالة من الحالات الإسلامية العامة، وأن الصحوة الإسلامية تسري في عروق العالم الإسلامي أجمع، وتضعه على أبواب تحول كبير لاكتشاف ذاته الحقيقية والعودة اليها، واسترجاع هويته وخصائصه الاصيلة.

السادسة: يرى برايان أن المساواة بين المرأة والرجل، في المجالات جميعها، أمر طبيعي انساني، يجب أن تسعى الحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي للوصول اليه.

والحقيقة أن هذا التصور مغلوط من أصله، إذ ان الرجل والمرأة يقومان بدورين متكاملين، وكل منهما يحملِ مسؤوليات جساماً، وله حقوق تماثل هذه المسؤوليات. يقول تعالى: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾.

ان التصور الإسلامي لحقوق المرأة والرجل قائم على أساس من هذا التكامل، وعلى أساس من مقتضيات الطبيعة التي تشكل الرجل والمرأة. وحينئذ فإن منطق التساوي الكمي منطق يرفضه حتى الواقع القائم اليوم في العالم الغربي. فلا بد من النظر إلى واقع المسؤوليات ومجموع الحقوق، وحينئذ سوف نجد ان الإسلام وضع كل شيء في محله، وأقام نظاماً اجتماعياً سليماً متوازناً. أما المفهوم الغربي لحقوق المرأة وحقوق الرجل، والذي يدعو إلى المساواة الكاملة، فهو منطق لا ينظر إلى الاختلافات الفيزيولوجية، ولا ينظرالاختلافات الوظيفية في الحياة الاجتماعية، ولا ينظر إلى الأهداف التكاملية الإنسانية. ومن هنا، فإننا نرى أن ما أوصى به برايان العالم الإسلامي باقرار المساواة بين المرأة والرجل، هو توصية في غير محلها، وتحاول أن تقلب الأمور الواقعية والحقائق الطبيعية رأساً على عقب.

السابعة: يرى برايان أن الشورى لا تفي بالمطلوب، وأن الصحيح هو الحل الديمقراطي بمنطقه الغربي. وهذا الأمر، قائم على المنطق الغربي الذي يجعل الدين شأناً فردياً لا علاقة له بالحياة. أما المنطق الإسلامي فإنه يعطي الدين المرجعية الكاملة في الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، ولا يمكن أن ينسجم هذا المنطق مع الفهم الغربي للديمقراطية القائل: ان الشعب هو الحاكم في مصيره وفي تشريعاته وفي كل شيء يرتبط بحياته الاجتماعية.

ان التصور الإسلامي يقوم على أساس الهداية الالهية للامة لتحقيق الخلافة

الإنسانية الله تعالى، وبالتالي، يفسح مجالات معينة ليقوم الشعب، عبر نظام الشورى، باختيار الافضل لتطبيق الحكم الإسلامي، او لحل المشكلات الاجتماعية الموكلة اليه. فالحدود العامة (العقوبات) حدود الهية، والتطبيقات تترك، أحياناً، للامة؛ لتنتخب الفرد الحاكم، ولتنتخب النظام الافضل لتطبيق الحكم الإسلامي.

فإن الشورى، اذن، هي الامثل، وهي الاكثر انسجاماً مع التصور الإسلامي للحياة السياسية الاجتماعية، وان المنطق الغربي منطق لا يقوم على أساس أخلاقي أو ديني أو واقعي متين.

وعلى الرغم من أن برايان يعارض نظرية «هنتغتون» في الصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية، ويعتقد أن التصورين يمكنهما أن يجتمعا ويتآلفا، فهو يرى أن طريق الحل يتمثل في أن ينسجم العالم الإسلامي مع الوضع الغربي، وهذا الحل غير الواقعي سيفرز علاقة غير متوازنة، وبالتالي فهي علاقة مرفوضة.

* * *

تساؤلات حول العلاقات

بين العالم الإسلامي والغرب[1]

وردت من الاخ صلاح عبد الرزاق في هولندا مجموعة اسئلة في الفقه السياسي تدور حول موضوعات مهمة وحساسة، حيث ان الاخ السائل في صدد اعداد رسالة ماجستير تحت عنوان: «العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب وتأثيرها على القانون الدولي الإسلامي»، لذا وقع اختياره على الكتاب الأوّل من سلسلة كتاب التوحيد: «الدولة الإسلامية... دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية»، ليكون احد مصادره في مجال الفقه السياسي، فأثار الكتاب لديه مجموعة تساؤلات ذكرها في رسالته وملخصها:

انني طالب مسلم في جامعة ليدن بهولندا، أقوم حالياً بتحضير رسالة الماجستير في الدراسات الإسلامية، تحت عنوان «العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب وتأثيرها على القانون الدولي الإسلامي». ويعلم سماحتكم أنه لابد من ادراج وجهة نظر الفقه الإسلامي التي تتضمن احكام الشريعة الإسلامية في القضايا المطروحة والمتعلقة بالبحث. وأنكم خير من يمثل رأي الشريعة الإسلامية في هذا الزمن المعاصر، ولديكم أبحاث عميقة آراء قيمة فيما يتعلق بالدولة الإسلامية.

وانني ارجو من سماحتكم ابداء رأيكم في القضايا التي اطرحها، كي يمكن ادراجه

---

١) نشر في مجلة التوحيد الصادرة في قم،ايران،العدد ٨٥، الصفحة ١٥٩.

ضمن البحث كمصدر شرعي وأكاديمي.

ولا يخفى عليكم ان الإسلام في الغرب يتعرض لشتى الاتهامات والاباطيل في شتى المجالات، الاعلامية والسياسية وحتى الاكاديمية التي يفترض بها أن تتمتع بالموضوعية والمنهجية العلمية، بعيداً عن الدوافع والتأثيرات والاحقاد. ولا ريب أن الرد العلمي الموثق بآراء العلماء والفقهاء، خير رد على تلك الاتهامات، وربما يساهم في عرض المفاهيم الإسلامية والاحكام الشرعية الاصيلة.

والاسئلة المطروحة هي:

١. ذكرتم في كتابكم (الدولة الإسلامية)، أن أحد العناصر الاساسية التي تقوم عليها السياسة الخارجية الإسلامية هو «المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم»[١].

فما هو تعريفكم للمصلحة، وما هي حدودها؟ ومن الذي يقوم بتحديدها؟ وهل يمكن من خلال السعي للمصلحة تجاوز حكم إسلامي أو قاعدة إسلامية؟

ألا تعتقدون ان ذلك يفتح الباب واسعاً أمام خرق القانون الإسلامي، تحت ذريعة المصلحة الإسلامية؟ وماذا يبقى من الالتزام بالشريعة الإسلامية إذا كانت المصلحة مسوغاً لتجاوزها؟

واذا كانت المصلحة هي الاساس في التعامل، فما هو الفرق - على المستوى القانوني والسياسي - بين الإسلام والنظم الوضعية المعمول بها في العالم؟

٢. (نفي السبيل على المؤمنين) أهو هدف تطمح إليه الدولة الإسلامية أم واقع متحقق في السياسة الخارجية الإيرانية، ومواقفها الدولية ومعاهداتها واتفاقياتها؟ مثلاً هل تستطيع ايران التحكم بأسعار نفطها أم تلتزم بما تفرضه السوق الدولية ومنظمة الاوبك؟

٣. ذكرتم القواعد الثانوية والقواعد الأوّلية، وأن الأولى تستطيع أن تحكم على الثانية.[٢] هل تتفضلون بتعريف كل واحدة منها، ودورها في التشريع الإسلامي وتطبيقها في العلاقات الخارجية للجمهورية الإسلامية؟

---

١) انظر كتاب: الدولة الإسلامية... دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية، الشيخ محمد علي التسخيري، سلسلة كتاب التوحيد (١)، ط ١٩٩٤، ايران، ص ٨٠.

٢) م. ن.

٤. ايـران مـن الدول المـوقعة عـلى اتـفاقية جـنيف ١٩٦١ الخـاصة بـالبعثات الدبلوماسية، والتي تضمن الحصانة للدبلوماسيين وعدم تعرضـهم للتحقيق والمـحاكـم والعـقوبات فـي البلد المـضيف. فـهل يأتـي الالتـزام بـهذه الاتـفاقية ومـنح الحـصانة للدبلوماسيين المسلمين وغير المسلمين من باب المصلحة الإسلامية، أم الوفاء بالعهد بعد التوقيع عليها أم لغرض تمتع الدبلوماسيين الإيرانيين بنفس الامتيازات؟

٥. هل يجوز للدولة الإسلامية توقيع معاهدة عدم اعتداء مع دولة غير مسلمة؟ وهل يـعني ذلك تـوقف الجـهاد الابـتدائـي مسـتقبلاً، عـند مـن لا يـرى وجـوب حـضور الامام المعصوم؟

٦. يقول سماحتكم: «لا نوافق على قيام الدول المـتعددة فـي دار الإسـلام»[١]، فـما الاسس الشرعية التي تعتمدونها في ذلك؟ ان السوابق التاريخية تشيرعكس ذلك فالدولة الصفوية التي كانت تحت اشراف فقهاء الشيعة الكبار، كانت دولة قائمة بـحدودها ولهـا علاقات واتفاقيات مع دول إسلامية أخرى كالدولة العثمانية. ولم يطرح موضوع التوحيد، بل كانت بينهما حروب عديدة. والجمهورية الإسلامية الإيرانية تسـري قـوانـينها داخـل الحدود الجغرافية المعترف بها أولياً. كما انها تتعامل مع مـواطـنيها عـلى أسـاس انـهم يحملون جنسيتها التي تمنحهم الحقوق والامتيازات، والتي لا يتمتع بها المسـلمون غـير الإيرانيين. كما ان دخول الاجانب وحتى المسلمين يتم على وفق اجراءات القانون الدولي في الحصول على ترخيصة الدخول (الفيزا) وحمل جواز السفر والاقامة وغيرها. ألا تعتقدون ان ايران لا تختلف عن غيرها من دول العالم في ذلك؟ ألا ترون ان الاعتراف بدول إسلامية متعددة أكثر واقعية وعدالة وانسجاماً مـع الاوضـاع الدوليـة التـي تـعترف لكـل شـعب بدولته المستقلة؟

٧. في العصر الحديث، أصبح لكل دولة مؤسسة عسكرية متخصصة، فـاذا كـان الجيش قادرا على مواجهة العدوان والانتصار على العدو، فهل هناك حاجة لاعلان الجاد، الذي يبقى مجرد سلاح يلوح به لارهاب العدو، أم يجب استخدامه لتعبئة الشعب كمصدر قوة اضافية؟ وهل أعلن الامام الخميني رحمه الله الجهاد أثناء الحرب مع العراق؟

---

١) ن.

٨. ما رأي سماحتكم بانضمام الدول الإسلامية إلى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة. والتوقيع على احترام النظام الداخلي لها، وهل يمثل ذلك الزاماً شرعياً لقبول قراراتها؟

٩. ان بعض الاتفاقيات الدولية ذات طبيعة تنفيذية داخل البلدان الإسلامية فمثلاً تنفيذ قوانين العمل كتحريم عمل الأطفال دون سن معينة، أو التدخل في قضايا الاحوال الشخصية، والتجارة والجمارك وغيرها، فهل يجب تطبيقها؟ وما هو المسوغ الشرعي؟

١٠. العديد من الدول الإسلامية لجأت إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، لفض المنازعات والخلافات سواء فيما بينها أو مع الدول غير الإسلامية، مثلاً تحاكمت ايران وأمريكا لديها.

فهل يجوز التحاكم شرعاً إلى هذه المحكمة. الذي ورد في الآية الكريمة ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾[١].

وهل تعتبرون المحكمة الدولية أفضل وسيلة لحل النزاعات، بدل اللجوء الى القوة وشن الحروب. انطلاقاً من أن رسالة الإسلام تدعو للحق والعدل والسلام أم أن اللجوء اليها يأتي من باب المصلحة الإسلامية واسترداد الحق الذي قد لا يتحقق الا بواسطة هذه المحكمة.

١١. هل يعتبر توقيع الدولة الإسلامية على لائحة حقوق الإنسان ملزماً لها بتنفيذ موادها داخل الدولة، حتى لو كانت تعارض القوانين أو أحكام الشريعة الإسلامية، مثل الحرية الجنسية أو حرية المعتقد التي قد تؤدي الردة عن الإسلام، أم أن الافضل أن توقع على ما ينسجم مع الشريعة وتتحفظ على المواد المخالفة؟ وهل كان هناك آراء خاصة بقرارات مؤتمر السكان في القاهرة ١٩٩٤ ومؤتمر المرأة في بكين ١٩٩٥؟

١٢. حدث أثناء غزو العراق الكويت خلاف، حول شرعية الاستعانة عسكرياً بدولة غير إسلامية، ما راي سماحتكم؟

١٣. ان الدول الإسلامية حالياً تعتمد مفهوم المواطنة وامتلاك جنسية الدولة أساساً

---

١) النساء، ٦٥.

في منح الحقوق المدنية في العمل والاقامة والوظائف بشكل يتساوى فيه مواطنو تلك الدول سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ففي ايران مثلاً لا يوجد نظام الجزية. أيبقى هناك مكان لمفاهيم وأحكام (أهل الذمة) و(الجزية) أم يجري تطبيق القوانين المدنية التي تساوي بين المواطنين؟

١٤. هل يجوز قتل غير المسلمين أو الحاق الاذى بسبب خلاف مع الدولة التي ينتمون اليها، في بلدهم أو في البلد المسلم أو في بلد ثالث أو في طائرة أو سفينة وغيرها؟

١٥. هل يجوز اكتساب جنسية البلدان الكافرة والغربية؟ علماً بأن القوانين الغربية ستطبق على المتجنس، ومنها قوانين الاحوال الشخصية، وهي قوانين وضعية وغير إسلامية؟

وقد ينخرط المتجنس في جيش البلد الغربي وقد يدخل حروباً ضد بلد إسلامي، فما هو الحال؟ علماً بأن اكتساب الجنسية يفتح أمامه مجالات واسعة في التحرك والعمل حتى لخدمة الإسلام.

كما أن بعض المسلمين ليست لديهم أية جنسية، وجاءوا إلى البلدان الاوربية كلاجئين، هرباً من الانظمة الظالمة في بلدانهم.

١٦. هل تعتبر الدول الغربية دارحرب على وفق التقسيم الشرعي؟ وما رأيكم بذلك التقسيم الذي يقسم العالم إلى دار إسلام ودارحرب ودارصلح ودارعهد؟

١٧. هل يجوز الانتماء للاحزاب السياسية الغربية، من أجل الوصول البرلمان والدفاع عن حقوق المسلمين في ذلك البلد الغربي؟

العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب

الاخ العزيز الاستاذ صلاح عبد الرزاق المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فأساله تعالى لكم التوفيق والتسديد في عملكم العلمي وإجابة على رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٦ محرم ١٤١٧ الموافق ١٩٩٦/٦/٣ م اذكر النقاط التالية:

الإجابة على السؤال الأوّل: ان المصلحة العامة واضحة في مفهومها العام كما هي واضحة في مفهومها الشرعي، فهي في المفهوم العام: «كل ما يعود على الأمة من خير يقوي وجودها ويساهم في أداء دورها الحضاري كخير أمة أخرجت للناس».

وهي في مفهومها الشرعي «كل ما يحقق مقاصد الشريعة في الفرد والمجتمع». ويذكر الفقهاء منها: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل)

وواضح ان هذه الأمور تملك إطار أوسع إذا اريد منها المعنى الاجتماعي، فحفظ النفس ـ مثلاً هنا ـ يعني: «حماية الأمة ككل حتى ولو تطلب الأمر التضحية ببعض الافراد».

والمهم هنا ان نعرف اننا لو ركزنا على المصلحة الفردية قلنا ان الفقيه تارة يدرك تماماً أن المصلحة تكمن في هذا العمل بلا منازع وبشكل قطعي، فهنا له ان يحكم بمطلوبية العمل ـ على اختلاف درجة المطلوبية ـ اما إذا ظن بالمصلحة او احتمل وجود مزاحم لها او احتمل فقدانها لبعض الشروط التي تمنع من تشريعها فإن هذه المصلحة ليست حجة عند الشيعة، وان كانت بعض المذاهب السنية تقول بحجيتها اما إذا عبرنا الأمر إلى المصلحة الاجتماعية فهي بلا ريب موكولة إلى الحاكم العادل المشاور لاهل الخبرة، ولا يحتاج هذا الحاكم إلى ان يقطع بشكل تام بها، بل يكفي الظن العرفي، باعتبار ان عنصر الادارة لا يقوم على القطعيات، وانما يقوم على أساس ما يدرك من المصالح العامة في إطار منطقة الفراغ التي تركها الشارع لولي الأمر كما سنوضح.

اما ما طرحتموه من إمكان تجاوز حكم شرعي، بها فالجواب: ان هذا يعتمد على بحوث مدى الولاية التي يملكها الحاكم الشرعي فانتم تعلمون ان الافراد في إطار الاحكام الأوّلية لهم الحق كاملاً في الاستفادة من المباحات كما ان عليهم اداء التكاليف، ولكن لما كان حفظ النظم ورعاية المصالح المتغيرة للامة، والشروط الحادثة يحتاج إلى قيادة واعية للتجربة الإسلامية ولاساليب تطبيق الإسلام، وتنفيذ أوامره وحدوده، والدفاع عن كيانه، فقد جاءت مسألة الحكومة، ولا ريب في ان الحكومة بلا ولاية امر غير متصور لان الأمر يتطلب ان يقوم الحاكم بتحديد بعض الحريات الفردية لمصالح المجتمع، والمنع من بعض المباحات او الأمر بها، لتحقيق الوئام الاجتماعي المطلوب، ولما كان اكثر علماء المسلمين يشترطون الفقه في الحاكم، فقد جاء مصطلح (ولاية الحاكم الفقيه) ليقوم بهذا الدور.

أما حدود هذه الولاية: فهي كما بيناها في كتابنا (الدولة الإسلامية) تشمل مساحة

المباحات بالمعنى الاعم الشامل للمستحبات والمكروهات فله إذا ادرك المصلحة ان يحد منها وعلى الأمة الطاعة بمقتضى: ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾؛ اما بالنسبة للاحكام الالزامية فلها بحث واسع، الا اننا نشير إلى ان بعض الاحكام مشروط وجوبها بالقدرة كالحج. فاذا فرض الحاكم الشرعي الجهاد مثلاً على الفرد المستطيع (في حالته العادية) فإنه يفقد قدرته الشرعية على الحج ويقدم الجهاد حينئذ. وكذلك فيما لو وجد الحاكم تزاحماً بين امرين. من قبيل ما لو ترتب على الحج اذلال للشعب مثلاً فله بمقدرته الولائية ان يقدم الأهم على المهم، وكذلك لو رأى الحاكم ان تنفيذ حكم من الاحكام او نظام معين تترتب عليه آثار سيئة قطعية في بعض الظروف فله الايقاف الموقت حتى ينتهي ذلك الظرف من قبيل ما رآه الحاكم الشرعي اول ايام الثورة من ان منع الربا من البنوك من اول الأمر سيصيب البلاد بشلل كبير فقبل مؤقتاً به ثم عمل على تغييره.

فالجواب إذن على تساؤلكم عن الفرق بين النظام الوضعي والنظام الإسلامي: إنّ المصالح في النظام الإسلامي انما يعينها الإسلام، وفي النظام الوضعي يعينها الشعب أو الحاكمون، ثم ان الاصل هو تطبيق النظام الإسلامي قبل كل شيء، فاذا حدث ظرف طارئ أوجد تزاحماً كبيراً بين ما جعله الشارع نفسه (من المصالح وما قرره من أحكام) أمكن للحاكم في ظروف استثنائية وبشكل موقت تقديم الأهم على المهم وهذا فارق عظيم.

جواب السؤال الثاني: «نفي السبيل على المؤمنين» قاعدة اصيلة حاكمة، وهي مقدمة على كل حكم إسلامي. اولي (اي حكم الموضوعات بغض النظر عن الأمور الطارئة) مثالها: مثال قاعدة (لا ضرر) و(لا حرج) ويسعى الحاكم الشرعي من خلالها لتحقيق الاستقلال الإسلامي بل والعلو الإسلامي على الآخرين في مختلف المجالات العلمية والعسكرية والحضارية وغيرها. ولكن هذا لا يعني التفريط بالمصالح الإسلامية العليا والغرق في الخيال، وهل يمكننا اليوم أن نسوق نفطنا بحرية وبالقيمة التي نشاؤها؟ ان كل ذلك في حدود المقدورات بلا ريب.

جواب السؤال الثالث: القواعد الأوّلية، هي الاحكام الأوّلية التي تأتي عامة. ويمكن تعريفها بأنها الاحكام المجعولة للاشياء أوّلاً وبالذات، كاباحة شرب الماء، واباحة المشي، وحرمة الخمر، ووجوب الصلاة.

الاحكام الثانوية هي الاحكام التي تجعل للاشياء بلحاظ ما يطرأ عليها من ظروف

وشروط وعناوين اخرى تقتضي تغيير حكمها الاولي، فشرب الماء المباح إذا كانت تتوقف عليه الحياة يصبح واجباً، واذا كان يترتب عليه ضرر يصبح حراماً، والقواعد الثانوية كالتقية والضرر والحرج ونفي السبيل تعبر عن المرونة الإسلامية.

وهناك تطبيقات كثيرة في مختلف المجالات، نذكر منها: مسألة القبول بالقرار ٥٨٩ ووقف اطلاق النار، فمع ان الحكم الاولي على النظام العراقي انه باغ يجب ان يقاتل ويعاقب على اجرامه الكبير، ولكن الاضرار التي كانت تترتب على عدم القبول كبيرة، مما دعت إلى تقديم هذا الحكم الثانوي على الحكم الاولي.

جواب السؤال الرابع: الوفاء بالعقود والوعود من الواجبات الإسلامية. وبطبيعة الحال، فالالتزام بالاتفاقيات ضروري في نفسه وبذاته إلى الحد الذي تتطلبه الاتفاقية، اللهم إذا أخل الطرف المقابل بشروط العقد (من قبيل تجسس البعثات الدبلوماسية)، وربما وجد النظام الإسلامي ان هذا الوفاء يعود عليه باعظم الاضرار، كما لو قادت سفارة ما حركة انقلابية لنقض النظام بالفعل، وهنا يأتي قانون التزاحم الذي اشرنا اليه.

جواب السؤال الخامس: لا مانع من توقيع معاهدة عدم اعتداء مع دولة غير مسلمة، بل ان القبول بميثاق الأمم المتحدة يعني ذلك عموماً. اما مسألة الجهاد الابتدائي ـ عند من لا يرى وجوب حضور الامام المعصوم ـ فهي تتوقف فعلاً على غلبة المصلحة العامة وعدم ترتب الاضرار الكبرى بلا ريب.

جواب السؤال السادس: تعدد الدول الإسلامية؛ اجبت على هذا السؤال بوضوح في الكتاب واعتبرت هذه الحالة (حالة تعدد الدول الإسلامية) حالة استثنائية في تصورنا الإسلامي.

ويكفي للتدليل على وحدة الدول الإسلامية ملاحظة (وحدة القائد الامام، ووحدة المصلحة العليا ووحدة الأمة الإسلامية)، ولا مجال للتفصيل، وما نجده من واقع قائم هي امور تفرضها الظروف والشروط الحالية بصفة استثنائية ـ كما اعتقد.

اما حكاية الدولة الصفوية والدولة العثمانية، فانا لا أراها دولاً إسلامية بالمعنى الدقيق للدولة الإسلامية.

جواب السؤال السابع: اعلان الجهاد العسكري في المنطق الحديث هو نفس امر الجيش بالقتال، فاذا اريد الدعم الشعبي توسع هذا الأمر، وليس شيئاً وراء ذلك. نعم لو اريد

تحريك المسلمين في منطقة ما أو في كل المناطق واستثارة الحس العقائدي فيهم، فالأمر يكون شبيهاً بهذا الاعلان في العصور الاولى، والامام الخميني ﵀ بأمره الجيش بالقتال يكون قد اعلن الجهاد الدفاعي في تلك الحدود.

جواب السؤال الثامن: نعم يشكل الالتزام ـ شرعا ـ بالقبول بجميع مقرراتها، مع ملاحظة ما اشرنا إليه من قبل.

جواب السؤال التاسع: يجب تطبيقها عند الانضمام إلى المعاهدة، الّا إذا كان الانضمام اليها مع تحفظات مسبقة، فيمكن معها التحرر من البنود التي تم التحفظ عليها.

جواب السؤال الحادي عشر: أشرت إلى ان الانضمام إلى اية اتفاقية يعني الالتزام بها، الا إذا كان هناك تحفظ، ولا ريب اننا تحفظنا على كل ما يخالف الإسلام في هذه الاعلانات. وينبغي ان نشير إلى أن هذه الاعلانات التي اشرتم اليها ليست اعلانات ملزمة، وكذلك اعلانات القاهرة، وبكين؛ وقد قمنا بتوضيح الأمر، (وارفق لكم تقريراً عن نشاطنا مثلاً في بكين).

جواب السؤال الثاني عشر: القضية هنا شائكة، فلا أتحدث عن هذا المصداق. أما الحكم بشكل كلي من قبيل ما لو دخلت دولة إسلامية في صراع مع دولة كافرة واستعانت الدولة الإسلامية بدولة كافرة أخرى، فلا مانع منه، الا إذا ترتبت اضرار اخرى على هذه الاستعانة، فالقضية تحتاج إلى دراسة الظروف الموضوعية.

جواب السؤال الثالث عشر: اجبت ـ من قبل ـ على مثل هذا السؤال. وقلت: ان هذا الشكل من التطبيق تابع للظروف الحالية.

جواب السؤال الرابع عشر: الجواب الاولي هو النفي. فالمؤمنون بعيدون عن الغدر، وقد ادانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ بوضوح العمليات الإرهابية اى إذا كان (اولئك) لهم يد في اذلال الشعب او احتلال ارضه كما هو في فلسطين ولبنان. فمقاتلة الجيش الاسرائيلي ومن يناصره، كما يسمى بـ(جيش لبنان الحر) الذي يقوده انطوان لحد والذي يشكل حزاماً أميناً لاسرائيل ـ مثلاً ـ أمر يقتضيه الدين والعرف والقانون المحلّي والدولي.

جواب السؤال الخامس عشر: التجنس بجنسية البلاد الكافرة في نفسه لا مانع منه، الا إذا ترتب عليه عمل محرم، فيجب ملاحظة المستلزمات في ذلك، والحقيقة ان هذه المستلزمات موجودة، فاذا امكنه التخلص منها فلا مانع، والا فلا، إلا ان تكون ضرورة.

اما الانخراط في الجيش المترتب على التجنس لمصلحة إسلامية فقد توضح الجواب عليه في القسم الأوّل منه.

جواب السؤال السادس عشر: لا ارى انها من ديار الحرب، الا إذا دخلت حرباً مع العالم الإسلامي؛ بل هي من ديار العهد؛ والتقسيم الذي اشرتم إليه صحيح، الا أن التطبيقات مختلفة اليوم.

جواب السؤال السابع عشر: الجواب هنا نفس الجواب على السؤال الخامس عشر.

في الختام سأقوم بأرسال بعض ما طلبتموه مع البطاقة الشخصية لكي يمكن المراسلة من جديد أسال الله تعالى لكم التوفيق والتسديد.

* * *

رسالة

إلى المشاركين في ندوة لندن[1]

الاخوات والاخوة المشاركون في المؤتمر الثاني للحوار بين الإسلام والغرب والمنعقد تحت عنوان (الصراع او التعاون).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كم كنت أود لو أكون بينكم لنتابع حوارنا الذي بدأناه في المؤتمر الأوّل لولا أنّ السفارة هنا بطهران رفضت منحنا تأشيرة الدخول في آخر لحظة.

ولذا وجدت من اللازم علي ان ابعث لكم ـ على عجل ـ بهذه الرسالة التي كتبتها في الصباح الباكر من هذا اليوم الثلاثاء لاوكد لكم بكل اخلاص أني اشارككم في هذا المسعى الجميل لتحقيق هدف انساني كبير.

أيّها المشاركون الأعزاء!

خلافاً لما طرحه السيد صاموئيل هانتينكتون رئيس قسم الدراسات الاستراتيجية في جامعة هاروارد الأمريكية من افكار حول ارجاع الصراع اليوم الى الاساس الثقافي واعتبار (صراع الحضارات) هو المرحلة المتطورة من انواع الصراع التاريخي، وكذلك خلافاً لما يدعيه من ان الاختلاف بين الحضارات الموجودة اختلاف جوهري مستمر

---

١) رسالة إلى المؤتمر الثاني للحوار بين الإسلام والغرب (الصراع ام التعاون)، ١٤١٧/٢/١٥ هـ ق، ١٣٧٥/٤/١٢ هـ ش، ١٩٩٦/٧/٢ ميلادي، بريطانيا ـ لندن.

متصاعد، تغذيه الصحوة الدينية، فهو لا يقبل التغيير، وهكذا خلافاً لما يذكره من الصراع بين الجبهتين الغربية والإسلامية، ويدعو إليه من ضرورة التحالف الغربي مع الحضارة اليابانية، ومحاصرة الجبهة الإسلامية، والاستفادة من خلافاتها، ودعم العناصر الموالية للغرب فيها

نعم خلافاً لكل هذا اود ان أعلن لكم جميعاً ان الجواب الحقيقي للسؤال الذي يطرحه هذا المؤتمر هو (التعاون) ولا غير

ان هذا الجواب الايجابي تفرضه أمور هي باختصار:

أوّلاً: كون الحضارة منتوجاً انسانياً تكاملياً.. يستهدف اعلاء الإنسان واسعاده، وحينئذ فالصيغ الحضارية الإنسانية تتكامل بدلاً من ان تنعزل فضلاً عن ان تتصارع، فاذا راينا حضارة ما تزول فانما هي تزول لظلمها ـ كما يقول القرآن الكريم ـ او انعزالها عن المسيرة وانطوائها على نفسها.

وثانياً: فإن عوامل التواصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية كثيرة واهمها:

أ. تشابه الاصول التاريخية والدينية

ب. التجارب التي تم فيها التعاون التاريخي

ح. التجاور الجغرافي

د. وحدة الشعارات (كشعار الحرية، والعدالة، وحقوق الإنسان)

هـ وحدة المصير المشترك

ورغم ان هناك بعض العوامل التي تفرق بينهما من قبيل:

أوّلاً: وجود اختلاف في الاتجاه الغربي نحو الحياة الحسية والاتجاه الإسلامي نحو الحياة المعنوية

وثانياً: الاتجاه الواقعي الشرقي والاتجاه النسبي الغربي

وثالثاً: في عملية الفصل بين الدين والحياة في الغرب ووحدتهما لدى الشرق

ورابعاً: في القول الغربي بالحرية المطلقة والتعديل الشرقي بينها وبين العدالة

وخامساً: في الاتجاه الفردي الغربي والجماعي الشرقي

وسادساً: في اختلاف المصالح

وسابعاً: في وجود بقايا نفسية من الصراع التاريخي كما في مسألة الحروب

الصليبية، والاندلس، والاستعمار

واخيراً: بوجود بعض النظريات الاستعلائية

رغم كل هذا فإن عوامل التواصل اكبر واقوى، وان المنطق الإنساني في الحوار هو الاصل.

يقول القرآن الكريم ﴿يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[١].

أمّا واجبنا في مثل هذه المؤتمرات فيتلخص في ضرورة:

١. العمل على تصحيح نظرة كل منا إلى الاخر

٢. العمل على تحقيق التعاون الدولي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً

٣. العمل على تحقيق التفاهم الديني ـ والفلسفي

٤. العمل على تجاوز الرواسب النفسية التاريخية

٥. التوجه نحو المصالح الإنسانية العليا

٦. تجاوز النظرات الاستعلائية وعمليات فرض الهيمنة السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية

٧. تقوية الاواصر الثقافية

٨. تقوية اجراءات التعادل بالنسبة للحرية والفردية والمساواة

٩. السعي لابعاد الاتجاهات القشرية لدى الطرفين

١٠. العمل المشترك لتحقيق القضايا العادلة في مثل كشمير، فلسطين، البوسنة

١١. عدم استخدام القوة لفرض المنطق الذاتي (الاسلوب الأمريكي اليوم)

١٢. امتلاك سعة الصدر الاجتهادية والاجتماعية

الظروف المساعدة اليوم

والظروف اليوم تعيننا على هذا الحوار ومن أهمها مثلاً ما يلي:

١. سقوط الشيوعية

---

١) الحجرات، ١٣.

٢. الموقف الاوروبي من الحوار في قبال الموقف الأمريكي المتعنت

٣. قوة الأمم المتحدة

٤. ندوات الحوار المشكلة هنا وهناك

٥. فشل اطروحاتَ الفرض والتحميل في افغانستان وفلسطين، والصومال

٦. خفة الصراع في البوسنة، والعراق، وافريقيا.

وهنا نقترح الخطوات العملية التالية:

أوّلاً: علينا ان ننقل هذه الندوات إلى مؤتمرات عالمية واسعة

ثانياً: علينا ان نعمل على عقد لقاءات قمة بين قادة الاديان

ثالثاً: علينا السعي لتقوية المنظمات الثقافية والاقتصادية الدولية

رابعاً: علينا ان نطور لغة الحوار الفلسفي على مختلف المستويات

(ومن هنا نقيم دعوة الامام الراحل لغورباتشوف للحوار الفلسفي)

خامساً: علينا ان نفتح مجالات اخرى للحوار كالحوار اللغوي والحوار الادبي، والحوار الموسيقي، والحوار الفني وغيره

وختاماً: ارجو لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق وللسيدة نيكلسون النجاح في ادارة اعمال هذا المؤتمر الكريم

أود هنا في ختام رسالتي هذه ان اشكر اليونسكو وبالخصوص سيادة الاستاذ فردريكومايور وامينها العام على ما يبذله من جهد في خدمة قضية الثقافة والحوار العلمي الموضوعي مع الحضارة الإسلامية، وكذلك سعيه الحثيث في التعريف بدور هذه الحضارة في التراث العلمي للإنسانية جمعاء ويتجلى بعضى هذا السعي في اقراره لمشروع بيت الحكمة.

كما أود أن انوه بان أعلى مجلس ثقافي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية واعني به (المجلس الاعلى للثورة الثقافية) قد وافق على مساهمة ايران في انجاح هذا المشروع واوكل تنفيذ الأمر إلى منظمتنا رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ونرجو الله تعالى ان يوفقنا لاداء هذه المسؤولية الثقافية المهمة.

* * *

بين نظرية القراءات

والاجتهاد الإسلامي[1]

يشيع اليوم في الأقطار الإسلامية مصطلح «القراءات» كتعبير حديث عن وجهات النظر المختلفة المفسرة للنصوص الدينية وغيرها، ونظرا لما رافق هذه النظرية من إبهام وما اوجدته من اضطراب فكري فإن من المناسب دراسة حقيقة هذه النظرية ومدى انسجامها مع الثقافة الإسلامية الاصلية.

ولاريب ان هذا المصطلح غربي المنشأ وغريب على الثقافة الإسلامية وقائم على أساس من نظريات الهرمنوطيقيا الغربية الحديثة فهل هناك من جديد فيه؟ وهل لدينا ما يقابله من مصطلحات تفي بالحاجة فلا نضطر لاستيراد مصطلح جديد محاط بإبهامات خطيرة الاثر على نمط تفكيرنا وثقافة أجيالنا؟ فالاجتهاد مصطلح أصيل إسلامي، والفهم العرفي مصطلح أصيل إسلامي أيضاً وهما يقومان مقام المصطلح الوافد مع فارق كبير هو انهما مصطلحان واضحان محددا المعالم والسمات والضوابط بشكل يكاد ان نتفق عليه، وما نختلف عليه منه أيضاً محدد واضح ومع هذه الحقيقة وبملاحظة ان الاجتهاد الإسلامي اليوم يقع غرضا لسهام كل اعداء الإسلام لأنّه ضمانة ديمومة العطاء الإسلامي وسر المرونة الإسلامية التي تؤهل الإسلام لاستيعاب متغيرات الزمان والمكان والبقاء خالداً يحل مشكلات الأمة ويضع لها الحلول اللازمة، بل ولان المفروض في الاجتهاد ان

---

١) ألقي في المؤتمر الرابع عشر للوحدة الإسلامية في طهران، ١٧ ربيع الأوّل ١٤٢٢.

يربي العناصر التي ترشد الأمة وتحل مشاكلها واختلافاتها وتقود مسيرتها نحو الغد الحضاري الامثل، فهل ترويج مصطلح القراءات يعد اهداراً لهذا المخزون الإسلامي العظيم؟

ولما كانت هذه المشكلة مما يهم العالم الإسلامي من جهة ولان المذاهب الإسلامية جميعها لها موقف واحد تقريبا منها فإن مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية ضمن خططه الرامية للم شمل المسلمين ورفع العاديات عنهم وتوضيح المبهمات فقد قرر ان يكون موضوع مؤتمره الرابع عشر دراسة نظرية القراءات هذه والتركيز على البدائل السليمة.

ومن الطبيعي ان نركز قليلاً على الهرمنوطيقيا القديمة والحديثة لنعرف الأمور التي اشرطت بهذا المصطلح.

الهرمنوطيقيا

هذا المصطلح مأخوذ من فعل يوناني يعني التفسير وقد استعمله أرسطو في بعض كتبه بهذا المعنى.

ويرى بعض المحققين ان هذا المصطلح يرتبط بمراحل ثلاث من العمل التفسيري:

١. نفس النص ٢. المفسر ٣. انتقال رسالة النص للمخاطبين.

ويعتبر شلايرماخر ١٧٦٨ ـ ١٨٣٤ م مؤسس الهرمنوطيقيا الحديثة ويبدأ رأيه بهذا التساؤل: كيف يتم فهم الاقوال؟

فالسامع يفهم معنى ما بحدسه. وهذا الحدس عمل هرمونوطيقي والهرمونوطيقيا هي فن الاستماع وفهم العبارة والممارسة المكررة للنشاط الذهني للقائل او المؤلف لهذا النص.

فالمؤلف يصوغ جملة ما والسامع يخوض في أعماق تركيبتها (بواسطة اللغة).

والتفسير عبارة عن نشاط نحوي ذي علاقة باللغة، ونشاط نفسي مرتبط بالنمط الفكري للقائل.

فماخر متأثر بأقوال المفكرين الرومانسيين الذين كانوا يعتقدون بان الحالات الخاصة للفكر هي انعكاس لروح ثقافية اوسع؛ فالتفسير الصحيح يحتاج لفهم النسيج

الثقافي التاريخي للمؤلف وذهنيته الخاصة، وهذا المعنى يستلزم نوعا من الحدس بحيث يستطيع المفسر ان يتمثل وعي المؤلف لمدركاته هو. وقد يستطيع المفسر ان يصل إلى فهم افضل مما توصل إليه المؤلف.

انه يقول ان التساؤل عن معنى النص يطرح بأسلوبين:

احدهما، ماذا يقصد المؤلف؟ وهكذا يكتشف من النص، الافكار وحتى انه يكتشف من ملاحظة روح العصر آنذاك.

والثاني، ماذا يعني بالنسبة للمخاطب؟ فاذا كان المخاطب معاصرا فإنه يبدأ بتحليل النص لفظا لانه يشارك القائل في روح واحدة. اما إذا لم يكن معاصرا فإن عليه ان يعيد تركيب فكر المؤلف ورغم اختلاف ثقافتيهما. فإن هناك شبها معنويا بينهما، فاذا استطاع المخاطب ان يكتسب معرفة كافية عن القائل فإنه يمكنه ان يمارس من جديد تجربته الفكرية.

اما ديلتاي ١٨٨٣ ـ ١٩١١م فقد سعى إلى جعل نتائج العلوم الإنسانية شبيهة بنتائج العلوم الطبيعية عبر اعطائها أسلوبا رصيناً. حيث اعتبره أصلاً أسلوبا معرفيا للعلوم الإنسانية. ولكنه بسبب النمو السريع للعلوم الإنسانية وابتكار أساليب خاصة لكل علم، لم يوفق لطرح الهرمنوطيقيا وفق تصوره من جديد في قبال التيارات الفكرية الأخرى وهي من قبيل:

١. النظريات الجديدة حول السلوك الإنساني التي طرحت في علم النفس وعلم الاجتماع والتي فسرته اما بالعلل الغريزية او العوامل الطبيعية.

٢. التطور في العلوم المعرفية، وفلسفة اللغة التي قررت ان حقيقة ثقافة ما هي نشاط التركيبة اللغوية لها والتي تفرض نفسها على التجربة الثقافية.

٣. استدلالات فلاسفة آخرين مثل ويتكنشتاين وهايدگر التي تؤكد على ان التجربة الإنسانية لها ماهية تفسيرية ولذلك تعتبر الأديان مجموعة معينة من التفاسير. وعلى اي حال، فإن ديلتاي لم يقبل رأي ماخر في ان النص محصول لقصد المؤلف واعتبره رأيا معاديا للتاريخ حيث انه ينكر التأثيرات الخارجية.

ورأى ان أسلوب العلوم الإنسانية هو أسلوب فهمي في حين ان أسلوب العلوم الطبيعية هو أسلوب وصفي، وان اكتشاف الحقائق الطبيعية هو من قبيل تطبيق

القوانين الكلية.

والمؤرخ هو مفسر يسعى من خلال اكتشاف النوايا والأهداف والطباع الى معرفة العناصر المؤثرة في الحوادث التاريخية. ولما كنا اناساً أيضاً فإننا نستطيع اكتشاف هذه العناصر. فالفهم عبارة عن اكتشاف الانا في الانت من خلال المشتركات الإنسانية.

انه يتحدث عن نمطين من الفهم:

الأول: فهم الظهورات البسيطة: الكلام والخوف وهذا ما نفهمه بلا حاجة الى استنتاجات معينة لان هناك امرا مشتركا هو «الروح العينية».

الثاني: فهم التركيبات المعقدة كالحياة والعمل الفني وهو فهم متعال. فاذا لم نستطيع ان نفهم عمل شخص ما كان علينا ان ندرس ثقافته وحياته. فالفهم المتعالي هو وعي الافراد، والهدف الأصلي للهرمنوطيقيا هو تكوين وعي أكمل عن المؤلف. ولعله لم يتوفر هو عليه.

ان الإنسان يعي نفسه في التاريخ لا في تأمله الباطني وان حياته قطعة من الحياة في المجموع.

وهكذا نجد ديلتاي يقلل من ضرورة معرفة قصد المؤلف ويسعى ليطرح منطقاً تفسيرياً باعتباره نشاطاً في العلوم الإنسانية، ويربط إمكانية هذا الفهم بالتركيبة الكلية للطبيعة الإنسانية. وبعد ديلتاي نصل إلى مرحلة جديدة عبر طرح آراء هايدگر.

ويرى هايدگر ان التفسير يستلزم فرضاً مسبقاً. فالمفروضات مفاهيم تلقى بنفسها على التجربة وهي حالة هرمنوطيقية وان «الدزاين» او التفسير الإنساني للوجود البشري والوجود كله له دخله في تفسير النص.

ان «الدزاين» يمكن ان يفسر نفسه حيواناً ناطقاً او آلةً. ومعنى ذلك انه قد يفسر نفسه تفسيراً سيئاً وعليه يجب ان نحرر أنفسنا من تبعات التفسير السيء.

ويرى ان المصطلحات ليس لها معان ثابتة منفصلة عن استعمالاتها. بل ان العلاقات المتبادلة ترتبط بهذه المصطلحات فالفأس ليس وسيلة للدق فحسب، بل هو يكتسب معناه من محل العمل والمسمار والمشتري.

ان أرسطو لم يكن يفهم من مصطلح المواصلات ما نفهمه اليوم. ولذا ولكي نفهم النص يجب ان نعيد تركيبة عالم المؤلف من جديد. والحقيقة ان هايدگر لم يستطع ان

يوضح لنا إمكان تفسير النص او عدمه.

وهو ينتقل في كتابه «الوجود والزمان» بالهرمنوطيقيا من عملية معرفة الاسلوب إلى عملية معرفة الوجود. انه يؤكد ان الفلاسفة ركزوا على الوجودات الخاصة بدلاً من العمل على وعي معنى الوجود عموماً.

انه يبدأ بتحليل الـ«دزاين» اي التفسير الإنساني للوجود لينتقل تحليل الوجود.

واخيراً يطالعنا گادامر الذي يعتقد ان التفسير مسبوق بالفهم. وان المفروضات المسبقة شروط لتحقق الفهم، وان التفسير مستلزم لعملية تركيب بين أفق النص وافق المفسر. وهو بالتالي في كتابه «الحقيقة والاسلوب» يؤكد اننا لن نستطيع التأكد من ان تفسيرنا هو الصحيح.

الى هنا والهدف من الهرمنوطيقيا هو الوصول إلى قصد المؤلف وان كانت النتائج مخيبة للآمال أحياناً كما رأينا حيرة گادامر في إمكان فهم النص. ولكن الهرمنوطيقيا المعاصرة اعتبرت هذا أسلوباً تقليدياً متخلفاً.

فمدرسة الاتجاه التركيبي الأدبي ترفض ان تأخذ المؤلف بعين الاعتبار في تفسيرها للنص، انه وجود ميت وما علينا الا ان نفهم النص من خلال تركيبته الادبية والقرائن التي تحفه فهي ترفض الاسلوب التقليدي والهرمنوطيقيا الفلسفية معاً.

ومدرسة «رفض الأسس» أيضاً تبعد المؤلف وتبعد التركيبة اللفظية أيضاً وتعتبر قراءة النص نشاطا حرا وتعاملا مطلقا من اي قيد مع النص: وان قراءة النص ليست عملا دقيقا لكي نغرق في القرائن والبنيات التركيبية للنص وعليه فمن المكن ان نمتلك قراءات متنوعة عبر تحطيم أسس النص وبنيته[1].

وهكذا نجد مسيرة الهرمنوطيقيا تبدأ بشكل طبيعي ولكنها تتعثر وتنحرف حتى تصل إلى مرحلة حذف المتكلم والمؤلف والبنية التركيبية للفظ والقرائن والشواهد وطرح فكرة القراءات المتنوعة دونما مطالبة بدليل يؤيد هذه القراءة او تلك. وقد يعني هذا الوصول إلى مراحل يرفضها القائل نفسه وحينئذ تتعطل لغة الكلام ويغلق هذا الجسر

---

١) أغلب ماورد من آراء ونصوص استقيناه هنا من مجلة قبسات الفارسية في عددها المخصص للهرمنوطيقيا الدينية، وهو العدد الثالث للسنة الخامسة.

الحضاري «اللغة» فلا يسلم للإنسان مراد ولايثبت له تعهد ولايملك إلزام أي أحد بشيء فماذا بعد هذا إلّا الفوضى!

العوامل التي ساعدت على انطراح هذا البحث في الغرب

هذا البحث انطلق بلا ريب في الأوساط الدينية ثم خرج إلى الساحة الإنسانية العامة وأريد له ان يفسر الوجود كله.

وبالنسبة للاوساط الدينية في الغرب نلاحظ ان المسيحية كانت تحمل رسالة لليهود ملخصها ان الله تجلى للبشرية وعلى البشرية ان تخلد هذه الرسالة.

ولكن برزت مشاكل لدى محاولة الاستماع لرسالة العهدين الجديد والقديم.

هذه المشاكل يمكن ان نلخصها في ما يلي:

أوّلاً: كون النص في العهدين معقداً احياناً بحيث لايدرك معناه.

ثانياً: وجود عنصر الأسطورة التي لايمكن تصديقها لانّها غير معقولة بل توجد حالات متناقضة ـ مثلاً في وصف الأنبياء.

ثالثاً: عنصر السند فإن النص الديني لايمكن الاعتماد عليه ما لم يمتلك الاستناد الكامل للمشرع حتى يمكن ان يشكل امرا تصورياً او تشريعا قاطعين، وحينئذ يتم الالتزام التصوري والتشريعي. ويجمع المسيحيون على عدم كون نصوصهم منتسبة إلى الله تعالى وان تصوروا ان الاناجيل كتبت بالهام من الله.

هذه الإشكالات خلقت حيرة كبرى لدى المفكرين فهذا «بل ريكور» يرى ان خارطة الموقع الهرمنوطيقي للمسيحية يمكن رسمها بشكل تاريخي منظم في ثلاث مراحل:

فالمسألة الهرمنوطيقية في المرحلة الأولى تنطلق من سؤال شغل اذهان المسيحيين الاوائل وربما كان في مطلع البحوث في عصر النهضة الاصلاحية. وملخصه: ماهي العلاقة بين العهدين القديم والجديد؟ فمن وجهة النظر التاريخية لم يكن هناك نصان مقدسان بل هو نص واحد إذ العهد العتيق نص حدثت في زمانه المسيحية مما جعله نصا قديما متعلقاً باليهود؛ اما العهد الجديد فلا يستطيع ان يكون بديلاً للعهد العتيق بل ان العلاقة بينهما مبهمة وتحتاج إلى تفسير.

اما في المرحلة الثانية فتكمن في حديث «بولس» والتعقيد الذي يموج فيه. اذ يؤكد

على المسيحيين ان يفسروا حياتهم بما فيها من جزر ومد ومرونة في إطار مصائب المسيح وظهوره من جديد. وهنا يبدو التساؤل: ما هي العلاقة بين الموت والحياة؟ وبين موت المسيح ومعنى الوجود؟ فنحن نفسر حياتنا ووجودنا على أساس فهمنا عن مصائب المسيح وعلى أساس من تفسيرنا لوجودنا نعود لنفسر مصائب المسيح.

اما في المرحلة الثالثة حيث يتعرض للعهد الجديد لانتقادات العلوم الدنيوية فإنه تبدأ مراحل تطهيره من الأساطير.

اما المفكر بولتمان فيقول في مقال مشهور له تحت عنوان «العهد الجديد ومسألة معرفة الأسطورة»:

«تلوح في العهد الجديد مقولات لايرفضها العلماء والمفكرون فحسب، بل يعتبر الايمان بها امراً غير معقول»[١].

هذه المشكلات خلقت حاجات هرمنوطيقية والجأت المفسرين بالنهاية الى حلول وهمية رأينا مبلغها. في حين لانجد ايا من هذه العناصر في ثقافتنا الإسلامية ونصوصنا المقدسة.

ما هي العلاقة بين الهرمنوطيقيا وبعض العلوم الإسلامية؟

يبقى هنا ان نتساءل عن علاقة التفسير الهرمنوطيقي بالتفسير الإسلامي للقرآن الكريم وشروح السنة الشريفة وهل هما على مسار واحد.

الحقيقة ان التفسير المسيحي كما رأينا نشأ لحل المشاكل العويصة التي طرحت امام النصوص الدينية في العهدين، وكانه جاء ليوجه ويبرر هذه النصوص. وقد رأينا هذا التبرير لايصمد امام الحقائق الدامغة الأمر الذي دفع الهرمنوطيقيا للوصول إلى مرحلة عبثية هي مرحلة القبول بالقرارات الاعتباطية.

اما التفسير الإسلامي فقد جاء للتوضيح والتعمق في النص القرآني ومازال باستمرار يتعمق ويكتشف آفاقاً من المعرفة.

وبتعبير آخر فإن المفسرين لم يواجهوا المشاكل التي واجهها المفسرون

---

١) نفس المصدر.

المسيحيون. فالقرآن الكريم يعتمد عنصر البيان بحيث ينهل منه كل وارد وفق مستواه، لقد كان كتاباً عربياً مبيناً. وحتى عندما يكون المعنى سامياً يتطلب تشبيهاً موهماً ؛ فإن مثل هذه المتشابهات ارجعت إلى آيات محكمات توضح المقصود دون اي لبس.

اما عنصر الأسطورة المنافية للعقل فلا نجده مطلقاً في كتاب الله. نعم قد نجد الحديث عن خوارق العادة كتكلم طفل او طول عمر إنسان او احياء ميت وهذا يفسر بوضوح بقدرة الله تعالى الخارقة والتي لاتتنافي مع المسلمات العقلية بل يؤكدها العقل المؤمن بالقدرة الالهية المطلقة المؤمنة. بل نجد القرآن ينفي الأساطير التي كانت شائعة كمسألة نفي البحيرة والسائبة والأساطير التي نسجت حول الأصنام ويعتبرها من الأمور التي ما أنزل بها من سلطان.

ويأتي وصف الانبياء كاروع ما يكون إذ يعتبرهم يمثلون أسوة الإنسانية ويعطيهم صفة الشهادة على مسيرة الخلافة الإنسانية.

واما الحقائق العلمية فلم يواجه المفسرون اي تناف بينها وبين النصوص القرآنية بل رحنا نكتشف يوما بعد يوم الانسجام بين العلم والقرآن.

بقي لنا ان نشير إلى امور:

الأول: ماذا يعني التأويل في النصوص القرآنية؟

الثاني: ما علاقة الهرمنوطيقيا بأصول الفقه؟.

الثالث: ماهي علاقة مصطلح القراءات بمصطلح الاجتهاد؟

اما بالنسبة للتأويل، فنحن نرى ان فارقا جوهريا يميزه عن الهرمنوطيقيا ويتلخص في ان الهرمنوطيقيا انما نشأت لتسد نقصا ولتبرر غموضاً ولتحل تناقضا في النصوص الدينية المسيحية بينما كان التأويل مصطلحا دينياً بنفسه جاءت به النصوص لتعبر عن حقائق مهمة؛ فالتأويل في القرآن كما يبدو لمن تتبع استعمالاته يعني إحد المعاني التالية:

١. تفسير لنوع من الغموض الذي قد يطرأ على الفاظ يسوقها النص لبيان معاني سامية لايستطيع اللفظ ان يعبر عنها بدقة فتبقى جوانب غامضة فيه تجعله من «المتشابه» فيأتي النص «المحكم» ليرفع هذا النقص عبر تأويل وارجاع المتشابه للمحكم يقول تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا

الله والراسخون في العلم﴾[١].

٢. تعبير للرؤيا كما قيل في مجال التعبير لرؤيا عزيز مصر ﴿انا انبئكم بتأويله فارسلون﴾[٢].

٣. بيان لنتيجة العمل المعين.

يقول تعالى: ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلاً﴾[٣].

٤. وهناك معنىً رابع ذكره بعض المفسرين وخير من شرحه العلامة الطباطبائي وخلاصته:

ان تأويل القرآن هو «المنبع الذي يستقي منه القرآن معارفه ومفاهيمه واحكامه».

وكل هذه المعاني لا علاقة لها بمسألة التبرير والتوجيه ورفع التناقضات مع العقل والعلم والتي اوجدت الهرمنوطيقيا.

اما بالنسبة لعلم اصول الفقه، فإن هذا العلم جاء ليدرس العناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم الشرعي مركزاً على صغريات الظهور؛ اي ما يظهر للسامع او القارئ من الكلام المعطى دون اي تجاوز لهذا الظهورغيره؛ فلم يأت لحل رموز وتعقيدات في النص وانما جاء لتشخيص ظهورات الالفاظ وتطبيق قواعد الحجية عليها للوصول لمراد المولى سبحانه والعمل وفق أوامره.

وبالتالي نصل إلى الفروق الملحوظة بين عملية الاجتهاد ونظرية القراءات.

فإن الاجتهاد عرف بانه ملكة تحصيل الحجج على الاحكام الشرعية او الوظائف العملية شرعية او عقلية[٤].

انه بحث للوصول إلى حقيقة الحكم الشرعي الذي اراده الله تعالى وتحقيق مرضاته بطاعته.

وللاجتهاد مقدماته وضوابطه المحددة. واخطر انحراف ابتليت به مسيرة الاجتهاد، هو ما شابه القول بنظرية القراءات وان كان اسلم منها، واعني به القول بنظرية الاستحسان كأصل من اصول الفقه.

---

١) آل عمران، ٧.
٢) يوسف، ٤٥.
٣) الإسراء، ٣٥.
٤) مصباح الأصول، ص ٤٢٤.

فإن بعض معاني الاستحسان المذكورة امر مقبول من قبيل القول بانه «العمل بأقوى الدليلين»[١].

فإنه يعني العمل بالدليل الحجة ورفض الدليل الذي لايملك الحجية؛ فهذا امر صحيح وان كان لايجعل الاستحسان أصلاً من اصول الفقه ولكن فسر الاستحسان احياناً بانه «دليل ينقدح في نفس المجتهد لايقدر على التعبير عنه»[٢]. او انه «ما يستحسنه المجتهد بعقله» وهذه امور رفضها المسلمون، بل اعتبرها بعض الائمة بدعة؛ لانها تفتح الباب للآراء غير المستدلة وغير المنضبطة.

ولكنها على اي حال افضل من القول بنظرية «القراءات» التي انتهى اليها البحث في الهرمنوطيقيا الحديثة:

ذلك ان القائلين بنظرية الاستحسان بالمعنى المذكور يحصرون الأمر باستحسان المجتهدين دون غيرهم ثم يعتبرونه ينقدح بدليل في النفس يلاحظه المجتهد بين الادلة ولكنه لايقدر على التعبير عنه. على ان الاستحسان لديهم لايتم حينما يوجد دليل شرعي قطعي او ظاهر في الموضوع. وعليه فهناك إذن بعض الضوابط التي تميزه عن القراءة في حين نجد ان نظرية القراءات تنفلت عن كل ضابطة فهي تسمح للكل بامتلاك قراءاتهم ولاتطالبهم بأي دليل؛ بل حتى لو خالفت القراءة قطعاً مراد المتكلم. كما انها لاتمانع في تصحيح كل القراءات حتى لو كانت متناقضة. وبالتالي، فإن هذه النظرية تعبر عن منتهى الفوضى بل وتغلق باب الاستفادة من النصوص الدينية.

دراسة ونقد

رأينا ان فكرة القراءات امر لاينسجم مع منطقنا الديني وعلومنا الإسلامية ونحن نرى ان آثاره السلبية كثيرة نقتصر منها على الأهم عبر مايلي:

١. ان فتح هذا الباب يعني القبول بأي تفسير للنصوص الدينية دون المطالبة بالدليل، ودونما محاولة لترجيح رأي على رأي، وبالتالي القبول بالاستحسانات الظنية التي لا أصل لها وهو امر ترفضه التعاليم الإسلامية والثقافة الدينية بل وترفضه كل شريعة

---

١) مصادر التشريع، ص ٥٨.

٢) ن.م.

تحترم نفسها؛ فلا تترك نصوصها الاصيلة في مهب الاهواء.

٢. ان هذا يعني فتح الباب على مصراعيه لكل الفرق المنحرفة، بل الفرق المعادية للإسلام، بل الرافضة لاسسه اعتمادا على حريتها في التفسير. فلهاان تفسر الحياة الأخرى مثلا بالحياة اللاطبقية التي تسعى لها قوانين الديالكتيك، بل يفتح باب قراءة صنمية للنصوص الدينية.

٣. انها تؤدي إلى نسبية المعرفة وعدم إمكان الوصول للحقيقة الثابتة الأمر الذي يرفضه الوجدان ويشيع الفوضى الفكرية في الفكر الإنساني، وبالتالي تفقد إمكانية الوصول إلى فهم ديني للحياة.

٤. ان عدم الاهتمام بمراد المؤلف او المتكلم، يعني فصل المخاطبين عن المتكلم والشارع لهذا الدين، وبالتالي انقطاع الصلة بينه وبينهم. وهذا الأمر يغلق باب التحاور الحضاري والديني إلى الابد ويؤدي إلى ضياع المعايير كلها، وبالتالي يترك ذلك اثره على الاخلاق وعلم الحقوق بل وعلى المعرفة الإنسانية ككل.

٥. فتح الباب لمسألة التمرد والعصيان ورفض الاوامر الالهية. ذلك لأن معيار تنجيز هذه الاوامر وتعذيرها ـ كما يصطلح ـ هو القطع بالمراد، والقطع هنا منتف، فالطاعة أصلاً لامعنى لها، وبالتالي ينتفي الهدف والغرض من الدين عموماً.

٦. ضياع الكثير من معايير الحسن والقبح مهما كانت مبانينا في هذه المعايير، فإن الكثير من مواردها معلول لمضمون النصوص الشرعية.

٧. حذف دور الاجتهاد والمجتهدين في فهم الشريعة الإسلامية وهو هدف سعت إليه الدوائر الاستعمارية المعادية[١].

٨. واخيراً وليس آخراً فإنه يفتح باب العلمانية في عالمنا الإسلامي كما فتحه من قبل في الغرب. ولعل هذا هو المقصود الاصلي لأولئك الذين يروجون لمثل هذه الآراء.

ولا أدل على ذلك من كتاب «الاسس الفلسفية للعلمانية» لعادل ضاهر.

فهذا الكتاب يطرح كل الشبهات التي تطرحها الهرمنوطيقيا حول النص الديني من حيث الدلالة ومن حيث السند ومن حيث أسبقية العقل على الدين وكذلك من حيث تأثير

---

١) راجع مقالنا في مجلة المنهاج اللبنانية، العدد ٢٢، ص ٢٤٨.

المفروضات الذهنية على الوحي لينتهي بالتالي ضرورة المنهج العلماني في التعامل[1].

نقاط تجب ملاحظتها:

١. ان أصحاب هذه النظرية رغم ارتدائهم لبوس البحث العلمي لم يقدموا دليلاً مقنعاً عليها.

٢. ان هذه النظرية تستوجب اللغوية في كل أنماط التفاهم الإنساني.

٣. لاننكر ان للمسبقات الذهنية اثرها في لغة المتكلم، الا أن الأمر يختلف بالنسبة للنص الديني وناقل النص المعصوم؛ فهناك ضوابط كثيرة لتشخيص هذا التأثير.

٤. علم اصول الفقه لدى المسلمين قدم أجوبة شافية على شبهات العلمانيين لتأكيد حصول الحجية المطلوبة من النصوص الإسلامية معتمداً في كثير من الموارد على المعطيات العرفية التي لها حجيتها القطعية.

٥. والحقيقة ان مرادنا المرحلي هو معرفة مراد المتكلم قطعا، لكي نقوم بتحقيقه للحصول على مرتبة الطاعة لتحقيق الرضا الالهي والقيام بحق المولوية الثابت بالعقل قطعاً لنيل السعادة في الدارين.

نتيجة البحث

اننا نرى ان نقل مصطلح القراءات إلى ثقافتنا امر خطير يجب ان نحذر منه؛ لأنّه يحمل معه اشراطات خطيرة ولوازم سلبية يرفضها فكرنا الفلسفي والديني عموما فضلا عن اننا نملك مصطلحاً محدداً واضح المعالم هو «الاجتهاد» و «وجهات النظر» فلا حاجة إلى اي مصطلح غريب خطير.

* * *

---

١) راجع كتابنا حول الدستور الإسلامي رأي متطرف للعلمانية.

الأحداث الإرهابية

تداعياتها والموقف الإنساني المطلوب[1]

الحمد لله الرب الغفور الرحيم الذي خلق الناس شعوباً وأمماً وقبائل ليتعارفوا ويتحاوروا في شؤون حاضرهم ومستقبلهم على الأرض التي يتحملون جميعاً مسؤولية اعمارها والمحافظة عليها واستثمارها، وهي مسؤولية عظيمة وأمانة كبرى عنوانها (الاستخلاف في الأرض) التي عرضها البارئ (جل وعلا) على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان وكان ظلوماً جهولاً جراء ما اقترفت يداه، والصلاة والسلام على أنبياء الله جميعاً من آدمهم إلى خاتمهم الحبيب محمد الأمين صلى الله عليه وآله، وبينهم ابراهيم الخليل وموسى الكليم وروح الله عيسى عليهم السلام، وغيرهم... لا نفرق بين أحد منهم، فقد كانوا كلمة الله إلى البشرية، ليبلغوا دينه وينشروا العدالة والسلام والأمن والحب بين الناس. والصلاة والسلام على آل محمد الميامين وصحبه المنتجبين.

إن التحدي الذي نواجهه هو تحد للانسانية، والقضايا المطروحة على بساط الحوار هي قضايا انسانية وتهم كل فرد يعيش على كرتنا الأرضية، فسكان الأرض على مختلف أديانهم ومذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية هم جميعاً شركاء في المصير والغاية النهائية، الأمر الذي يفرض عليهم أن يكونوا بمستوى المسؤولية هذه ولا يفرطوا فيها أو يتجاهلوها؛ وإلّا فالكارثة ـ أيا كان لونها وشكلها ومضمونها ـ ستطال الجميع دون

---

١) حصيلة ما ألقي في لقاءات عديدة في القاهرة وقطر وليبيا.

استثناء. وهذه المسؤولية سنة الهية ثابتة لا تتغير ولا تتحول، ويشهد التاريخ على الأمم والأقوام الذين فرّطوا في هذه المسؤولية وخالفوا تعاليم الله، كيف اصبح مصيرهم والى أية نهاية انتهوا. ولكي لا نذهب بعيداً متوغلين في عمق التاريخ، فإننا نشير إلى ما شهده القرن العشرون من حروب وأعمال عنف وارهاب ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر، نتيجة للتفريط في تحمل عقلاء البشرية لمسؤوليتهم.

ومن هنا أتمنى أن يقف عقلاء البشرية على مسؤوليتهم حيال ما يجري الآن من أحداث مأساوية تشهدها بعض بلدان منطقتنا الإسلامية، جراء المغامرات وأعمال العنف التي يقوم بها بعض المتنكرين لإنسانيتهم وتعاليم أديانهم؛ بدافع الجهل والتعسف او بدافع الغطرسة والاستكبار.

قد لا آتي بجديد هنا حين أؤكد أن جميع الأديان الالهية، وفي المقدمة الإسلام، ترفض الإرهاب والعدوان والعنف، وتستنكرها ولا تجيزها شرائعها. وهذه الشرائع السماوية تلتقي مع الفطرة الإنسانية التي فطرها الله تعالى على حب العدل والسلام والخير. وبالتالي فالعنف والإرهاب اللامشروع مدان دينياً وانسانياً، أينما كان ومن أي شخص او جهة او دولة صدر. فالإرهاب والعنف الذي يقوم به الأفراد مدان ومرفوض، والإرهاب الذي تقوم به المنظمات والجماعات مرفوض ايضاً، وكذلك الإرهاب الذي تقوم به الكيانات والأنظمة والدول. فكل أنواع العنف والإرهاب تغرف من اناء واحد وتشترك في أهداف ترويع الناس وقتل الأبرياء وتدمير الأهداف المدنية، بغض النظر عن الديانة او الاتجاه الفكري والسياسي الذي ينتمي إليه الإرهابي، نصرانياً كان أم مسلماً ام يهودياً، سنياً كان أم شيعياً.

حول تعريف الإرهاب من وجهة نظر إسلامية وإنسانية

ظهرت بحوث كثيرة في السنوات العشرين عن الإرهاب حتى وصل بها البعض إلى ٦٠٠ بحث، وصدرت مجلات متخصصة، بل وانشئت معاهد علمية، واقترحت استراتيجيات حول محاربة الإرهاب، وصرفت اموال هائلة، ودربت جيوش على كيفية مكافحة الإرهاب ربما فاق عددها عدد الإرهابيين بل وربما ارتكبت الإرهاب باسم

مكافحته، وعقدت الكثير من المؤتمرات لمعالجة هذا السرطان[١]، والغريب مع هذا كله هو بقاء مفهوم الإرهاب غامضاً، وبقيت التساؤلات حوله بلا جواب، وكأنه أمر مقصود يبرر لمدّعي مكافحة الإرهاب ممارسة أشد انواع ارهابهم وغطرستهم وابادتهم للأمم والشعوب وسلب حقوقها ومصائرها ومصادرها وكرامتها.

وقد سجل الباحث (شميد) ١٠٩ تعريفات له ثم عرفه هو بما يلي:

(الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية او الرمزية كهدف عنف فعال، وتشترك هذه الضحايا الفعالة في خصائصها مع جماعة او طبقة في خصائصها، مما يشكل أساساً لانتقائها من أجل التضحية بها. ومن خلال الاستخدام السابق للعنف او التهديد الجدي بالعنف فإن أعضاء تلك الجماعة او الطبقة الآخرين يوضعون في حالة من الخوف المزمن (الرهبة). هذه الجماعة او الطبقة التي تم تقويض احساس اعضائها بالأمن عن قصدهدف الرهبة. وتعتبر التضحية بمن اتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوي من قبل معظم المراقبين من جمهور المشاهدين على أساس من قسوة، او زمن (وقت السلم، مثلاً) او مكان (في غير ميادين القتال) عملية التضحية او عدم التقيد بقواعد القتال المقبولة في الحرب التقليدية. وانتهاك حرمة هذا يخلق جمهوراً يقظاً خارج نطاق هدف الرهبة ...).[٢]

وهكذا يمضي في تعريفه الطويل بما لا محصل له.

في حين يعرفه جنكينز بانه (ما يفعله الأشخاص السيئون)!!

وهو تعريف غريب، فمن ذا الذي يحدد السيء والصالح والخيّر والشرير؟! أليسوا هم الاقوياء المستكبرون المتحكمون في مصائر البشرية وعلى رأسهم اليوم أميركا؟

ويعرفه الاستاذ شريف بسيوني بأنه (استراتيجية عنف محرم دولياً تحفزها بواعث عقائدية، وتتوخى أحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة او للقيام بدعاية لمطلب او لمظلمة بغض النظر عما إذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم ونيابة عنها أم نيابة عن دولة من الدول).[٣]

---

١) الإرهاب الدولي، د. محمد عزيز شكري، ص ١١.

٢) الإرهاب السياسي، ص ١ ـ ٢.

٣) حول الإرهاب الدولي، ص ١٦.

ورغم كون الاستاذ بسيوني متخصصاً قانونياً، ورغم القبول بهذا التعريف في اجتماعات الخبراء الاقليميين في فيينا عام ١٩٨٨، فإن تعريفه فيه ثغرات اهمها تركيزه على الإرهاب الفردي، وكون تعريفه غير جامع.

وقد تابع الاستاذ شكري تطبيقات هذا المصطلح في القوانين الوطنية كالقانون الفرنسي والسوري وكذلك على مستوى القانون الدولي فوجده تعريفاً غير مكتمل.[١]

لقد أيد القرار رقم ٢٠/٥ ـ س (ق) لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس فكرة عقد مؤتمر دولي بإشراف الأمم المتحدة لمناقشة موضوع الإرهاب الدولي والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل قضاياها الوطنية الثابتة وتحرير أراضيها. وتم عقد الاجتماع في جنيف، وقد وفقنا الله تعالى لحضوره، وكان علينا في هذا الاجتماع ان نأخذ الاعتبارات التالية:

أوّلاً: الرجوع قبل كل شيء إلى المصادر الإسلامية لاستحضار الأهداف التغييرية الكبرى، ومعرفة المبادئ التي يراها مقومة لانسانية الأهداف والأعمال، وجعلها بالتالي الأساس الذي نحكم به على القضايا.

ثانياً: العمل على استقراء الفطرة الإنسانية الاصيلة غير المشوبة بمقتضيات المصالح الضيقة، وذلك لتشخيص اصول انسانية يمكن طرحها على الصعيد الدولي، كمعيار انساني عام، ولتكون نتائج دراساتنا شاملة لشتى مجالات الصعيد الدولي وصالحة لتشكيل إطار عملي عام.

ثالثاً: أن نستخلص من تلك المبادئ الإسلامية والإنسانية تعريفاً عاماً جامعاً مانعاً، أي جامعاً لكل المفردات الحقيقية للارهاب ومانعاً من دخول المصاديق المدعاة للارهاب، والتي لا تسمح المبادئ السامية باعطائها هذه الصفة.

رابعاً: وبعد ذلك كان علينا ان نعمد إلى استعراض كل المصاديق المطروحة على الساحة الوطنية والعالمية على أساس انها نماذج ارهابية نعمد اليها فنفحصها على ضوء النتائج ثم نعطيها حكمها المناسب بشكل دقيق لكي لا يقع التباس او غموض، وينال كل عمل صفته الحقيقية.

وعلى ضوء هذه المقدمة نلخص حديثنا في نقاط:

---

١) الإرهاب الدولي، الباب الأوّل.

النقطة الأولى

من نافلة القول أن نذكر أن كل معسكر دولي، او كل دولة، او حتى كل مجموعة، لها اعداء ومعارضون، يسعى كل منهما للقضاء على الآخر، وعندما يلتحم الصراع فإن كل طرف يحاول تحطيم سمعة الطرف الآخر، باطلاقه عليها صفات منفرة بطبعها من قبيل (الفوضوية)، و(الاجرام)، (والخروج عن القانون)، (اللا إنسانية)، (الإرهاب) وأمثال ذلك.

بل قد نجد أن أحد الطرفين يطلق مثل هذه الادعاءات لكي ينفذ خطة تتضمن سلب حقوق اطراف اخرى بحجة التضامن مع العدو والتآمر ضد المصالح الوطنية.

ولكي تتم عملية التمرير هذه فإن كل طرف يستفيد من نفوذه الدولي لادخال قوى أخرى إلى جانبه إما بشكل عملي وإما بشكل تأييد على صعيد المحافل الدولية، وحينئذ تتخذ القضية صفة عامة تكون الغلبة فيها غالباً لمدى الضغط والنفوذ والقدرة على التأثير بدلاً من تحكيم المنطق السليم.

ومن هنا يتم التأثير على العواطف، وتستغل الأحاسيس لتنفيذ هذه الخطط المصلحية تحت شعار: (رفض الإرهاب) مثلاً. ذلك إن الإرهاب أمر مدان انسانياً (إذا غضضنا النظر عن دوافعه وأهدافه)، ولا يمكن ان يرضى إنسان سليم النفس بتهديد ما يرتبط بالإنسان من كرامة وحرية ومال وعرض وأمان وعمل وغير ذلك، وهذا الشعور فطري أصيل لا غبار عليه.

النقطة الثانية

إننا إذا تتبعنا المدلول اللفظي لكلمة (الإرهاب) من جهة واستعرضنا المساقط المطروحة لها على الحياة الإنسانية، لاحظنا أن الإرهاب يمكن ان يتم على أصعدة مختلفة. فهناك الإرهاب المهدد للأمن والعرض والمال وأمثالها، وهناك الإرهاب الثقافي الممزق للشخصية الإنسانية، والسائق نحو هاوية الضياع واللاهدفية، وهناك الإرهاب الاعلامي الذي يفقد الإنسان حريته في التنفس الحر في فضاء غير ملوث. وهكذا يمكننا ان نسمي الكثير من انواع الإرهاب كالإرهاب الاقتصادي، والإرهاب العلمي، والإرهاب الدبلوماسي والإرهاب العسكري وغير ذلك.

إلا أن هناك تقسيماً فعلياً على أساس القائمين به، وهو تقسيم يجب أن يؤخذ بعين

الاعتبار، ونعني به تقسيمه إلى الإرهاب الرسمي والإرهاب غير الرسمي. ويشمل الإرهاب الرسمي ـ وهو اخطر القسمين ـ كل عمل مؤيد من قبل جهة او دولة معترف بها دولياً سواء كان القائم بهذا العمل هو جيش هذه الدولة، او عناصر فردية، وربما كانت عملية مسخرة لصالح الجهة المذكورة. ويقف في قباله الإرهاب غير الرسمي.

النقطة الثالثة

يمكننا ان نركز في أي عمل او سلوك على عنصرين مؤثرين:

الأوّل: دوافع العامل.

الثاني: تقبل الإنسانية للعمل نفسه، وهما أمران غير متلازمين، فقد تكون الدوافع الشخصية للعامل انسانية في نظره، إلا أنها لا تعتبر كذلك على الصعيد العام. وقد يكون العكس، فلا يستهدف العامل غرضاً انسانياً، او ربما استهدف غرضاً لا انسانياً في تصوره، إلا أنه يعتبر من وجهة النظر العامة عملاً انسانياً.

ومن هنا تختلف زوايا النظر إلى العمل لكي يتم الحكم عليه بالقبح او بالحسن (وللعلماء الاصوليين المسلمين بحوث قيمة في مسائل التقبيح والتحسين العقلية لا مجال للتعرض اليها هنا) وما يجب ذكره هنا هو أنه لا يكفي أي من العنصرين لوحده في منح العمل صفة القبول او الرفض او الحكم عليه ايجاباً او سلباً، وانما يجب ضمان الايجابية في العنصرين ليتم المطلوب.

وعليه، فنحن في حاجة إذن لضمان الموضوعية في بحثنا هذا إلى ان نتعرف على المعيار الذي يشخص تقبّل العمل وانسانيته، وذلك من وجهتي النظر: الإسلامية والبشرية العامة.

أما من وجهة النظر الإسلامية، فعلينا ان نرجع لكل الأسس والمفاهيم والاحكام التي ترتبط بأي نوع من الارتباط بقضايا الإرهاب ـ حسب معناه اللغوي ـ وذلك بهدف اعطاء تعريف عام للارهاب المدان، أي الإرهاب المرفوض إسلامياً باعتباره مخالفاً لمسيرة الكمال الإنساني التي رسمها الله ـ تعالى ـ للبشرية من خلال نظرية الفطرة، وخطط لها عبر الوحي.

وعند الرجوع إلى التعاليم الإسلامية نجد الإسلام غنياً جداً في هذا المجال، ونلاحظ

أن الفقهاء الإسلاميين تعرضوا لمختلف الحالات التي ترتبط بالموضوع.

ـ فهناك أحكام البغي، أي خروج الفئة المسلحة على الحكومة الشرعية العادلة، وعملها على إرعاب المجتمع، وتحقيق أهداف سياسية تمزيقية لوحدة الأمة.

ـ وهناك احكام الحرب واخلاقها.[١]

ـ وهناك احكام الحرابة التي عرفت بأنها (تجريد السلاح براً او بحراً، ليلاً او نهاراً، لإخافة الناس في مصر او غيره من ذكر او أنثى، قوي او ضعيف وهي مستقاة من قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تُقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾[٢].

والآية ـ كما يلاحظ ـ ذكرت الموضوع والهدف، وهو حرب المجتمع والإفساد في الأرض، كما ذكرت العقاب الأليم الذي يجازون به، مما يدل على اهتمام الإسلام بالموضوع.

ـ وهناك أيضاً أحكام السرقة. والقتل.

ـ كما إننا نواجه في النصوص الإسلامية مصطلحات تتصل بهذا اللفظ من قبيل (الفتك) و(الغيلة) و(الإئتمار).

ـ كما إن هناك نصوصاً لاحترام العهد والميثاق إلى أقصى حد الاحترام فتجب رعايتها مادام الآخر ملتزماً ببنودها.

هذا، بالإضافة إلى مقتضيات النظام الأخلاقي الإسلامي وهي أمور لا يفهم القانون الوضعي لها معنى، إلا أنها ذات أصالة في هذا النظام، فإن الكذب يقبح فيصل إلى مستوى الكبائر، وكذلك النميمة، وهكذا نجد الإسلام يعمل بجد على حماية كل أنماط الحرية الإنسانية الصحيحة، والدفاع عن كرامة الفرد والمجتمع، وتماسكه، ووحداته العائلية ويعتبر أي اعتداء على ذلك جريمة كبرى يعاقب عليها بأشد العقوبات، التي تصل إلى حد الاعدام والصلب وأمثال ذلك.

ويطرح الإسلام مبدأ (المسؤولية الشخصية) ويعتبر أي اعتداء على الأبرياء جريمة

---

١) راجع مقالنا حول الموضوع تحت عنوان (أحكام الحرب والاسرى... بين الرحمة والمصلحة) في الدورة السابعة من دورات مجمع الفقه الإسلامي.

٢) المائدة، ٢٣.

كبرى، ويركز على حماية الضعفاء والمساكين والمستضعفين، وربما أوجب الجهاد لحمايتهم ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء ...﴾[١].

ويطلب إلى المسلم ان يكون إلى جانب المظلوم دائماً حتى ينتصف له.

فهذا الامام علي عليه السلام يوصي ولديه قائلاً: (كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً) وهو القائل: (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه).

ولعل ذكر القرآن الكريم لنعمة الأمن (وآمنهم من خوف) خير دليل على الأهمية التي يوليها له. ولا يسع المجال للتعرض لكل هذه الأمور وإنما نريد أن نقرر هنا أن المعيار الأوّل في تشخيص توفر الإنسانية في نية العامل والقبول العامل لها هو (الدين) بمجموع مفاهيمه وأحكامه وروحه العامة.

وعندما نحاول الالتفات إلى الاطار الثاني وهو الاطار البشري العام، فإننا نستطيع أن نقبل الأصول التي اجمعت على اعتبارها البشرية، ممثلة بأجهزتها الرسمية، ومنظماتها الشعبية، وحسها، ووجدانها العام، لنجعلها مقاييس أخرى لتشخيص موضوع توفر الصفة الإنسانية او ضدها في نية العامل والقبول العامَ الآنف ذكره (وإن كنا نعتقد أن المعيارين يلتقيان في الغالب).

وكمثال نضربه لما سبق: لنلاحظ اجماع البشرية اليوم على منح الصفة اللا إنسانية للأمور التالية:

- الفحشاء وتمزيق العلائق العائلية.
- المخدرات وتمزيق الشخصية العقلانية.
- الاستعمار وتمزيق كرامة الشعوب ونهب خيراتها.
- العنصرية وتمزيق الاخوة الإنسانية.
- الاعتداء على كل الحقوق المعترف بها ونقض المواثيق.
- قصف المناطق الآهلة بالسكان، واستعمال الأسلحة الكيمياوية والنووية والبيولوجية، والاعتداء على الطيران المدني، وعلى السكك الحديدية الاهلية، وعلى السفن التجارية والسياحية، وأمثال ذلك من الأساليب المدانة بشرياً في الحروب.

---

١) النساء، ٧٥.

إن هذه النماذج أمور لا يختلف اثنان في عدائها للانسانية، ولذا فهي وأمثالها تشكل معايير مقبولة في مجال تعريفنا هذا، كما أن أي عمل على محوها ومقاومتها يعد عملاً إنسانياً ينبغي ان يدعم، إن لم يصاحبه خرق لقيم إنسانية اخرى.

النقطة الرابعة:التعريف المختار للإرهاب

بعد كل ما تقدم نستطيع أن نصل إلى تعريف جامع للأعمال الإرهابية المدانة، ونتفق عليه، ونصوغ مواقفنا على أساسه.

وقبل ان نعرض ما نقترحه من تعريف، نذكّر بأن علينا ان نلاحظ فيه العناصر التالية:

١. الترهيب وخرق الأمن بشتى انواعه.

٢. النية والدافع الفعلي اللاإنسانيين.

٣. عدم قبول البشرية لهدف العمل ونوعه.

٤. انسجام الوسيلة والهدف.

ولهذا فيمكن ان يكون تعريفنا على النحو التالي:

الإرهاب، هو كل عمل يتنافى من حيث الوسيلة والهدف مع القيم الدينية والإنسانية، ويتضمن تهديداً للأمن بأي نوع من أنواعه.

وللتوضيح نذكر النقاط التالية:

١. اننا نستعمل المصطلح البشري بدلاً من الدولي لكي نحقق الاجماع الرسمي وغيره للتأكد من الحكم الإنساني العام.

٢. لاحظنا عنصري الوسيلة والهدف.

٣. أشرنا إلى أنواع الإرهاب بعبارة: (للأمن بأي نوع من أنواعه).

٤. ذكرنا المعيارين الديني والبشري معاً لكي ننسجم مع إيماننا أوّلاً، ونعمم المقياس ثانياً.

٥. وكما يلاحظ، فإن كون العملية عنيفة لايعد شرطاً في صدق صفة الإرهاب.

وعلى ضوء هذا التعريف يمكننا ان نتحقق من الصفات الإرهابية التي تطلق على هذا العمل او ذاك، ونتأكد من أن هذه الصفة لا تنطبق على:

أ. أعمال المقاومة الوطنية التي تمارس ضد المحتلين والمستعمرين والغاصبين لاغير.

ب. مقاومة الشعوب للفئات المفروضة عليها بقوة الحديد والنار.

ج. رفض الدكتاتوريات وأنماط الاستبداد وضرب مؤسساتها.

د. مقاومة التمييز العنصري وضرب معاقله.

هـ الردّ بالمثل على أي اعتداء إذا لم يكن هناك مناص من ذلك.

وكذلك لا تنطبق على كل تحرك ديمقراطي لا يصاحبه ارهاب حتى ولو لم يكن يحمل هدفاً انسانياً. كما أنه لا ينطبق على الأعمال المخربة الفردية التي لاتمتلك تأثيراً اجتماعياً.

وهذه الأعمال ـ وأمثالها وإن كانت مدانة من جهة أخرى إلا أنها بالتأكيد ليست أعمالاً ارهابية.

هذا في حين ينطبق التعريف على:

أ. أعمال القرصنة الجوية والبحرية والبرية.

ب. كل العمليات الاستعمارية بما فيها الحروب والحملات العسكرية.

ج. كل الاعمال الدكتاتورية ضد الشعوب، وكل أنماط الحماية للدكتاتوريات فضلاً عن فرضها على الأمم.

د. كل الأساليب العسكرية المخالفة للأعراف الإنسانية: كاستعمال الاسلحة الكيمياوية والنووية والبيولوجية، وضرب المناطق الآهلة، ونسف البيوت، وترحيل المدنيين، وأمثال ذلك.

هـ كل تلويث للبيئة الجغرافية، والثقافية والاعلامية، وربما كان الإرهاب الفكري من اخطر أنواع الإرهاب.

و. كل تحرك يؤدي إلى ضعضعة الاقتصاد الدولي او الوطني، والاضرار بحال الفقراء والمحرومين، وتعميق الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، وتكبيل الشعوب باغلال الديون الباهضة.

ز. كل تحرك تآمري يعمل على سحق ارادة الشعوب في التحرر والاستقلال، وفرض الأحلاف الشائنة عليها.

وهكذا يمكننا ان نتابع ضرب الأمثلة على مصاديق التعريف المذكور.

النقطة الخامسة

بالرغم من أن الكثير من الاجتماعات والمحاولات قد عقدت لمكافحة الإرهاب إلا أنها اخفقت في الغالب لأمور:

منها: إنّها لم تقم على أساس انساني، دولي، بل استهدفت تحقيق المصالح الضيقة قبل كل شيء.

ومنها: إنّها لم تعالج الظروف التي تخلق الإرهاب، ولم تبحث عن علله الحقيقية. ومن الطريف ان الولايات المتحدة الاميركية وهي أم الإرهاب الدولي والتي اوجدت كل ظروف قهر الشعوب واحتلالها وتقوية الأنظمة الدكتاتورية واحتلال الاراضي والاعتداء على المناطق الآهلة وما إلى ذلك هذه الدولة تعمل على عقد ندوات لمكافحة الإرهاب وتقصد به كل عمل يخالف مصالحها الاستكبارية.

قتل امرء في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

والدعوة هنا موجهة إلى هذا الجمع الكريم للخروج بتعريف محدد للارهاب ومفهومهُ لأن الذي نراه حالياً هو أن الدول الكبرى تحاول بالقوة والإكراه او بالدعاية والإعلام فرض تعريفها وفهمها للارهاب على الدول والشعوب الأخرى، وهو تعريف وفهم مفصّل على مقاس الدول الكبرى ومصالحها الخاصة، ثم تعطي لنفسها الحق في تطبيق فهمها عملياً في كل بقعة من بقاع العالم، وكأن الأرض ملك لها، وكل بلدان العالم تشكّل عمقاً أمنياً لها، ولا ندري من الذي أعطاها هذين الحقين: فرض تعريفها على الآخرين، وتطبيق فهمها على الجميع. بل أنّها راحت تلعب دور المدعي والقاضي والمنفذ متجاهلة حتى الأمم المتحدة والمحاكم الدولية!!

وللأسف فإن هذه الحالة يعيشها نظام الولايات المتحدة الاميركية بكل تفاصيلها، فأي عمل لا يلتقي مع تحقيق مصالحها الخاصة، سواء كان سياسياً ام عسكرياً ام اقتصادياً ام ثقافياً، فإنها تعتبره عملاً ارهابياً، بل أنها تعتبر كل من لا يؤمن بهذه المقولة إرهابياً، ولا أدري أية معادلة هذه وعلى أية قاعدة دينية او انسانية أو قانونية تستند؟! حتى قال حكّامها بأن الذي لا يكون معنا فهو مع الإرهاب والإرهابيين!! وهذا دليل صارخ على

طبيعة رؤية أميركا لنفسها وللآخر، فهي تنظر للآخر من خلالها. وعلى هذا الأساس نحن نرفض هذه التعريفات الخاصة والفهم الذاتي وندعو لفهم انساني موضوعي للارهاب وتعريف حقيقي لظاهرته.

احداث ١١ سبتمبر والهجمة ضد الأمة الإسلامية

لا يتردد عاقل او متدين في أن احداث ١١ سبتمبر هي عمل ارهابي مدان وانه عاد على البشرية بالفساد الكبير، وأنه دفع بقوة عظمى نحو خطة جهنمية تسلطية تستهين بكل القيم وتتجاوز كل الأعراف الإنسانية والمعاهدات الدولية لتفرض هيمنتها على الشعوب بل وتفلسف هذا الاعتداء وتعتبره اخلاقياً[١].

وهكذا شهدنا الإستراتيجية الاميركية التي تم وضعها في التسعينات بعد تعاظم امر الإسلام الشمولي من جهة وانهيار الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى والتي وضعت مسألة محاربة ما اسمته بـ (الإسلام المسلح) او (الإسلام السياسي) احد اهدافها الكبرى بالاضافة لهدف التفرد في قيادة النظام العالمي الجديدُ نعم شهدنا التأكيد على هذه الاستراتيجية والاسراع في وتيرتها وخصوصاً ضد الأمة الإسلامية.

وكان التأكيد على خطة واسعة الابعاد نشير فيما يلي إلى بعض جوانبها:

أوّلاً: التشكيك في قيم الحضارة الإسلامية ومفاهيمها وهناك الكثير من الأمثلة التي طالعنا الغرب بها، كتفضيل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية من قبل مسؤول ايطالي، وتفضيل العقيدة المسيحية في الصفات الالهية على العقيدة الإسلامية. والحملة ضد مفاهيم الجهاد وتصورات الإسلام لحقوق المرأة وغيرها.

ثانياً: تعميق الحقد الغربي والعداء للاسلام وكل ما هو إسلامي ومهاجمة المساجد والمراكز الإسلامية والتضييق ضد الأقليات المسلمة وتوجيه اصابع الاتهام حتى للدول التي كانت تعتبرها صديقة لها، وبالتالي العمل على منع الهجرة حتى القانونية رغم حاجة اوربا للهجرة.

---

١) راجع نص الوثيقة التي اصدرها ٦٠ من المنظرين الاميركيين وقد قام بعض المفكرين الإسلاميين من شتى الدول بالرد عليها.

ثالثاً: مهاجمة بعض الشعوب الإسلامية بشراسة بتهمة ايوائها للارهابيين وهذا ما حدث لافغانستان الجريحة ومازالت بعض الشعوب الإسلامية مهددة.

رابعاً: الحكم على بعض الدول الإسلامية بانها محور الشر وما زال الخطر يتهددها كل آن، كما ان بعض الجهات شبه الرسمية هددت باستخدام القنابل الذرية ضد بعض الدول.

خامساً: تم التخطيط لحملة اعلامية وبوليسية ضخمة لضرب المؤسسات المالية الإسلامية والمؤسسات الخيرية الدعوية وتم الضغط على الدول لتغلق هذه المؤسسات.

سادساً: كما تم التخطيط لضرب المؤسسات التعليمية الإسلامية وافقادها استقلالها كما تدخل الغرب بوقاحة لدى الدول الإسلامية لتقوم بتغيير مناهجها التعليمية وفق ما يرتئيه الغرب من تصور.

سابعاً: وهناك خطوات نلحظها لتهميش دور المؤسسات الإسلامية الدولية.

ثامناً: تصعيد الحملة التي بدأها الغرب بنفسه او من خلال عملائه قبل الأحداث في مجال نشر المفاسد الاخلاقية والخلاعة والتحلل والاستهانة بالمقدسات واضعاف اللغة العربية وترويج العامية ومحاربة الحرف العربي (كما في اسيا الوسطى) واشاعة العلمانية وتعميق الخلافات بين الدول الإسلامية وتداخلها ومحاربة عنصر (الاجتهاد) والتشكيك في صلاحية الإسلام لهذا العصر وضرورة الاتجاه نحو تطبيق قيم الحضارة الغربية وغير ذلك كثير.

تاسعاً: وأهم الجوانب محاولة اغلاق الملفات المزعجة وفي طليعتها قضية فلسطين فقد اعطت اميركا الضوء الاخضر لشارون ليقوم بتصفيتها واستفاد هذا من ظروف الرعب وجعل عمليته ضد الفلسطينيين جزءاً من المرحلة الثانية للحرب ضد الإرهاب وقام بما يندى له جبين الإنسانية وساعدته اميركا بكل وقاحة وصراحة ونسى الغرب كل تاريخه في تمجيد المقاومة وكل شعاراته في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والشرعية الدولية، وحتى جنايات العدو الصهيوني في مخيم جنين لم تستطع الأمم المتحدة رغم صدور قرار بذلك ان تحقق فيها وهي في الاصل واضحة للعيان وموثقة ومشهود لها من قبل شخصيات دولية.

الموقف الصحيح على المستوى الدولي

وكخطوة استراتيجية من أجل ردع الإرهاب بكل اشكاله ومضامينه ومصادره، نرى ضرورة قيام منظمة الأمم المتحدة بالتصدي لهذا المشروع وتبنيه، شريطة إحداث آليات جديدة تحول دون قيام الدول الكبرى بحرف المشروع باتجاه مصالحها الخاصة. وممارسة الضغوطات على المنظمة لتسير طوع أهدافها الاستكبارية. ومن هنا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة أن تكون مرجعاً عالمياً للحملة الشاملة ضد الإرهاب وفرض السلام العادل في الأرض. ونرى ان مقدمات هذه الحملة تتمثل في:

١. المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول العضوة في منظمة الأمم المتحدة، ومنع هيمنة دولة أو أكثر على قراراتها، ولا سيما ما يرتبط بالآلية غير العادلة التي يضع مجلس الأمن الدولي قراراته من خلالها. فهذه الآلية تسببت مثلاً في استمرار الإرهاب في أكثر من بقعة من بقاع العالم، ولا سيما في فلسطين، إذ استخدمت الولايات المتحدة الاميركية حق الفيتو عشرات المرات لمنع اصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يكبح جماح الإرهاب الصهيوني.

٢. رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والشعوب المجاورة لفلسطين، والتي تتعرض للانتهاكات والإرهاب من قبل الكيان الصهيوني.

٣. إحداث آلية دولية تمنع استمرار دعم الدول الكبرى للأنظمة والكيانات الدكتاتورية والعنصرية، وكذلك المنظمات والجماعات الإرهابية.

٤. محاربة الفقر والجهل والتعصب الأعمى والمرض وكل مظاهر التخلف وكذلك أمراض المدنية الحديثة، ووسائل الاعلام والفن التي تشجع على العنف، والعنصرية وتضعف المعنويات والقيم الأخلاقية على مستوى العالم أجمع لأنها تمثل الأرضية الطبيعية التي تترعرع فيها النزعات الإرهابية.

ويتم العمل بدلاً من ذلك على:

أ. تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان؛

ب. تشجيع الديمقراطية المنسجمة مع القيم؛

ج. المساعدة على تنفيذ برامج التنمية في العالم؛

د. تقوية المنظمات الدولية وحذف عناصر الهيمنة فيها؛

هـ. الارتفاع بالمستوى المعنوي والقيم الأخلاقية وتعميق دور الدين في ذلك واحترام الادوار العائلية في عملية البناء الاجتماعي؛

و. توجيه الحالة المعلوماتية لخدمة البشرية؛

ز. انسنة الفن واستخدامه لصالح الأهداف العليا وغير ذلك.

٥. الحيلولة ـ بكل الوسائل ـ دون استغلال الدول الغربية الكبرى للأحداث وتحويلها إلى صراع حضارات وحرب بين الأديان وتصفية حسابات مع بعض الأنظمة، على حساب الشعوب.

٦. تخفيف معاناة شعب افغانستان، ودعمه بالغذاء والكساء والملجأ والدواء وغيرها من وسائل العيش الابتدائية والعمل على تحقيق الانسحاب التام للقوات الاميركية وغيرها.

٧. استمرار الحوار بين عقلاء البشرية من أتباع الأديان والحضارات والمذاهب، وتكثيفه وتعميقه، بهدف خلق رأي عام عالمي يمارس دوره في نشر العدالة والسلام والمحبة بين جميع شعوب العالم.

ولا شك ان السلام الذي ننشده وتنشده البشرية هو السلام العادل الذي تتكافأ فيه الفرص، ويعطى كل ذي حق حقه، وينصف فيه المظلوم، ويعاقب المعتدي، إذ أن السلام العادل هو الكفيل فقط باقتلاع جذور العنف والإرهاب. أما السلام المفروض وغير العادل فهو التسطيح للمشكلة والإبقاء عليها ناراً تحت الرمادُ لأن المجرم يتساوى فيها مع الضحية، وتضيع جراءه الحقوق، وتكون سياسة الأمر الواقع هي الحكم. وبالتالي ستعود أعمال العنف كما كانت وربما بكثافة أكبر. وهذا ما يجعل السلام غير العادل سبباً في استمرار المشاكل وبؤر التوتر، وهو ما نشهده في أكثر من بقعة من بقاع العالم.

الحل على مستوى الأمة

إن الحل على مستوى يكاد يكون من الواضحات ويتركز على ما يلي:

أوّلاً: رفع مستوى الوعي لدى جماهير امتنا في مختلف المجالات (فهم الإسلام واهدافه، فهم الواقع القائم، فهم الموقف).

ثانياً: العمل على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الشؤون الحياتية.

ثالثاً: تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

رابعاً: العمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الأمة عملياً ولا نريد لهذا العمل ان يكون خيالياً، كما لا نريده ان يكون استسلامياً بل يجب ان يتبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الأهداف المرسومة.

خامساً: العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وايجاد ما يلزم ايجاده، ومنحها حرية أكبر في التحرك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

سادساً: وضع خطة شاملة للاستفادة الأفضل من الامكانات السياسية والاقتصادية والاعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة.

سابعاً: العمل على حل او التغافل او تأجيل بعض النزاعات الجانبية او الثانوية خدمة للهدف الاهم واستجابة لقضية التزاحم في الأولويات.

ثامناً: الشد من ازر الأقليات المسلمة ـ وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم ـ بالتأكيد على وجودها أوّلاً ووحدتها ثانياً وهويتها ثالثاً، وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الأمة الأم.

تاسعاً: التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الاغاثة والدعوة، وعدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية والمذهبية والسياسية.

عاشراً: الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدي دورها المطلوب على وجه أتم.

حادي عشر: الاستفادة الأفضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الأخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة.

ثاني عشر: الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية واهمها قضية فلسطين.

وفي هذا المجال نقترح:

١. تضافر كل الجهود الإسلامية لافشال خطط شارون لتركيع الشعب الفلسطيني وانهاء الانتفاضة الباسلة بدعم صموده وانتفاضته الباسلة ومقاومته الشجاعة.

٢. القيام بحملة لدعم المنكوبين وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسد جانب منه.

٣. ضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية إسلامية وتعبئة كل الطاقات الإسلامية لذلك.

٤. ضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الامكانات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية.

٥. عدم السماح لأميركا للاستفراد بالقضية وأمثالها، وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية.

٦. لزوم التفكير الجدي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني الغاصب ومن يدعمه بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فوراً.

٧. لزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال خصوصاً في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية.

٨. لزوم العمل دولياً على وضع تعريف شامل للارهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة.

٩. ضرورة اعطاء الغطاء الشرعي للمقاومة الفلسطينية عموماً وللعمليات الاستشهادية خصوصاً.

١٠. لزوم الاستفادة الفعالة من إمكانات المنظمات غير الحكومية على غرار ما جرى في مؤتمر (دوربان) في جنوب افريقيا.

* * *

العولمة وموقف الأمة[1]

الوضع الطبيعي

إذا أردنا أن نعرض الواقع الطبيعي للعالم فإنّه ينبغي أن نعرضه على مستويين. تارة على المستوى النظري، من وجهة نظر الإسلام، وأخرى على المستوى الواقعي الحالي القائم.

أما على المستوى النظري فإن الإسلام يرى ان الوضع الطبيعي للبشرية إنما يتم إذا قام نظام عالمي شامل له قانون واحد، وله امام واحد، ويتمتع بالخصائص التالية:

١. امتلاك قوانين منسجمة مع الفطرة الإنسانية، باعتبار أنّ الفطرة الحد المشترك بين الأفراد. والدين ينسجم تمام الانسجام مع هذه الفطرة، وهي سنة الله في خلقه كما في الآية الشريفة ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾[2]، وهذه الفطرة تقتضي اللجوء إلى الله تعالى، واستمداد الشريعة في أصولها من الله تعالىُ لأنه أعلم بما يصلح الإنسان، ويحقق العدالة في هذا الإصلاح لأنّه تعالى الخالق العليم الرحيم فلا حيف ولا ظلم ولا جهل، والرسالة التي تأتي من الله تعالى تعتمد منطق العدل والاحسان. والعدل يقتضي عدم التمييز إلا بالصفات التي يكتسبها الفرد، وهذه الصفات هي التقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3]، والجهاد ﴿وفضّل الله المجاهدين على

---

١) قدم إلى المؤتمر الرابع عشر لمجمع الفقه الإسلامي في قطر ١٤٢٣.

٢) الروم، ٣٠.

٣) الحجرات، ١٣.

القاعدين أجراً عظيماً﴾[١]، والعلم ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٢]، كما أنّ هذه الرسالة تقتضي اتباع منطق الشورى في الحكم، هذا هو التصور الاجمالي للوضع الطبيعي للبشرية ـ على المستوى النظري: مجتمع واحد وإمام واحد وقانون واحد يستمد اصوله من هداية الله تعالى، ويسير وفق التشريع الإلهي.

أمّا على المستوى الواقعي الحالي فإنّنا إذا لاحظنا الوضع الحاضر فإنّه يبدو أنّ الوضع الطبيعي للعلاقات الدولية والنظام الحاكم في الأرض يقتضي أن تكون هناك أمم متحدة، وقانون دولي واحد ومنظمات دولية واحدة تنظم هذه العلاقات، ويقوم هذا النظام على أسس منها:

١. احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية؛

٢. احترام الثقافات المتنوعة؛

٣. اتباع سياسة عامة لمحو الفقر ودعم العدالة الاجتماعية؛

٤. دعم الديمقراطية في إطار احترام القيم التي يؤمن بها المجتمع؛

٥. اتخاذ منطق الحوار للوصول إلى المشتركات والتعاون في هذه المشتركات وذلك على المستويات كافة، سواء كان حواراً بين الحضارات او بين الأديان او بين المدارس والمذاهب المختلفة؛

٦. الارتفاع بالمستوى العلمي الإنساني، والتعاون بين الدول في هذا المجال؛

٧. دعم قضية السلام العالمي العادل؛

٨. نفي الاحتلال والظلم والإرهاب بأنواعه؛

٩ فتح المجال للمعلوماتية البناءة النافعة للبشرية؛

١٠. عدم السماح للأفكار الهدامة التي تسيطر على البشرية بالظهور، من قبيل النازية والفاشية والعنصرية وباقي الأفكار الشيطانية باجماع البشرية.

عناصر مهمة في العلاقات مع الآخرين في رأى الإسلام

وهنا نود أن نجمل الأمر، فنذكر بعض العناصر التي تلعب دورها الكبير في تحديد

---

١) النساء، ٩٥.
٢) الزمر، ٩.

نوعية العلاقات الدولية للسياسة الخارجية الإسلامية، إلّا أنّنا قبل ذكر هذه العناصر، نشير إلى الأساسين الرئيسين، اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإسلامية، وهما:

١. المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم.

٢. الروابط والرحمة الإنسانية، والصلات الخلقية.

والواقع ان كل التشريع الإسلامي يستقي من هذين المعنيين، بل يمكننا القول ـ عند التعمق ـ انهما يعبّران عن موقف واحد، فلم يكن الإسلام ليقصد إلّا أن يضع الإنسان على طريق تكامله، ويفجّر طاقاته، وينفي عن حياته كل المعوقات التي تقف في وجه مسيرته، المستمدة من هدي الرسولين، الداخلي والخارجي، أي الفطرة والتشريع.

والواقع الذي لاشك فيه أنّ الواقعية والروح المناقبية تعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتى جوانبه، وما سنراه فيما يلي من أسس انما ينبثق عن هاتين الصفتين الرئيسيتين.

أمّا العناصر التي وددنا التركيز عليها في نظرتنا السريعة هذه، فهي كما يلي:

أوّلاً: العمل على ابقاء الأمة نموذجاً أعلى للمجتمعات البشرية: فالأمة الإسلامية التي يصفها القرآن: هي الأمة الوسط، والوسطية هنا بلا ريب يراد بها النموذج الأسمى، وما يمكن استفادته من تعبير واسطة العقد، حيث الجوهرة الثمينة التي تتبعها الجواهر الأخرى فيه. وهي الأمة الشاهدة، وهي خير أمة أخرجت للناس، وعلى هذا فالسياسة الخارجية الإسلامية تسير بشكل منسجم مع مجموع السياسات الداخلية باتجاه تحقيق هذا الأمر بشتى الوسائل والسبل، أي سواء على الاصعدة السياسية، او الاعلامية، او الاجتماعية، او العسكرية، او غيرها.

إن هذا العنصر يدفع الأمة إلى التعالي والتكامل في كل حقل، والاستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، واستغلال كل تسابق في سبيل تحقيقه.

انه يعني الانفتاح على كل مجالات الحياة، وحمل رسالة إنسانية حضارية كبرى، نقول هذا ونحن نعترف بأنّ أمتنا ـ نتيجة عوامل كثيرة ـ قد اقصيت عن هذا الدور الطليعي الذي أهلت له، ولكن هذا لا يعني أن لا تظل تلح على الوصول إليه، او تنساه عندما تحاول أو تؤصل أيّة علاقة دولية.

ثانياً: المبدئية في التعامل: وهي سمة عامة في كل خط سياسي سواء على الصعيد

الداخلي او الخارجي، ذلك:

أن الدولة الإسلامية دولة عقائدية، تؤمن بمبادئ تصورية تقوم على أساس منها خطوط عملية تستوعب حياة الإنسان الفرد والمجتمع.

ولهذا فهي تقترب من الآخرين بمقدار قربهم من المبدأ، وتبتعد عنهم بنفس المقياس، وهي لا تتعامل معهم إلا من خلال الامتدادات التي يسمح بها المبدأ... فعلى ضوء المبدأ يتحدد نوع العلاقات الدولية، وكونها ودية، او حسنة، او سيئة في الأصل.

أما العلاقات الاخوية فلا تقوم إلا بين المؤمنين، وذلك لأنها علاقات سامية، قد تعني وحدة الأفراد في مختلف الشؤون وليس هناك إمكان أن يصلها أناس يختلفون على قضية الإيمان.

ثالثاً: نفي السبيل على المؤمنين: وتعتبر هذه القاعدة من أروع قواعد السياسة الخارجية، وربما كانت في بعض جوانبها تطبيقاً للقاعدة الأولى، كما تعبّر عن علو الإسلام على غيره من الأنظمة، وكرامة المسلمين التي يجب أن لا تُمسَّ مطلقاً.

وبموجب هذه القاعدة فإن أي تصرف او معاهدة او عقد يؤدّي إلى تفوق الكافرين على المسلمين يعد ملغياً من أساسه ـ وكما يعبر الفقهاء ـ فإن هذه القاعدة شأنها شأن قاعدة (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) وقاعدة (نفي العسر والحرج) تعد من القواعد الثانوية التي تستطيع أن تحكم على الأحكام الاولية بمجموعها، اللهم إلا تلك التي تتضمن بنفسها تحمل الضرر في سبيل تحقيق غاية أسمى كالجهاد.

وتستند هذه القاعدة إلى أدلة، منها: الآية الشريفة: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾[١].

ومنها الأحاديث التي تطبقها في بعض الموارد، كالحديث الوارد بما نصه:

«الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، والكفار بمنزلة الموتى، لايحجبون ولا يورثون».

كما تستند[٢] إلى اجماع الفقهاء، وربما أمكن أن يقال: إن روح التوجهات الإسلامية، وملاحظة المناسبات بين الحكم والموضوع، تقرر هذه الحقيقة بوضوح، و ﴿لله العزة

---

١) النساء، ١٤١.

٢) من لايحضره الفقيه، ٤.

ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.[1]

وينبغي أن ننبه هنا إلى أنّ هذا التوجه لا يعبر عن نوع من التكبّر ـ كما يقول البعض ـ وانما هو تقرير حقيقة علوّ النظام الإسلامي على غيره، باعتباره النظام الأكمل، وبالتالي افضلية تابعيه، فهو يعمل على أساس من معيار إنساني. نعم، يمكن أن يناقش او يتساءل أحد عن أصل المعيار، ويتحول البحث حينئذ إلى الأدلة. أمّا أن يطلق القول على عواهنه، ويعتبر ذلك بشكل عام عملاً عنصرياً، فهو من أشد الظلم.

إنها قاعدة تعاملية مهمة، لها تطبيقاتها في مختلف المجالات، ومنها: المجالات السياسية.

وليس هنا بأروع من تطبيقها اليوم، في تعاملنا مع القوى العظمى، التي تعمل على ابتلاع العالم ونهب ثرواته، وعبر بعض الأساليب الخدّاعة.

وما حادثة تحريم شراء وبيع التبغ الداخلي والخارجي لبريطانيا، من خلال تاجر انكليزي يدعى (رجي) إلا تطبيقاً لهذه القاعدة في ايران، حيث سلّط الشاه الظالم الكافرين، على جانب اقتصادي إسلامي، وحيث اصدر الميرزا الشيرازي فتواه المعروفة القائلة:

(إن استعمال التبغ ومشتقاته حرام اليوم، وانه يعدّ بمثابة اعلان الحرب ضد الامام المهدي ـ عج ـ).

والتطبيق السياسي الثاني المعاصر: هو الموقف الحازم الذي وقفه الامام الخميني من معاهدة الكابيتولاسيون (أي الاشتراط) ويعني: اشتراط ان لا تطبق على السكان الاجانب في ايران إلا قوانين دولهم، حيث يقوم قنصل الدولة المذكورة بتطبيقها.

وما كانت تعني إلا نوعاً من الحصانة القضائية للأجانب، وتسليطهم على رقاب المسلمين، وقد قام نظام الشاه المقبور بعقد هذه المعاهدة في عام ١٩٦٣م، فنهض العلماء الكبار ـ وفي طليعتهم الإمام القائد ـ ضد هذا العمل المنافي للإسلام والعدالة، مما أدّى به إلى إبعاده من قبل الحكم الطاغي تركيا. والواقع أن بذرة الثورة الإسلامية الكبرى غرست في ذلك اليوم. والرائع ان الإمام استهل بيانه الجريء وفتواه بالآية القرآنية الشريفة: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾.[2]

---

١) المنافقون، ٨.

٢) النساء، ١٤١.

ولو أن الأمة الإسلامية، أو هؤلاء القائمين عليها، راعوا هذه القاعدة في تعاملهم، لما أصيبت الأمة بالحالة التي هي عليها الآن قطعاً.

ومن الجدير بالذكر:

إنّ العناصر الثلاثة الماضية تشكل أساساً لروح الاستقلال، والترفع على أي نفوذ أجنبي مذل.

رابعاً: التوعية قبل أية خطوة أخرى: الإسلام دين التوعية والتربية ... وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي إنسان يراد له أن ينضم الى معسكره، وأي مجتمع يراد للإسلام أن ينفذ إلى عمقه ... انه يعرض جوهرته الثمينة، لأنّه يعلم أن قيمتها ستتكشف بكل وضوح للجميع ... ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، ويدعو إلى البحث والبرهنة، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وهو يرفض أية عملية إكراه عقائدي ﴿لا إكراه في الدين﴾ كما يريد من الأمة أن تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها وبصيرتها ... وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء، يقول القرآن الكريم: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.[1]

﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾.[2] ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين﴾.[3] ﴿قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.[4]

وفي هذا يقول آية الله السيد محمد باقر الصدر في كتابه «اقتصادنا»:

> والأمر الآخر: أن يبدأ الدعاة الإسلاميون ـ قبل كل شيء ـ بالإعلان عن رسالتهم الإسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى إذا تمت للإسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرّين على رفض النور ... عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية

---

١) النحل، ١٢٥.
٢) الشورى، ٣٣.
٣) فصلت، ٣٣.
٤) يوسف، ١٠٨.

للانسانية - إلا أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح.[1]

وقد جاء في كتاب «الكافي» للمرحوم الكليمي عن الصادق عليه السلام قوله:

«قال أميرالمؤمنين عليه السلام : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال: يا علي لا تـقاتلنّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدي الله عزّ وجل على يديک رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي».[2]

إنه أسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى وهارون عليهما السلام ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكّر او يخشى﴾.[3]

إنّه الدعوة - حتى عند مواجهة الطواغيت - عسى أن يهتدوا إلى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة (ادعوک بدعاية الإسلام) في رسالته إلى شاه ايران، وقيصر امبراطور الروم تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوة إلى الأقطار. وقد ذكرت اسماء بعض الدعاة إلى الله، ومنهم:

عبدالله بن حذافة السهمي - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى إيران.

حاطب بن أبي بلتعة - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى مصر لدعوة المقوقس.

دحية الكلبي - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى روما.

عمرو بن أمية - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى الحبشة.

سليط بن عمرو - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى اليمامة.

عمرو بن العاص - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى عمان.

حرملة بن زيد مع وفد معه إلى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

المهاجر بن أبي أمية - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى ملوك حِمْيَر.

خالد بن الوليد - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى همدان (مدينة قرب بحر عمان).

علي بن أبي طالب عليه السلام - مبعوثه الثاني إلى هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان - مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى الهند.

---

١) ١، ٢٧٥. ٢) وسائل الشيعة، ١١، ٢٠.

٣) طه، ٤٣ و ٤٤.

عبدالله بن عوسجة ـ مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ـ مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى قبائل ذي الكلا.

وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة إلى الشعوب.

وإذا اردنا ان نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا أن نلحظها في بعثات الإيضاح المرسلة من هنا إلى هناك، وفي اساليب توضيح الحقيقية عبر الوسائل السمعية والبصرية. وفي مذكرات الايضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة إلى المؤتمرات الدولية.

ومما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: أنها تنظر إلى عملية التوعية والايضاح كرسالة الهية ومبدأ ضروري يجب الالتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية او سياسية او غيرها تجاه الدول الأخرى.

اما ما نجده من السياسة الماكرة القائمة بالفعل، فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية باعتبارها مناورة سياسية فإذا لزم الأمر، قلبت الحقائق، وتغيرت الموازين.

خامساً: مراعاة العدالة في التعامل: يشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي عن الواقع.

﴿ شهد الله أنه لا إله إلّا هو، والملائكة وأولو العلم، قائماً بالقسط ﴾.[١]

وأهمّ الأسس عند التعامل الاجتماعي.

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ﴾.[٢]

ومن الطبيعي أن يأتي التأكيد على العدالة حين تثور الإحن والشنآن، ويكاد العدل ينسى من البين، وحينئذ تقول الآية:

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾.[٣]

وإذا لاحظنا أنّ العدل في التعامل مع الأجانب عن دار الإسلام يلحظ فيه واقعهم القائم، أدركنا البعد الإنساني في هذا الأصل، وهذا ما تؤكده أحكام الإسلام في الجهاد والعهد والإجارة وغيرها.

---

١) آل عمران، ١٨. ٢) النساء، ١٣٥.

٣) المائدة، ٨.

وهو ما يفسر وقوف الدولة الإسلامية إلى جانب قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض، ومقارعة الظلم والطغيان في كل مكان، حتى لو لم يكن الأمر يمسها من قريب، وعملها على نفي العلاقات الظالمة بين الدول.

فليس وقوفنا إلى جانبهم وقوفاً مصلحياً دعائياً، حتى إذا ما تسنّى لنا الأمر ومنحتنا المقادير أزمّتها رحنا نسومهم سوء العذاب، وهو ما نجده من القوى العظمى، شرقيّها وغربيّها وإنما هو موقف مبدئي أصيل، قائم على أساس متين، متى ما خالفناه ـ وفي أية لحظة ـ خرجنا عن الخط الإسلامي القويم، ودخلنا في عداد المستكبرين، الذين يقول فيهم تعالى:

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتُقطّعوا أرحامكم ۞ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾.[١]

إنّ القرآن على العكس من ذلك، يعطينا صورة الجماعة المسلمة المتمكنة، بقوله: ﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.[٢]

سادساً: **مبدأ تأليف القلوب**: وهو مبدأ يمثل ايجابية الشريعة الإسلامية بكل وضوح، كما يعكس واقعيتها في نفس الوقت.

ففي الجو الذي يتم فيه تأليف القلوب، تنفتح النفوس للحقيقة، وتتقرب الواقع، والأصل في هذا المبدأ هو: سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، حيث فتح هذا مجالاً للعمل المنظم لتحقيق ذلك، عبر الوقوف إلى جانب كل المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، وجلب القلوب إلى الإسلام.

ورغم أن الفقهاء يختلفون في مساحة هذه القلوب المؤلفة، وهل تختص بغير المسلمين، أم تشمل المنافقين، أم تعم بعض المسلمين ضعيفي الإيمان، إلا أنّ الذي يبدو من روح الإسلام واتجاهاته الاقتصادية، ومن أقوال فقهاء الشيعة والسنة ـ ومنهم الإمام الخميني القائد ـ أنه مبدأ عام، وأصل يتيح للدولة الإسلامية أن تلحظ المصلحة أينما تكون. ومن هنا فمن الطبيعي أن يشكل عنصراً إسلامياً، له دوره في تحديد العلاقات الدولية،

---

١) محمد، ٢٢ و ٢٣.
٢) الحج، ٤١.

وتقديم المساعدات مختلف الدول والشخصيات والجمعيات على شتى مذاهبها.

ولئن كان هناك بعض البحث في لزوم العمل بهذا المبدأ في عصر معيّن، وبالنسبة لأشخاص معيّنين، بعد وفاته صلى الله عليه وآله فإنّه لا شك في إسلاميته أصلاً، ولزومه في العصور الأخرى.

على أنّنا ننبه هنا إلى أنّ هذا السهم المعطى للمؤلفة قلوبهم لا يختص مورده بباب الزكاة، وإنما نجد الإسلام يسمح للإمام بأن يقوم بالإنفاق بما يحقق مصلحة الإسلام العليا من أموال الدولة، وتفصيل هذا يذكر في البحوث الاقتصادية الإسلامية.

وبانفتاح هذا الباب نجد المجال السياسي لتطبيقاته واسعاً جداً يشمل كل المعونات الاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تقدمها الدولة في سبيل تقريب القلوب إلى مبادئها... إلّا أنّ من الواضح فيه ملاحظة مدى ما يعود به من نفع على القضية الكبرى بغض النظر عن أية منافع سياسية ضيقة.

سابعاً: احترام العهود والعقود والاتفاقيات الدولية: وهذا الأصل هو من أهم الأصول التي تعتمدها السياسة الإسلامية الحقة، وكما قلنا من قبل، فإنّه يستمد من الواقعية التي تتسم بها النظرة الإسلامية من جهة، واحترام مقتضيات الحق من جهة أخرى.

فالقائد الإسلامي يفكر ملياً في أيّ عهد أو عقد يعقده، ولكنه إذا عقد العقدة ـ مستوفية لكل شروطها ـ التزم بها تمام الالتزام.

﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً﴾.[1]

والعهود التي تعطى للدول الأجنبية أو الأجانب، تارة تدخل ضمن عقود صرّح بها الإسلام، وحدّد لها قوانينها العامة، فيجب الالتزام بذلك، وأخرى تسير بمنحى مستقل، يرى وليّ الأمر أن يعقدها لأنّها تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

فمثال الأوّل: عقد الذمة، وعقد الهدنة، وعقد الأمان. ومثال الثاني: كل العقود الأخرى والتي تعقد على الصعيد العسكري والاقتصادي، وأمثال ذلك.

وتستمد التعاليم الإسلامية الخاصة بهذا العقد أو ذاك ـ من نصوص القرآن الشريفة، والأحاديث المباركة، وعمل الرسول صلى الله عليه وآله.

---

١) الإسراء، ٣٤.

ففي مجال عقد الذمة: تستفاد بعض الأحكام من الآية الشريفة: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾.[1]

وهناك عقود أهل الذمة التي عقدها مع نصارى نجران وبني تغلب ومجموعات من اليهود.

ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل هذه العقود، وإنّما نريد التأكيد على أنّ مسألة العهود تحتل جانباً مهماً من الفقه الإسلامي، وتستمد خطوطها العريضة من القرآن الكريم.

ثامناً: التعامل بالمثل: يقول تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾.[2]

وإذا كان مبدأ القصاص من جهة، ومبدأ جزاء الإحسان بالإحسان من جهة أخرى، مبدأين واقعيّين يرتضيهما المنطق الإنساني في التعامل الفردي والاجتماعي الداخلي، فإنّهما كذلك في مجال التعامل الدولي، بل ربّما عاد أحدهما من الضرورات، إما لردع الأعتداء، وإما لجلب القلوب.

تاسعاً: نظام الجهاد بمختلف أنواعه: وهو باب واسع الأبعاد والفروع، حاول الإسلام فيه تنظيم الأعمال الحربية، مستهدفاً تحقيق الأهداف الإسلامية العليا، من خلال رفع الموانع في سبيل الدعوة الإسلامية، والحفاظ على محورها المتحرك. كل ذلك مع ضمان أكبر لالتزام الأساليب الإنسانية الممكنة ولن نتحدث طويلاً عن هذا الباب لسعته وضيق مجالنا عنه.

كانت هذه بعض الأسس القرآنية للتعامل الدولي، أشرنا اليها في لمحات سريعة، تاركين التفصيل فيها إلى مظانه، وملاحظين أنّه قد يكون البعض فيها داخلاً في إطار البعض الآخر، كما في مسألة المبدئية في التعامل مثلاً، أو نظام الجهاد.

---

١) التوبة، ٢٩.

٢) البقرة، ١٩٤.

الاتجاهات العالمية لدى النظم

في الواقع هناك اليوم ثلاثة نظم متنافسة هي الإسلام، الاشتراكية، الرأسمالية. وهي تمتلك جميعاً توجهات عالمية، وهنا أؤكد على انه لا فرق من حيث هذا التعريف بين العولمة والعالمية. وقد ذكرنا ان الإسلام باعتباره آخر حلقة من حلقات الدين الإلهي فقد جاء ليصلح البشرية، باعتباره طريق خلاصها الذي اراده خالق البشرية، وهو بذلك يركز على الفطرة الإنسانية المشتركة بين ابناء البشر، ويعتمد منطق الحوار والاقناع، ويعرض نفسه باعتباره السبيل الوحيد لخلاص البشرية، هذا الإسلام استخدم، لتحقيق أهدافه، عملية التغيير الفردي والتغيير الاجتماعي، وسعى لحذف الحدود الجغرافية والحدود اللونية واللغوية، وإقامة مجتمع عالمي يطبق قانوناً واحداً، ويتبع قائداً واحداً، ويمتلك احاسيس مشتركة، وأهداف انسانية واحدة. وهذا الاتجاه العالمي يبدو في كثير من النصوص الإسلامية، مثل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾[2].

وهناك نصوص كثيرة تؤكد على عالمية الإسلام منذ انطلاقته الأولى خلافاً لما يدعيه بعض المستشرقين والمؤرخين من أن العالمية الإسلامية جاءت بالتدريج ولا مجال هنا للتفصيل في هذا المجال.

فالإسلام إذاً انطلق باتجاه عالمي وما زال، عبر العصور، يؤكد هذا الاتجاه، ويؤكد وحدة المنطلق الإنساني، والمسير والهدف، هذا هو رأي الإسلام، أما الاشتراكية فهي أيضاً عندما طرحت فلسفتها عن التاريخ طرحت مسألة المادية التاريخية، والمراحل التي اشتهرت في هذه المادية، حيث تنتقل البشرية من مرحلة العبودية إلى المرحلة الاقطاعية، إلى الرأسمالية التجارية، الى المرحلة الرأسمالية الصناعية، إلى المرحلة الاشتراكية، وبالتالي المرحلة الشيوعية، عبر بعض القوانين ومنها صراع الأضداد الاجتماعية. هذا التصور اعطى الاشتراكية نظرتها العالمية في ايجاد تحول عالمي في مسيرة الإنسانية. وواضح ان الاشتراكية اعتمدت في هذا المجال قضية صراع الطبقات، والثورة والنظام

---

١) الأعراف، ١٥٨.
٢) القلم، ٥١.

الحديدي الاشتراكي، الذي يوصل المجتمع إلى الجنة التي يتصورها الاشتراكيون، وهي الشيوعية[١]، وقد فشلت هذه الرؤية سواء على الصعيد النظري او على الصعيد التطبيقي في اثبات ذاتها.

هذا بالنسبة إلى الاشتراكية، أما بالنسبة إلى الرأسماليةُ فقد انطلقت منذ بداية حركتها دون أساس ايديولوجي[٢]، ولم تكن تهتم بالأساس الايديولوجي، وانما همها تنظيم الحياة، واقامت نظامها على أساس الحرية الفردية الرأسمالية، وعندما انطلقت وواجهت اتساع الأفكار المعادية لها، راحت تأخذ من الاشتراكية شعاراتها وتستبدلها بشعارات مقابلة، من قبيل العدالة الاجتماعية؛ حيث استبدلتها بمسألة حقوق الإنسان، والتنمية الاقتصادية حيث استبدلتها بمسألة السوق الحرة ونمو الانتاج، وبالتالي فإنّها أخذت شعار الأممية البروليتارية واستبدلته بشعار العولمة الرأسمالية، إذ عندما انطلقت انطلقت محلية وكان تركيزها على الغرب، ولم تطرح نفسها بشكل عالمي، إلا بعد أن توفرت ظروف مناسبة لذلك.

وهنا نذكّر بالمراحل التي ذكرها «روبنسون» فقد تصور «روبنسون» ان العولمة الرأسمالية مرت بمراحل هي المرحلة الجنينية، وتبدأ منذ القرن الخامس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر، بسيادة القومية والجغرافية، ثم مرحلة النشوء، التي رآها تستمر حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بتبلور مفاهيم العلاقات الدولية ثم مرحلة الانطلاق وأوصلهاعشرينيات القرن العشرين بظهور المفاهيم الكونية، ثم مرحلة الصراع من أجل الهيمنة حتى منتصف الستينات، حيث ظهرت الأمم المتحدة، ثم مرحلة الاتصال واندماج العالم الثالث، والتعدد الثقافي، وبالتالي تصور اوج العولمة في الثمانينات والتسعينات[٣]. وهذا التصور كما نعتقد مصطنع وفرضي ولا واقع له، لأن الرأسمالية لم تنطلق بنظرة عالمية مطلقاً، وانما كان تركيزها على الغرب والدول الغربية بشكل جغرافي لا غير، ولكن الظروف التي حصلت في أواخر القرن العشرين دعت لطرح مفهوم العولمة

---

١) للوقوف على تفصيل هذا الأمر، راجع بحوث الشهيد الصدر في اقتصادنا، ص ٥٣ ـ ٢٢٨ حول الموضوع.

٢) ن. م. ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

٣) نقلاً عن سيد ياسين ـ مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٨٨م.

كما يبدو للباحث. فإن تنامي القدرة الغربية وامتلاكها المعلوماتية الضخمة وقدرة الاعلام النافذكل انحاء العالم من جهة، وكذلك تعاظم القدرة الإسلامية وانتشار النظرة الشمولية الإسلامية، التي شكلت في نظر الغرب خطراً على كل الحضارة الغربية من جهة ثانية، وانهيار الاتحاد السوفيتي كقدرة منافسة، كل هذه الأمور فسحت المجال لطرح نظرية العولمة على هذا المستوى الواسع.

تعريف العولمة

لا ريب أنّ تعريف العولمة غامض والتعاريف المقدمة متناقضة ومتنوعة، والحقيقة أنّ الإنسان يدرك من خلال معرفة نوع التفسيرات والتعاريفُ إن العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتحميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم. ونذكر في هذا الصدد ثلاث محاولات:

١. تعريف اللجنة الدولية عام ١٩٩٥م وهو يفسرها بالتداخل بين أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك عبر رفض الحدود والانتماء الوطني والاجراءات الحكومية.[١]

٢. بعض التعاريف العربية للعولمة بأنها حقيقة التحول الرأسمالي في ظل هيمنة الدول المركزية وسيادة نظام عالمي غير متكافئة، وهناك تعريفات اقتصادية او ادبية او تعاريف باعتبار اللوازم (للجابري) و(التيزيني) وغيرهما.[٢]

٣. تعريف «روزناو» الاميركي ويطرح تساؤلات: هل تنطلق العولمة من التجانس، او تعميق الفوارق؟ وهل لها مصادر واحدة او متفرقة؟ وهل لها ثقافة واحدة او متعددة؟ وبالتالي يعتبر ان هناك ثلاثة عناصر دخيلة في العولمة، إزالة الحدود وابراز تشابه المجتمعات الكبرى وفرض طريقة حياتها على الآخرين[٣]، ومن هنا نستطيع ان نقول: إن العولمة في الواقع هي محاولة امركة العلاقات السياسية والحقوقية والاجتماعية، عالمياً، وفرض ثقافة الهيمنة الغربية على الآخرين فهي من أخطر الأفكار الشيطانية. وقد استفاد

١) مجلة النهج، عدد ٥٠، ربيع ١٩٨٨.

٢) مجلة الواحة، عدد ١٦، ص ١٥٢.

٣) جيمس روزناو ـ ديناميكية المعرفة.

الغرب من قدرته التكنولوجية والعلمية والثقافية والعسكرية لطرح هذه الفكرة، كما قام بعض الفلاسفة والكتاب بالتمهيد النظري لها، وكلنا يعرف نظرية «هانتنكتن» التي تركز على الحضارة الغربية وتعتبرها تتميز بالتسامح والإنسانية والتعددية، في حين تصف الحضارات غير الغربية بالاستبداد والانغلاق على الماضي، والفشل في حل المشكلات الإنسانية، كالفقر والبطالة ومستوى المعيشة، وكثرة الانجاب والديكتاتورية. وهي تقترح على الغرب أن لا يتعاون مع غيره، ولا يصدّر التكنولوجيا، ويوحد نفسه اقتصادياً وسياسياً وادارياً، وترى ان الحضارة الغربية تعتمد على الأرث اليوناني والمسيحية الغربية والعلمانية، وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان، وهي أمور تميزت بها الحضارة الغربية ولا تتحقق في حضارات اخرى. ويأتي «فوكوياما» ليجعل النظام الرأسمالي غاية التاريخ، ويرى ان المجتمعات كلها يجب ان تتجه نحو الرأسمالية، ويجب توفير الشروط السياسية والاجتماعية، وأهمها تطوير البنية الاجتماعية نحو المساواة واللاطبقية واللاطائفية، وايجاد تفسيرات دينية مرتبطة بهذا التطور، وكذلك قيام المجتمع النامي لايجاد المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والدولة، كما يجب عدم المبالغة بالتمييز القومي مما يدعو للعزلة الحضارية، ويدعو إلى تفسيرات مستنيرة للنصوص الدينية، وينتقد كل الحركات المتطرفة، ويدعو لتوجه الصفوة لدعم القيم الديمقراطية والحرياتُ فهو إذن يجعل المجتمع الرأسمالي الغاية التي يجب ان تسير اليها كل الحضارات.[١] كذلك نجد «بيدهام برايان» المفكر الانكليزي في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة الايكونومست خلال عام ١٩٩٤ يؤكد ان هناك تشابهاً بين الوضع الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري ووضع اوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي، ويرى ان كلا الوضعين متشابهان في توفر الأرضية المناسبة للاصلاحات، وفي نوع المؤسسات الدينية لدى المسلمين ومؤسسات الكنيسة في القرن ١٥ م وفي المستوى البائس لديهم، وفي الشوق لتحسن الاوضاع، ويرى ان هناك عاملاً خارجياً يحرك هذه الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكل فيه المسلمون العامل الخارجي لتطوير أوروبا في حينها، فإنّ الغرب اليوم هو عامل دافع للعالم الإسلامي نحو التطور والتقدم ويرى ان

---

١) العربي، العدد ٥١٢، الاستاذ مجد الدين خمش، ص ٣٠.

التحرك يبدأ من الإسلاميين المتحررين الذين يؤمنون بالديمقراطية، ولابد من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، وفي ختام مقالاته يوجه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاث لكي يتأهل للتعامل مع الغرب والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة هي:

١. الانسجام مع الاقتصاد الحديث.

٢. القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

٣. العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم.[١]

هذا وقد شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية، فإن استجابت لهذا الهدف وإلّا تمّ تجاوزها وراح التخطيط لفرض السياسة الأميركية على العالم. وقد استغلت اميركا حوادث ١١ سبتمبر لتطرح نفسها القوة الأولى في العالم، والمسيطرة على كل مقدراته السياسية كما جاء التخطيط للسيطرة على الثقافات والقيم، والتدخل في التشريعات الاجتماعية، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة في القاهرة وكوبنهاغن، ومكسيكو سيتي، وبكين وغيرها حيث تم التدخل في الأمور التشريعية الاجتماعية تحت شعار حماية حقوق الإنسان.[٢]

الآثار السلبية للعولمة

لقد وضح للعالم جميعاً الآثار السلبية التي تركتها هذه الفكرة المخربة، ولذلك وصفت العولمة بكثير من الأوصاف منها العولمة المتوحشة او العولمة المجنونة او العولمة الفخ، اوَ وصفت بأنها إما أن تأكل او تؤكل، وقد ذكرت الدراسات المتنوعة هذه الآثار السلبية التي نشير إلى بعضها:

١. سيطرة القوى الكبرى على حركة الاقتصاد العالمي والمصادر الانتاجية والتبادل المالي والتجارة، حتى قيل ان هناك ٥٠٠ شركة تسيطر على ٧٠٪ من حجم التجارة العالمية، وان هناك ٢٠٪ فقط يعيشون في اكتفاء ذاتي في حين يقبع ٨٠٪ في عالم التبرعات.

---

١) راجع مجلة المنهاج، عدد ٢٢، السنة السادسة، ص ٢٤٨، مقال للمؤلف حول هذا الموضوع.

٢) راجع كتاب: مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة وتداعياته للمؤلف.

٢. سيطرة اميركا على وسائط نقل المعرفة.

٣. كسر هيبة الدول الصغيرة، وقدرتها على النمو.

٤. التدخل في التقنين الداخلي لباقي الشعوب كما رأينا في مؤتمرات الأسرة وغيرها.

٥. الغزو الثقافي لكل المناطق، ومحاولة استئصال الثقافات الأخرى.

٦. التقليل من شأن المحافل الدولية، واستغلالها لصالح هيمنة القوى الكبرى، وقد رأينا قبل أيام ان رئيس دولة غربية هو رئيس ايطاليا يعلن ان الناتو والقوى الغربية وجّهوا اكبر ضربة للنظام العالمي لاستغلالهم المحافل الدولية.[١]

٧. تلويث البيئة نتيجة الجشع الذي ابتليت به القوى الكبرى، وهناك آثار سلبية كثيرة اخرى للعولمة نعرض عنها فعلاً.

موقف الأمة والخطوات العملية التي يجب ان تتخذها اتجاه العولمة

وقبل بيان هذه الخطوات نؤكد بأن الرفض الانفعالي لن يؤدي إلى نتيجة، وانما يجب التأمل واتخاذ الخطوات العملية المدروسة للوقوف بوجه هذا الغزو العالمي الكبير، فيجب علينا في هذا المجال:

أن نقوم بوضع استراتيجية عملية وواضحة وشاملة، ويتعاون الجميع على وضعها أوّلاً، وعلى تنفيذها ثانياً، كما يجب علينا ان نقوم بفضح النظريات التي مهدت لمثل هذه النظرة التخريبية.

وبالنسبة للاستراتيجية نطرح بعض الخطوات التي نراها مهمة في هذا المجال:

١. يجب علينا أن نعري الجانب الايديولوجي للهيمنة الاميركية ومقولات هذا الجانب (القرية الصغيرة، حرية السوق، حرية التدخل وفتح الحدود وأمثال ذلك).

٢. يجب علينا حذف هيمنة السوق على الجانب السياسي.

٣. يجب تعميق قيم الإنسان الفطرية مع عرض نظرية الفطرة الإسلامية.

---

١) وتتابع الأدلة يوماً بعد يوم على هذا الاستغلال فإذا لم تحقق لهم مصالحهم تركوها وهذا ما شاهدناه من موقف أميركا من معاهدة (كيوتو) ومن المحكمة الجنائية الدولية أخيراً.

٤. يجب توسيع لغة الحوار بين الأديان.

٥. يجب التأكيد على الهويات الاقليمية وهويات الشعوب وتوعية الشعوب للاحتفاظ بهوياتها وثقافاتها.

٦. يجب الارتقاء بالقدرة العلمية والتنموية للشعوب.

٧. يجب العمل على اعطاء الحريات والحقوق الاصيلة للشعوب.

٨. يجب تقوية المؤسسات الدولية وتعميق استقلالها.

٩. يجب تعميق الثروة الثقافية المتنوعة.

وفي الاطار الإسلامي يجب علينا بالاضافة لما سبق:

١. أن نعمق الحوار بين المذاهب اتجاها لتكوين الوحدة في الموقف الإسلامي.

٢. يجب العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وتفعيلها في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي.

٣. يجب ان نطور دراساتنا الاقليمية والعالمية والانفتاح على التاريخ.

٤. علينا ان نقوي كل عوامل الصمود والتعاون والوحدة، كمسألة اللغة العربية وتعميق هذه اللغة.

٥. علينا ان نجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدراسات الدينية ونروج للاجتهاد الجماعي، وغير ذلك مما يؤدي للوقوف أمام هذا الهجوم العالمي الكبير.

* * *

تقرير موجز عن ندوة

الحوار بين الإسلام والغرب[1]

تناولت هذه الندوة مواضيع مختلفة من قبيل:

١. التفاهم بين الحضارات؛

٢. وضع المراة بين الإسلام والغرب؛

٣. المهاجرون؛

٤. العلاقة بين التجارة والأخلاق.

وقد تناولنا الكلمة في مختلف المواضيع، وهانحن نذكر فيما يلي نصوص الكلمات والتعليقات المطروحة في هذه الندوة على النحو التالي:

١. الموضوع الأوّل: فيه أربعة أحاديث:

الأوّل: كلمة حول «الحوار الثقافي»؛

الثاني: حول تعدد الثقافات والحوار المتبادل؛

الثالث: حول الثقافة الإسلامية والثقافات القومية؛

الرابع: تأكيد نزاهة الاعلام.

٢. الموضوع الثاني: وفيه تعليق واحد حول حقوق المراة وموقعها في الإسلام.

٣. الموضوع الثالث: وفيه تعليقتان:

---

١) المنعقدة في مقر اليونسكو في باريس – فرنسا، بتاريخ ١٩٩٧/٣/٥.

الأولى: حول مشكلة المهاجرين واللاجئين؛

والثانية: حول العلاقة بين الشيعة والسنة؛

٤. الموضوع الرابع: وفيه تعليق حول العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق.

الموضوع الأوّل: وفيه أربعة أحاديث

الحديث الأوّل:

كلمة في مطلع الحديث عن الحوار الثقافي

أشعر بكثير من الفخر وأنا أحضر هذه الجلسة العلمية الأخلاقية، وأشعر بواجب على أن أشكر السيدة الكريمة «نيكلسون» وكذلك الدكتور «مايور» امين عام منظمة اليونسكو على ترتيب هذا اللقاء الجميل في هذه المدينة الجميلة. وحسنا فعلت السيدة نيكلسون عندما أعلنت بأنّ هدفنا من هذا الاجتماع هو تبديد الغيوم. أسأل الله أن يوفقنا لتبديد هذه الغيوم.

أعتقد أنّ شعارنا في هذا اللقاء وفي كل لقاء يجب أن يكون هو الواقعية الثقافية، او فلنعبر عنه بالسلام الثقافي، الحقيقة أنّ علينا أن نقيم توازناً حقيقياً بين الثقافات بعد الاعتراف بتعدد الثقافات والتعددية الثقافية، باعتبار أنّ كل ثقافة هي نتاج إنساني ولصالح المجموع الإنساني.

علينا أن نحترم هذا الشعار وهذا التوازن، ولكن هذا طرف، والطرف الآخر الذي نقيم عليه هذا التوازن هو الثقافة الإنسانية المشتركة النابعة من الفطرة أو من الوجدان أو من الخصائص الإنسانيه التي تميز الإنسان كإنسان والتي تعطيه طابعه الإنساني، الذى يتميز به عن الحيوان ـ بطبيعة الحال ـ إن على المنظمات الإنسانية، كمنظمة (عمار) التي لها خدمات جلى ـ نشهد بها ـ في مناطق ابتليت بالكوارث المصائب الطبيعية والإنسانية، وكذلك من المفروض بالمنظمة العالمية الثقافية اليونسكو أن تعيش مع الثقافة الإنسانية المشتركة ـ في الوقت الذي نعترف فيه بثقافة الشعوب ـ هذا هو التوازن الذي ننشده. المراد إذا هو تحقيق هذه الواقعية هذا التوازن.

من الواقعية أن نرفض أيّة محاولة لفرض الهيمنة الثقافية بالقوة، سواء كانت هذه القوة اقتصادية أو عسكرية أو إعلامية أو سياسية. ومن الواقعية الثقافية أيضاً أن يعمل

كل منّا على تحسين صورته في ذهن الطرف الآخر.

أشار الأستاذ «مايور» إلى الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، على كلا هذين الجانبين أن يحسن صورته في ذهن الآخر، وأن يثبت للآخر أنّه لايريد له إلّا الخير، وإلّا بقي التنافر والنزاع.

هذه هي الحقيقة التي اكدتها السيدة نيكلسون، لكنني أضيف أنّ السلام المطلوب يجب أن يكون سلاماً عادلاً، وإلّا فليس من العدالة أن نهاجم شعباً هجوماً ثقافياً، ثم نمنعه من حقه في الدفاع بحجة أنّ عمله هذا يخالف السلام، وأنّه عمل إرهابي و... إلى آخره.

العدالة أيضاً هي نداء الوجدان ونداء المشتركات الإنسانية، عندما يقول القرآن:﴿ و ان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾[1] ويقول أيضاً: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[2]. فان العدالة مهمة في هذا المجال.

اعود فأؤكد: إنّنا إذا آمنا بخصائص مشتركة للإنسان استطعنا أن ننقذ مفاهيمنا من الإبهام ـ كما يقول الشاعر الإسباني الذي أشار إليه السيد (مايور) ـ هناك مصطلحات نطرحها: العدالة، الحق، الإنسانية، الأخلاق، المعرفة، هذه الأمور كلها لاتستطيع أن تمتلك معنى، وتخلص من براثين الإبهام، إذا آمنا بوجود الفطرة الإنسانية والمشتركات الإنسانية.

علينا إذا أن نفكر في كمال الإنسان وقيمه، وعلينا أن نخرج هذا العالم من الفوضى الفكرية والتحميل الفكري.

أقول لكم ـ وكثير منكم ربما لم يسمع هذه الآية من القرآن ـ واجه النبى محمد ﷺ التهم، كانوا ـ من كل مكان ـ يقولون له أنت مجنون، مجنون. في هذا الجو الفوضوي ماذا يفعل الإنسان الذكي؟ عليه أن يبتكر، كما يقول السيد مايور ـ هنا ليس المجال مجال منطق واستدلال ـ كان القرآن يقول له: ﴿قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾[3] أخرجوا من هذه الفوضى العقلية، ويؤسفني في ختام حديثي هذا أن أقول أنّ ثقافتنا العالمية مبتلاة بأمور ثلاثة تحطمها، الأمر الأوّل: المصالح

---

١) الأنفال، ٦١. ٢) المائدة، ٨.

٣) سبأ، ٤٦.

الضيقة لبعض القوى، والثاني: الجهل بالأهداف، الثالث: التعصب المفرط. علينا إذا لكي نصل إلى تفاهم مشترك، أن نرفض الإصرار على المصالح الضيقة والجهل والتعصب المفرط لنبني عالماً يزخر بالجمال والسلام.

الحديث الثاني:

حول تعدد الثقافات والحوار المتبادل (تعليق على إحدى الكلمات)

أعتقد ـ بكل اختصار ـ أنّ التحديات التي تواجهها عملية التفاهم الثقافي اليوم تفرض على كل الغيارى والمفكرين التوصل إلى مثل هذه الآلية المطلوبة.

و ما أود تأكيده هو أنّ علينا:

أوّلاً: أن نحدد معالم كل ثقافة.

معالم الثقافات ـ اليوم ـ عادت مبهمة مع الأسف، فلها تعاريفها المختلفة ولايستطيع الإنسان أن يقف منها على شيء محدد. فمن الطبيعي أوّلاً للمفكرين الغربيين أن يحددوا معالم الثقافة الغربية، وللمفكرين أن يحددوا معالم الثقافة الإسلامية. وعندما أقول معالم فإنّي أعني بها المبادئ الأصلية وليست الأشياء التي جاءت دخيلة على الثقافة الغربية أو الثقافة الإسلامية، فإذا رأينا سلوكاً غريباً، من أمثال الطالبان أو من أمثال الكثير من أهل الإفراط فإنّه لايمكن أن يعبر عن معلم ثقافي للأمة الإسلامية.

إذن:

النقطة الأولى: علينا أن نحدد معالم الثقافتين الإسلامية والغربية ـ وهما الثقافتان الكبيرتان ـ اليوم ـ اللتان تتنازعان الصدارة في هذا العالم.

و النقطة الثانية: علينا أن نحدد المساحات المشتركة كما نحدد نقاط الاختلاف، يعني لايمكننا أن نحدد نقاط الاتفاق إلّا إذا حددنا نقاط الاختلاف بشكل دقيق.

النقطة الثالثة: علينا أن نعتمد ـ واقعاً في أسلوبنا ـ مبدأ التنوع الحضاري التنوع الثقافي. وبالتالي نرفض مسألة فرض الهيمنة الثقافية على الشعوب بمختلف أساليب القوة.

و أخيراً علينا أن نؤكد مسألة اعتماد الموضوعية في الحوار. وأن يكون المتحاورون من ذوي التخصص. لايمكن أن نسلم أمور الثقافة لأناس لاتخصص لهم بها ففي الحوار هناك المبادئ الموضوعية والتخصص والهدفية في الحوار، دون العمل

العشوائي. لذا أعتقد أنّ من الطبيعي لنا أن نؤكد المنطقية في الحوار كأسلوب حل سليم للوصول إلى هدفنا المطلوب.

الحديث الثالث:

حول الثقافة الإسلامية والثقافات القومية

وددت أن أشير إلى نقاط ثلاث عسى أن تتم ملاحظتها:

أشار أحد المتحدثين إلى أن الثقافة الإسلامية يجب أن تجزا إلى ثقافات عربية، فارسية وتركية، وكأنّه أراد أن ينكر أنّ الثقافة الإسلامية تتمتع بمقومات الثقافة الجامعة، والحقيقة أن من يطلع على سير الحضارة الإسلامية يدرك أن الإسلام عندما جاء، أحيي كل هذه الشعوب بعد أن كانت ميتة. اما العرب فلم يكونوا يشعرون بأنّهم أمة، حتى القبيلة لم تكن تشكل وحدة تجمعية، واما الفرس فكانوا رغم قوتهم لايملكون ما يسمى بثقافة وحضارة بالمعنى الدقيق للكلمة. على أيّ حال، الإسلام غير كل هذه الشعوب وصهرها في بوتقة واحدة وأعطاها مسيرتها الكاملة، لذلك أعتقد أنّ الإسلام جدير بأن يسمى واضعاً لأسس الثقافة الإسلامية، وأن يتم التعامل بين الثقافة الإسلامية، على اختلاف اجتهاداتها، والحضارة الأوربية لوجود المساحات المشتركة. هذه نقطة مهمة جدا أودّ أن يتمّ تصحيحها.

النقطة الثانية: أشار الدكتور مجيد في النهاية إلى كلمة جيدة أؤيدها ـ وهي التي تم الحديث عنها ـ وهي أنّ علينا أن نحقق توازنا بين التعددية الثقافية من جهة، المساحات الإنسانية المشتركة بين الثقافات من جهة أخرى.

و النقطة الثالثة: هناك إشارة ـ تمت في البحث ـ إلى أنّ هناك عقبات تقف أمام تلاقح الثقافات وتواصلها. هذه العقبات لخصت بالأمور الثلاثة التالية:

أوّلاً: المصالح السياسية الضيقة؛ ثانياً: الجهل؛ وثالثاً: التعصب المفرط وأنّ علينا أن نقف ضد هذه العقبات.

الحديث الرابع:

تأكيد نزاهة الإعلام (تعليق حول ما قالته الدكتورة هالة)

أودّ أن أشكر الدكتور هالة على عرضها الجميل، واستعراضها لمختلف المشكلات

التي يواجهها الإعلام ـ وبالخصوص الإعلام الذي يريد أن يغطي المساحات الثقافية المختلفة، ويريد أن يكون إنسانياً وحضارياً، وأعتبر عرضها عرضاً يستحق التقويم والدراسة، ولكن أركز على ما قاله السيد هادي، فقد كان جميلاً في عرضه عندما قدم لنا النموذج الحي لصورة تعرض في الغرب عن الإسلام، بأنّه دين إلحادي ينطوي على نفسه، وبأنّه يختلف كلياً عن الاتجاه الثقافي العام، وأنّه يشكل التهديد لكل الحضارات، وأنّ المتدين إنّما يستخدم دينه سياسياً فقط، فالدين آلة سياسية دون أن يشكل أسلوباً لتكامل الإنسان، وأنّ الخوف من الإسلام أمر طبيعي.

والحقيقة أنّ بعض الكتاب يقدم صورة كالحة عن الإسلام.

و عندنا أيضاً في العالم الإسلامي ـ من يقدم صورة كالحة وغامضة عن الغرب، ويعتبر الثقافة الغربية شراً مطلقاً، فيصفها بأنّها ثقافة ضد الإنسانية، وأنّها تكيل بمكاييل مختلفة، ولاتتعامل مع القضايا إلّا وفق مصالحها، ويعتبر الحضارة الغربية حضارة الجنس والجسد، حيث الآلهة يجب أن تكون مجسدة للشهوة وهكذا يصف الغرب بكل هذه الأوصاف.

أنا أعتقد أنّ كلا الطرفين على خطأ، وأنّ الجوانب الإنسانية في الحضارتين جوانب ضخمة جداً، وهي جوانب مشتركة، لذلك، أنا مع السيد هادي في صعوبة العمل الصحافي، عندما يريد أن يعرض الواقع بعيدا عن هذه التصورات المتناقضة، ومن هنا اعتبر أنّ وظيفة أمثال هذه الجلسات هي وظيفة تصحيحية، وأنّ على المسلمين أن يصححوا صورتهم في ذهن الغربيين، وعلى الغربيين أن يصححوا صورتهم في أذهاننا ـ نحن المسلمين ـ حتى نقف على صخرة مشتركة، ومن الطبيعي جدا أن نؤكد أنّ النظرات المتطرفة التي تصف الحضارتين بأنّهما شر مطلق، نظرات تنزوي أمام الواقع. عندما يطلع الغربيون على أنّ الإسلام دين يربي الإنسان،لايستغل كسلعة سياسية فقط، وعندما يطلع المسلمون على أنّ الغرب يحمل جوانب إنسانية كبيرة، حينئذ تنفتح الجوانب المشتركة.

و أريد أن أختم حديثي بآية قرآنية، القرآن يعلم النبي، هو أكبر المؤمنين بالإسلام، يقول القرآن عندما تحاور إنساناً من غير دينك، عليك أن تدخل في الحوار بذهن بعيد عن الخلفيات، فتقول: لعلى أنا على الخطأ وأنت على الصواب ولعلك أنت على الخطأ وأنا على

الصواب، أنّ الآية القرآنية تقول: ﴿وإنا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾ [١] اما نحن أو انتم على هدىً أو في ضلال مبين، بهذه الروح العالية الموضوعية يأمر القرآن النبي بالحوار، فهل يمكن أن نعتبر الإسلام ديناً يهدد الآخرين ويعرض آراءه بعنف؟!

الموضوع الثاني: تعليق على حقوق المراة وموقعها في الإسلام

شكرا للدكتورة.... فقد حدثتنا عن غنى القوانين المصرية بالنسبة لحقوق المراة إلّا أنّ الظروف الاجتماعية ربما منعتها من تمتعها بكل حقوقها.

اعتقد أنّ على ندوتنا أن تعلن أنّها ترفض أيّة فروق بين الرجل والمراة في المجال الإنساني بشكل مطلق، وأنّ علينا أن نؤكد أنّ هناك اختلافا في المجال الوظيفي، في مجال تكامل عمل كل من الرجل والمراة في بناء العائلة، والعائلة هي محور التشكيلة الاجتماعية لدى كل الأديان ولدى كل الشعوب التي تحترم نفسها بشكل كامل، وعلينا أن نرفض استغلال الجنس لتحقيق مكاسب تجارية وإعلامية رخيصة.

و علينا أن نقبل بالتعليم الجنسي ولكن لهدف تحكيم الأسس العائلية، ونفي الأضرار الفيزياوية والمعنوية للاتصالات العشوائية، ثم علينا أن نعلن حماية المراة في الحروب، أو من قبيل المراة العاملة أو المراة التي تعيش في السجن أو تتعاطى المواد المخدرة، فإنّ مثل هذا الموجود يتعرض بشكل متزايد لاعتداءات أولئك الوحوش الذين يلبسون لباس الإنسانية أحياناً، وأخيراً علينا أن نؤكد حق المراة في البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للحضارة الإنسانية المشتركة.

الموضوع الثالث: وفيه تعليقان

الأوّل: حول مشكلة المهاجرين

مشكلة اللاجئين والمهاجرين والمبتلين بالحروب والمشكلات الأخرى، مشكلة إنسانية، هناك مسائل ثلاث حول هذه القضية أطرحها بسرعة.

المسألة الأولى: هناك رأي للإسلام حول المشكلة ـ باعتبارنا في حوار ثقافي ـ فبكل

---

١) سبأ: ٢٤.

اختصار، اعتقد أنّ الإسلام اهتمّ بهذه المشكلة، وهو يعتبر كل مبتلى من هذه الطوائف من الفئات المحرومة أو من المساكين أو من المستضعفين أو من أبناء السبيل موضع اهتمامه، كما يوجب على كل فرد من أفراد المسلمين ـ أينما كانوا في أنحاء العالم ـ أن يهتمّوا بالقضايا الأساس لهؤلاء، ويجب على الدولة أن تحلّ مشكلاتهم إلى حد رفع الاحتياجات الطبيعية لهم، ولاينظر إلى هوية اللاجئ، أهو مسلم أو غير مسلم؟ أو هو من أبناء هذه المنطقة أو تلك، لا إلى لونه ولا إلى شكله لا إلى لغته؟ هو لاجئ وكفى، فيجب أن تؤمن احتياجاته، وأحكام هذا المعنى موجودة في الكتب الفقهية المعروفة، ولذلك لن اطيل في هذا المجال وأي تقصير بحق اللاجئين يعاقب عليه كل مسلم ان كان قادرا على العمل ولم يقدم على ذلك، وسورة الماعون موجودة في القرآن الكريم، ويمكن مراجعتها.

المسألة الثانية: من بين اللاجئين هناك مشكلة الفئات الأشد تضررا والأقل دفاعاً، وهي مشكلة النساء المهاجرات، المراة المشردة والأطفال والشيوخ، باعتباران قدرة المقاومة لدى هذه الطبقات قليلة في قبال المشكلات. كما ركز على حماية هذه الطبقات، سواء من الذى يشتركون في صنع المشكلة فيالحروب، أو من أولئك الذين يدافعون عن هذه الطبقات وعليهم تأمين احتياجات هذه الطبقات. أيضاً بالنسبة للمرأة هناك حديث مفصل، أذكر أنّنا دخلنا فيه في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية، وكان هناك اتفاق عالمي على لزوم الاهتمام بالمراة المهاجرةالمشردة،و لزوم حمايتها من الاعتداء الجنسي، لأنّها في موقف ضعيف في تلك الحالات، وأعتبر أنّ هذا من الجوانب الإيجابية لوثيقة القاهرة ـ كما خضنا صراعاً عنيفاً ضد اتجاه آخر يدعو إلى التحلل والقضاء على الروابط العائلية، أو الاعتراف بالروابط غير العائلية، والاعتراف بمسألة الأجهاض، وأمثال ذلك، والحمد لله وصلنا إلى نتائج مرضية هناك في القاهرة، وفي بكين أيضاً. لا أريد أن أدخل في تلك الجوانب، فالحديث مفصل.

والمسألة الثالثة: في إيران ـ عندنا ـ مشكلة المهاجرين مشكلة عويصة جداً، ربما ايران أكبر دولة ترعى المهاجرين في العالم، عندنا مليونان ونصف مليون مهاجر من العراق وافغانستان وفي فترة من الفترات من الكويت. ايران تحملت كل هذا العدد الكبير، وأنتم تعلمون أنّ إيطاليا عندما هاجر إليها مئة وخمسون ألف مهاجر ـ ربما من ألبانيا ـ ضاقت بهم ذرعا، وهي دولة متقدمة، ولها الحق في ذلك، لأنّ الهجرة تعرقل وتفرض

الفوضى في كل الترتيبات الإدارية، على أيّ حال، ايران تحملت هذه الهجرة، وكانت إلى جانبها حالة أخرى، وهي حالة هجرة الإيرانيين من المناطق الحربية، بسبب الحرب التي فرضها العراق على إيران خلال ثماني سنوات. هذه الهجرة ضمت حوالى مليون مهاجر أيضا، نزحوا إلى وسط إيران فعندنا حوالى أربعة و نصف مليون مهاجر أيضاً، والحالة لم تكن طبيعية فنحن في حالة حرب، ولكن تحمل الشعب ذلك، فاحتوينا هذه الهجرة، ابناؤهم دخلوا مدارسنا، وقاسمناهم لقمة العيش، ولم يشعروا إلى حد كبير بالمحنة، إضافة إلى ذلك، هجرة الأكراد من شمال العراق إلى إيران، وكان هناك مليون مهاجر هاجروا إلينا خلال أسبوعين، إذ هربوا من مناطق الحرب، واحتوينا المشكلة أيضاً وقدمنا لهم ما نستطيع من خدمات. النقطة المهمة هو أن يشعر الشعب بواجبه.

إذا انا بحاجة لأن أؤكد هنا أيضاً لزوم توكيد روح الإخوة الإنسانية، وضرورة الحماية لها كما نركز على قضية النساء المهاجرات، وأخيراً، أؤكد أنّ على مؤسسات الحماية الدولية للاجئين أن تدعم هذه القضية دونما تمييز، ودونما ملاحظة للاعتبارات السياسية. اعتقد أنّه من الطبيعي جداً أن نؤكد هذا المعنى.

و هنا أود أن أشكر الدكتورة الشيخة من الكويت على توجيهها الشكر، واعتبر أنّ ما فعلناه هو من واجب أيّ مسلم تجاه أخيه. كذلك أشكر السيدة الدكتورة خديجة على كلماتها الجيدة وتحليلها الطيب حول قضية الهجرة، وربطها بالتاريخ الإسلامي المشرق في هذا المجال. واشاطرها الرأي بأنّ الكثير من أجزاء عالمنا الإسلامي ـ مع الأسف الشديد ـ لاينسجم مع ذاته الإسلامية، ولايحيى الحياة التي يريدها القرآن الكريم.

الثاني: تعليق على ما أشار إليه الأخ الكريم من أفريقيا الجنوبية بين الشيعة والسنة

الحقيقة أنّ الشيعة والسنة جناحان للأمة الإسلامية لتحقيق أهدافها الكبرى.

فإذا ما وجدنا عناصر جاهلة أو عناصر مشبوهة أو ـ اسمحوا لي أن أقول ما قاله الإمام الخميني رحمه الله : «إنّ الذين يفرقون بين الشيعة والسنة ليسوا من الشيعة والسنة» عناصر مأجورة. ووجدنا بعض الحوادث المؤلمة في باكستان، مثلاً، قبل أيام دخلت مجموعة مسلحة إلى محل دبلوماسي كان يسكنه مندوبنا الثقافي ـ ولي إلمام واسع بذلك حيث إنّي مسؤول عن المندوبين الثقافيين الإيرانيين في أنحاء العالم ـ فقتلوه، هو وستة من المستضعفين العاملين معه بحجة مذهبية سخيفة، اعتقد أنّ هذه الحوادث طفيفة رغم أنّها

موجعة، وأنّ وعي الأمة الإسلامية سوف يقضي على مثل هذه الحوادث. السنة والشيعة جزءان لهذه الأمة ولا أجد بينهما ما يدعو إلى مثل هذه الحالات الموسفة. اكرر، أنّنا جميعاً مع القضية الإنسانية أينما كانت، وأنّنا جميعاً نفكر بما تفكر به مؤسسة عمار من خدمة قضية اللاجئين أينما كانت وأود أن أشكر السيدة نيكلسون على خدماتها الجيدة في قضية خدمة اللاجئين، وأعتبر ماقامت به هذه السيدة ـ ضمن خدمات مؤسسة عمار ـ في جنوب العراق وجنوب ايران وجنوب لبنان، خدمات جيّدة تحتاج منّا لأن نشكرها شكراً جزيلاً وحبّذا لو اثيرت في قضايا الإعلام، فكان أكثر انصافاً لهذه القضية.

الموضوع الرابع: حول العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق

عندي تعقيب على المتحدثين الذين سبقوني في الحديث، هو تعقيب على العلاقة التي طرحها المتحدثون بين الاقتصاد والأخلاق اعتقد أنّ المهم ليس توفير حرية الانتقال فقط. فحرية الانتقال بين السلع والانفتاح الاقتصادي اليوم لايمكنه أن يكون أهمّ المشاكل بشكل مطلق، كما لايمكنه أن يدخل في إطار عالمي موسع إلّا ضمن قيود محددة كما نراه في منظمة التجارة العالمية. الذى اعتقده ـ إذا أردنا أن نتحدث من الزاوية الأخلاقية ـ أنّ المهمّ هو أن تكون حلولنا للمشاكل الاقتصادية حلولاً إنسانية، القرآن الكريم ـ عندما يتحدث عن المشكلة الاقتصادية عبر التاريخ ـ يطرح السر الإنساني لهذه المشكلة، فهو يقول بأنّ الأرض تحوي كل ما يحتاجه الإنسان، الأرض والطبيعة أودع الله تعالى فيهما كل ما يسأله الإنسان ويحتاج إليه،المشكلة لاتكمن في شحة الموارد الطبيعيّة، كما يقول ماركس مثلاً، وإنّما تكمن في الشح الإنساني نفسه، تكمن في عدم الاستفادة الطبيعية الجيدة من هذه النعم،عدم العدالة في التوزيع. القرآن يقول بالدقة: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها أنّ لظلوم كفار﴾[1].

الإنسان يظلم حينما لايشكر النعمة، حينما لايعدل في التوزيع، وكفار حينما لايستفيد من هذه الطبيعة، إنّنا إذا استطعنا أن نؤثر على ما اسميه بالنية، بالقصد، بالهدف. إذا استطعنا أن نربي الإنسان ضمناً النتيجة. الإسلام أيضاً يقول: «إنما الأعمال بالنيات»، إذا

---

١) إبراهيم، ٣٤.

احتفظنا بالاتجاه الخلقي المادي لانستطيع أن نصل إلى نتيجة، اشبعني اشبعك، انفعني انفعك، التعامل المتبادل لايستطيع أن يؤدى إلى نتيجة مطلقاً.

عندما يتعارض الربح المادي مع الوجدان الخلقي فأيهما الذي يقدم؟ هناك من كانوا يلقون كميات كبيرة من القمح في البحر لكي يحتفظوا بمستوى الأسعار،مئات الألوف يموتون جوعا. اعتقد أنّ علينا أن نعمق الاتجاه المعنوي بين الاقتصاديين، وهذا الاتجاه المعنوي في الإطار الديني واضح، فالدين كله توكيد المعنويات، وإذا أردنا أن نعبر الإطار الديني إلى الإطار الدولي علينا أن نقي مؤسسات التبرع، المؤسسات الخيرية، والحركات الأخرى التي تعمل على تنمية روح التبرع، هذه الحركات يجب أن تدخل في إطار ميكانيكية معينة، في إطار تقنية معينة لانتشارها، كلما ربّينا في التجار روح التبرع، ربينا فيهم الاتجاه المعنوي ومالم تصلحوا نيات التجار، فلا تتوقعوا ـ وليس من الطبيعي أن تتوقعوا ـ أيّة نتيجة، ولا معنى للخلق إن لم يرجع إلى النية. إذا اقترح أن ندعو إلى تقنية لتنمية روح التبرع.

إنّ الإسلام يسمي عملية التبرع بـ«عملية اقراض الله» أنّه تقديم قرض لله وإن كان ـ سبحانه ـ واهب المال، إلّا أنّ القرآن يقول: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾[1].

* * *

١) الحديد، ١١.

أهم القضايا العالقة بين الإسلام والغرب[1]

إذا أخذنا الغرب بمعناه العريض، وأخذنا الإسلام بمعناه الشامل للحضارة والأمة الإسلامية اليوم، فإنّنا سنجد في البين قضايا عالقة كثيرة تحتاج إلى اتخاذ موقف حضاري من قبل الطرفين عبر حوار هادئ، فأمّا التوافق، ولو على حد أدنى، وأمّا التعامل الحضاري الإنساني مع فرض إبقاء التناقض على حاله.

ورغم كثرة المسائل وتنوعها، خصوصا إذا ما أردنا أن ندخل المسائل الفلسفية إلى جانب المسائل الخلقية والاجتماعية بل والسياسية أيضا، إلّا أنّنا نستطيع التعرض إجمالاً إلى أهمها.

ونحن نعتقد أنّ القرآن الكريم والسنّة الشريفة اعطتنا منهجاً تاماً رائعا للحوار مع الآخر، حددت فيه معالمه وقواعده قبل عملية الحوار وأثناءها، من حيث المقدمات والأهداف والأجواء وحتى اللغة، فإذا ما توفر لدى عقلاء الطرف الآخر منهج سليم ونية صادقة أمكننا من خلال نقاط التماس المكتوبة والمرئية والمسموعة أن نطرح هذه القضايا على بساط البحث، آملين الوصول إلى نتائج مرضية او على الأقل التفهم المتبادل للموقف الآخر وبالتالي التفاهم حول الأطر الإنسانية لتغليف الخلاف إذا لم يتم حله.

---

١) قدم إلى المؤتمر الثالث عشر للجنة التنسيق والعمل الإسلامي المشترك التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مكة المكرمة ١٤٢٤ هـ.ق.

كما نعتقد ـ خلافاً لبعض النظرات التي نرى فيها شيئاً من التطرف ـ أنّ هناك مجالات كثيرة للالتقاء وتوحيد الموقف، خصوصاً مع وجود طبقة منصفة تتأثر بالموقف المنطقي وتتعامل معه بإنسانية. وأمامنا الكثير من المبدئية التي نشهدها في العالم الغربي، وهي مستعدة حتى للتضحية في مجال تأييدها لقضايانا العربية والإسلامية.

فلندخل بهذه الروح وهذا الأمل في مجال عرض اهم هذه القضايا، وكما يلي:

الأولى: النظرة العدائية والروح الصليبية والعنف

فعادة ما يخيم الحقد على هذه العلاقة من الجانبين معا نتيجة التماس التاريخى والصراع المستمر على مدى قرون، وقد اختلط ذلك بتفسيرات دينية ومصالح قومية أخرى توسعية وعنصرية، مما ترك في النفوس خليطا من العدائيةالريبة، مع قدر عظيم من التعميم والتفسير بعين السخط لمختلف المواقف حتى لقد تـر سخت النظرة العدائية للغرب، بقضه وقضيضه، في نفوس المسلمين بقدر ما ترسخت الروح الصليبية تجاه المسلمين في نفوس أبناء الغرب.

ونحن نشهد ذلك في تصريحات أعلى مستوى لدى الطرفين وتتصاعد الوتيرة بعد الحوادث الكبيرة وهذا مانراه في الحملة العدائية الشعبية ضد المسلمين فى الغرب مثلا والتي تضاعفت خلال عام واحد ١٦ مرة بشهادة الـ «FBI» الأمريكية، كما نشهده في الطرف الإسلامي الذي بدأ يرمق كل ماهو غربي بشزر ويود لو يقضى عليه بأية وسيلة حتى ولو كانت مرفوضة إسلامياً ودوليا كما نجده في انفجارات جزيرة بالي باندونيسيا مثلا وهنا تنطرح قضية عالقة أخرى ترتبط بهذه الروح العدائية و هي قضية «الإرهاب والعنف».

فهي معلولة بلاريب لتلك الروح، وهي نار مستعرة إذا لم يتم السيطرة عليها فهي لاتبقي ولاتذر.

فمن جهة نجد الغرب يئن من جراحه في الحادي عشر من سبتمبر وغيرها،من جهة أخرى يئن المسلمون من جراحهم في فلسطين أفغانستان و غيرها.

و من جهة ثالثة ينصب الغرب نفسه مدعيا وقاضياً ومنفذاً في هذه المسألة مع اعترافه بأنّ الإرهاب لم يتحدد تعريفه ولم يتم الفصل بين مصاديقه وموارد المقاومة

المشروعة دينياً ودوليا بل نجده يطرح الثنائية اللامعقولة: «فإمّا أن تكون معنا او فأنت إرهابي».

تماما كان الشيوعيون المتشددون يطرحون ثنائية: ـ إمّا أن تكون شيوعياً او فأنت لاتفهم الشيوعية ـ وحينئذ يغلق باب البحث ويفتح باب العنف.

الثانية: مسألة الحرية الطبيعية والاجتماعية

ربما يتصور أنّ الغرب يركز على مسألة الحرية التي يمنحها المجتمع للإنسان ويتهم الإسلام بتحديده لها، ولكن الحقيقة أنّ الغرب دأب على اتهام الإسلام برفضه للحرية الطبيعية (أي التي يمتلكها الإنسان بطبيعته الإنسانية)، متهما إيّاه بالجبرية لأنّه يؤمن بالقضاء والقدر.

و كنت أحسب أنّ هناك سوء فهم فردي من قبل بعض الغربيين حينما طالعت ما نقله الدكتور محمد حسين هيكل عن الكاتب الأمريكي (واشنطن ارونك) حين ألف كتاباً عن الرسول الأكرم ﷺ وشرح في خاتمته قواعد الإسلام الأساسية ومنها عقيدة الجبر فرد عليه المرحوم هيكل بشكل مناسب ولكنّني وجدت «ويل ديورانت» يؤكد سوء الفهم هذا ويجعل الاعتقاد بالجبرية من المظاهر الواضحة في الفكر الإسلامي[1].

بل وجدت كاتباً إنكليزياً في عصرنا الحاضر هو ابراهام برايان يكتب عن الحضارة الإسلامية متهما إيّاها بالجبرية[2].

و لا اجدني بحاجة ولا في موضع الإجابة بعد وضوح مبدأ الاختيار الإنساني في القرآن الكريم: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[3] ولكنّها شبهة يجب أن تزال من الذهن الغربي، وحتى المثقف منه وإلّا كان لها آثارها التحليلية الاجتماعية أيضاً.

وعلى أيّ حال فما زال الغرب يتهم الإسلام بتحديد الحريات الاجتماعية كما يتهم المسلمون الغرب نفسه بمنح الحريات الفردية المجال الواسع ممّا يحولها إلى حريات

---

١) قصة الحضارة، ج ١٢، ص ٥.

٢) سلسلة مقالات في الاكونومست اللندنية عام ١٩٩٤.

٣) الإنسان، ٣.

حيوانية مخربة فيجب إذن أن يجتمع الطرفان وتحدد المساحات المشتركة و هو أمر ممكن إلى حد كبير.

الثالثة: مسألة العلاقة بين السلام والعدالة

انطلقت دعوة الحوار بين الأديان على أسس منطقية سليمة، وراحت تترك اثرها الجيد في مجال تحقيق التفهم والتفاهم المنشود وتقليل مناطق الصدام، وتوفير مجالات التعاون المستمر على صعيد خدمة القضية الإنسانية والقضية الدينية،القيم المعنوية ونحن نرجو لها التوسع من مرحلة التفاهم بين المتخصصين إلى مرحلة صيرورتها ثقافة عامة تعشقها الشعوب وتتعامل على أساس منها في مختلف قضايا التماس الحضاري بعيداً عن محاولات الاستغلال والتشكيك.

و من أوليات قضية الحوار ـ أيّ حوار كان ـ ضرورة الانطلاق من قناعات متفق عليها مسبقاً.. لتكون هذه القناعات هي الاضوية الكاشفة التي تحل العقد وتفتح السبل المسدودة لعملية الحوار، وتقضي في موارد الخلاف.

وما نتصوره أنّ الإيمان بالفطرة هو من القناعات المشتركة بين جميع الأديان السماوية:

والمقصود بالفطرة هو أنّ الإنسان مخلوق إلهي أودعت الحكمة الإلهية في وجوده وطينته الأصلية مجموعة من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول الغرائز، التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له.

و إنّ الأديان إنّما جاءت لتثير له دفائن العقول ـ كما يعبر الإمام علي عليه السلام تهيئ الجوّ المناسب لبروز هذه الطاقات الكامنة على سطح حياته فتهديه سبيلاً إنسانياً يختلف كل الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي لاتتمتع بما يتمتع به من طاقات.

أمّا القضايا البديهية فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة؛ معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الأشياء وتلك من قبيل: الإيمان بمبدأ العلية، والإيمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين، ارتفاع النقيضين) و(بعض القضايا الأخرى). فهذه قضايا مغروزة في القناعة والوجدان الإنساني لايحتاج للاستدلال

عليها وإلّا دخل في طريق مسدود؛ لأنّ الاستدلال نفسه يتوقف عليها كما هو واضح. أمّا القدرات العقلية فهي نفس قدرة النفس الإنسانية على التأمل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكليات، والقيام بقياس الأشياء للوصول إلى تصورات جديدة و التخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم.. أنّ هذه القدرة الذهنية هي من مختصّات الإنسان. وهي سرّ مسيرته التكاملية وإبداعه ونموّه.

و أمّا الميول الغريزية فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه للاستفادة من طاقاته في هذا المجال:

ومن هذه الميول: ميله نحو الكمال، والسير نحو الكمال المطلق، ومحاولة سد جوانب العجز في وجوده، والركون إلى هذا المطلق القادر وأداء حقه وشكر نعمه والقيام بحق طاعته. فهذه أمور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وإن اختلفت تجلياتها وتعددت أساليبها. وربما غطت الشبهات على هذه الميول وكبتتها.

ومنها أيضاً غريزة حبّ الذات والعمل على تحقيق طموحاتها فهي من الغرائز الأصلية في الإنسان والتي لايمكن تجاوزها والقضاء عليها، كما تصورت الماركسية يوماً ما انّها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية.

و منها التذوق الفني: والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخربها هذا الكون.

و لسنا نريد استعراض كل العناصر الفطرية، وانّما نريد أن ننطلق هذه الحقيقة هي: أنّ الاقتناع بأنّ «العدالة شيء حسن دائماً» و«أنّ الشيء الحسن ينبغي فعله) هي من القناعات الفطرية التي لاتحتاج إلى دليل... فإذا اقتنع الإنسان بأنّ الموضوع المعين حسن اقتنع بأنّه ممّا ينبغي فعله دونما تشكيك فهو موضوع مطلق، كما أنّ من المواضيع المطلقة حكم الوجدان الإنساني بأنّ قضية (إطاعة المنعم الحقيقي، والمالك الحقيقي للكون والإنسان) هي قضية مطلقه لاتتخلف أيضا. هناك من القضايا التي زرعت في الوجود الإنساني كمصاديق لمسألة العدالة (أصلاً) الصدق، والأمانة، والرحمة، والإيثار، والسلام.

فهذه الأمور حسنة في أصلها، ونقصد من عبارة (في أصلها) أنّها قد تطرأ عليها بعض الحالات التي تفقد معها حسنها الطبيعي الفطري وتخرج من كونها تجليات للعدالة ومصاديق واقعية لها لتعود من تجليات الظلم والتعدي.

و نستنتج من هذا أنّ الفطرة الإنسانية تحكم بنوعين من الحكم:

أحدهما مطلق من قبيل: العدالة نفسها وطاعة الخالق الحكيم.

والثاني مقيد ونسبي من قبيل: الصدق والسلام.

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة مايؤول إليه من تبعات ظلماً لاعدالة، وكذلك السلام أحياناً بمايؤدي إليه من جراة على حرمات الإنسانية فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة فإنّ السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهاً من وجوه العدالة، ونرفضها إن كانت ظلماً ولكن التساؤل الأساس هو:

ما هي معايير العدالة؟ وكيف نتأكد من تحققها؟

أنّ الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأوّل: معيار تعبدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق، وهو الله تعالى وهو تعاليمات الدين الثابتة، والتي نتأكد من كونها صادرة من الله سبحانه ذلك إنّنا نتأكد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته تمتعه بكل صفات الكمال فهو لايريد بالإنسان إلّا الخير ولايخدع الإنسان إنّما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق النظري هو كون هذه القناعة ـ أيّة قناعة كانت ـ من ملازمات البيعة الإنسانية ولذلك نجدها متوفرة لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم حالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم.

ولكي نتأكد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أيّ إنسان «هل تعتبر أنّ السلوك الفلاني سلوكاً انسانياً أم سلوكاً حيوانياً مثلاً: قتل اليتامى والعجزة المستضعفين للتلهي والتشهي؟» مثل هذا السلوك يعد سلوكاً وحشياً من قبل أيّ إنسان بلاريب والقرآن الكريم أحياناً يعيد الإنسان إلى تأمله الوجداني وقناعته الفطرية؛ ﴿**احل لكم الطيبات**﴾[1] ويترك أمر تعيين الطيبات الإنسان؛ ﴿**إنّما حرّم ربّي الفواحش**﴾[2] ويترك أمر تعيين الفواحش أيضاً ويعتبر الخروج عن الحالة الإنسانية (فسقاً) وانحرافاً عن

١) المائدة، ٤. ٢) الأعراف، ٣٣.

الطبيعة: ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[١].

و هكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة وهي:

أنّ الأديان تؤمن بالفطرة الإنسانية، وأنّ الفطرة تقرر كون العدالة مطلوباً مطلقاً و كون السلام مطلوباً إذا شكل مصداقاً من مصاديق العدالة وتجلياً لها ومن هنا كان التأكيد الدائم على (السلام العادل) تأكيداً إنسانياً صحيحاً.

السلام العالمي والموقف منه

قلنا لاريب في كون الأمان مطلباً إنسانياً فطرياً يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة «حب الذات». وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير بإنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان... فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنّما يجب تأمين جوّ طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو افاقها المنشودة.

و تأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، ممّا يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها افاق الوحي.

فيجب إذن التفاهم حول هذه العلاقة نظرياً لنصل إلى التفاهم حول المصاديق.

النقطة الرابعة: المحورية الحضارية

من الطبيعي جداً أن يقدم الإسلام نفسه محوراً وأنموذجاً للحضارة الإنسانية باعتباره خاتمة النماذج الحضارية، التي قدمها خالق الإنسان بمقتضى لطفه واعتبر الأمة الإسلامية النموذج والشاهد على كلّ الناس: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٢].

---

١) حشر، ١٩.

٢) البقرة، ١٤٣.

و قد قدم الغرب نفسه ـ محوراً حضارياً ـ يجب أن تقتدي به الأمم، بل اعتبر نفسه غاية التاريخ ونهايته ـ كما يعبر فوكوياما المفكر الأمريكي الياباني الأصل. ورغم أن صموئيل هانتسكتون قد اختلف معه في السبيل فقال بفكرة الصراع الحضاري إلاّ أنّه يتحد معه في النتيجة وهي انتصار الحضارة الغربية الليبرالية على كل الحضارات في النهاية. وهي فكرة رددها برايان الأنف الذكر ولكن عبر التوسل إلى العالم الإسلامي لكي يطوي بعض المراحل ليصل إلى هذا المستوى «وقد تصور أنّ العالم الإسلامي يمر في القرن الخامس عشر الهجري بنفس ما مر به العالم الغربي في القرن الخامس عشر الميلادي من نهضة أوصلته إلى هذا المستوى اليوم».

و هذه الفكرة رددها سياسيون وقانونيون غربيون آخرون وبشيء من الاستعلائية والمقارنة المجحفة حتى بين بعض التصورات الإسلامية والمسيحية.

وفي رأيي أنّ ترك الأمور على إجمالها والمقارنة بين المجملين لن يؤدي إلى نتيجة فعلينا أن نحلل كل حضارة إلى مبادئها التفصيلية، ثم نقوم بمقارنة هذه المبادئ إلى بعضها، معتمدين على المفروضات الإنسانية المشتركة والوجدان المشترك آملين الوصول إلى نتائج مشتركة وإلاّ بقينا ندور في حلقة مفرغة.

النقطة الخامسة: العالمية والعولمة

و هنا أيضاً لنسمح لكل طرف كي يطرح تصورده، ثم لنتفق على المبادئ الأساسية التي تعتمد القبول بالتعددية والتعاون والنظام العالمي المشترك خدمة لكل البشرية وتفاديا لإهدار طاقاتها وإمكاناتها.

في الواقع هناك اليوم ثلاثة نظم متنافسة هي الإسلام، الاشتراكية، الرأسمالية. و هي تمتلك جمعياً توجهات عالمية. وهنا أؤكد على أنّه لافرق من حيث هذا التعريف بين العولمة والعالمية. وقد ذكرنا أنّ الإسلام باعتباره آخر حلقة من حلقات الدين الإلهي جاء ليصلح البشرية، باعتباره طريق خلاصها الذي أراده خالق البشرية، و هو بذلك يركز على الفطرة الإنسانية المشتركة بين أبناء البشر، ويعتمد منطق الحوار و الإقناع، ويعرض نفسه باعتباره السبيل الوحيد لخلاص البشرية، هذا الإسلام استخدم، لتحقيق أهدافه، عملية التغيير الفردي والتغيير الاجتماعي، وسعى لحذف الحدود الجغرافية والحدود اللونية

واللغوية، وإقامة مجتمع عالمي يطبق قانوناً واحداً، ويتبع قائداً واحداً، ويمتلك أحاسيس مشتركة، وأهداف إنسانية واحدة. هذا الاتجاه العالمي يبدو في كثير من النصوص الإسلامية، مثل قوله تعالى: ﴿قل يا ايها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنّه لمجنون وما هو إلّا ذكر للعالمين﴾[٢].

و هناك نصوص كثيرة تؤكد على عالمية الإسلام منذ انطلاقته الالى، خلافاً لما يدعيه بعض المستشرقين والمؤرخين؛ من أنّ العالمية الإسلامية جاءت بالتدريج لامجال هنا للتفصيل في هذا المجال.

فالإسلام إذا انطلق باتجاه عالمي ومازال، عبر العصور، يؤكد هذا الاتجاه، يؤكد وحدة المنطلق الإنساني، والمسير والهدف، هذا هو رأي الإسلام، أمّا الاشتراكية فهي أيضاً عندما طرحت فلسفتها عن التاريخ طرحت مسألة المادية التاريخية، والمراحل التي اشتهرت في هذه المادية، حيث تنتقل البشرية من مرحلة العبودية إلى المراحلة الاقطاعية، إلى الرأسمالية التجارية،المرحلة الرأسمالية الصناعية، إلى المرحلة الاشتراكية، وبالتالي إلى المرحلة الشيوعية، عبر بعض القوانين ومنها صراع الأضداد الاجتماعية. هذا التصور أعطى الاشتراكية نظرتها العالمية فى إيجاد تحول عالمي في مسيرة الإنسانية. وواضح أنّ الاشتراكية اعتمدت في هذا المجال قضية صراع الطبقات، والثورة والنظام الحديدي الاشتراكي، الذي يوصل المجتمع إلى الجنة التي يتصورها الاشتراكيون، وهي الشيوعية[٣]، وقد فشلت هذه الرؤية سواء على الصعيد النظري أو على الصعيد التطبيقي في أثبات ذاتها.

هذا بالنسبة إلى الاشتراكية، امّا بالنسبة إلى الراسمالية؛ فقد انطلقت منذ بداية حركتها دون أساس إيديولوجي[٤]، ولم تكن تهتمّ بالأساس الإيديولوجي، وانّما همها تنظيم الحياة، وأقام نظامها على أساس الحرية الفردية الرأسمالية، وعندما انطلقت وواجهت اتساع الأفكار المعادية لها، راحت تأخذ من الاشتراكية شعاراتها وتستبد لها بشعارات

---

١) الأعراف، ١٥٨. ٢) القلم، ٥١.

٣) للوقوف على تفصيل هذا الأمر، راجع بحوث الشهيد الصدر في اقتصادنا، ص ٥٢ – ٢٢٨، حول الموضوع.

٤) ن. م، ص ٢٤٧ – ٢٥٠.

مقابلة، من قبيل العدالة الاجتماعية؛ حيث استبدلتها بمسألة حقوق الإنسان، والتنمية الاقتصادية، حيث استبدلتها بمسألة السوق الحرة ونمو الإنتاج،بالتالي فإنّها أخذت شعار الأممية البروليتارية واستبدلته بشعار العولمة الرأسمالية، إذ عندما انطلقت انطلقت محلية وكان تركيزها على الغرب، ولم تطرح نفسها بشكل عالمي، إلّا بعد أن توفرت ظروف مناسبة لذلك.

النقطة السادسة: العولمة الاجتماعية ومشاكل السكان والتنمية

الملاحظ في مسيرة التفكير الاجتماعي الغربى والحاكم في النهاية على مسيرة صياغة الوثائق الاجتماعية الدولية ومنها وثيقة القاهرة ووثيقة كوبنهاكن ووثيقة بكين وغيرها، أنّ هناك منطلقات تحكم هذه العقلية وأهمها ما يلي:

أوّلاً: منطلق نظرية مالتوس القائلة بأنّ معدلات النمو الإنسانى أسرع من معدلات النمو الطبيعي للموارد والامكانات في الطبيعة.

ثانياً: منطلق أنّه لايمكن بل لاينبغي أن توضع العقبات أمام الاستجابة الحرة للغرائز الجنسية لأنّ ذلك يؤدي للكبت، والتمرد، ويخالف حقوق الإنسان.

ثالثاً: عدم الإيمان بما يسمى بالقيم الإنسانية أو القيم الأخلاقية الاجتماعية، بل تصوران توفر مثل هذه القيم في المجتمع يؤدي إلى عدم الاستجابة للثقافة الغربية ـ على المستوي العالمي ـ ولذا فيجب العمل على محوها اجتماعيا لكي تنفتح الشعوب أمام عملية الغزو الثقافي الجامع وفرض التصورات الغربية لا على الأذهان فحسب بل وحتي على القوانين الفرعية الاجتماعية في المجالات المدنية باعتبارها عملية إدخال لروح حقوق الإنسان في المجالات القانونية، وباعتبار الغرب قيّما مزعوماً على حقوق الإنسان هذه ـ وهي أخطر مراحل هذا الهجوم حتماً.

رابعاً: الروح العلمانية التي واجه بها الغرب سلطة الكنيسة وتخلص من براثنها ليتجه الاتجاه المادي ويصنع حضارته التي جمعت بين هذا الاتجاه والتقدم العلمي، ومن هنا فهو يتصور أنّ منهجه هذا هو الذى يجب أن ينفذ في شتى أنحاء العالم.

وهو بذلك يتحسس من كل ما هو ديني أو يمت إلى الدين بصلة، ومن هذه المنطلقات وأمثالها جاء هذا التخطيط الرهيب ليعتمد الأسس التالية:

١. تأييد التحرر الكامل من القيود الدينية وخصوصاً في المجال العائلي والاجتماعي.

٢. تقليل النمو السكاني بشتى الوسائل، ومنها الأجهاض.

٣. فرض المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان على الساحات الفكرية والعملية والقانونية.

٤. التأكيد على فكرة العولمة الاجتماعية وتدخل الأمم المتحدة في ثقافات الشعوب وبنيتها الاجتماعية. ونلاحظ أنّ الإسلام لايعترف بمجمل هذه المنطلقات؛ فالقرآن الكريم يؤكّد أنّ الله تعالى أودع في الطبيعة كل ما يحتاجه الإنسان وهو أمر يستنبطه الوجدان الإنساني الذي يلاحظ كل هذا الانسجام والتخطيط في الكون.

ولكنّ الذي أوجد المشكلة في الواقع هو ظلم لإنسان في توزيع المحصول الطبيعي توزيعاً عادلاً، وكفرد بأنعم الله تعالى: ﴿و آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفار﴾[١].

كما أنّ الغرائز هي دوافع عمياء صممت في وجود الإنسان لتحقق له المضي في المسيرة ولكنّ تحت هداية عقلية وتخطيط تشريعي واقعي فلا يمكن أن يطلق لها العنان، وإلّا تحولت إلى عواصف هو جاء تعصف بالوجود الإنساني، كما أنّ الإيمان بالقيم الأخلاقية نابع من الإيمان بالله تعالى وهو مقتضى الفطرة الإنسانية والوجدان، و من طلب ما عدا ذلك فقد بخس الإنسانية حقها وأخرجها إلى حيوانية عجماء ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾[٢].

وأخيراً فإنّ الإسلام دين الحياة المترابطة ولايمكن أن تنتظم الحياة إلّا به، فالعلمانية مرفوضة جملة وتفصيلاً، وعلى هذا الأساس فإنّ النتائج التي اعتمدها هؤلاء مرفوضة أيضاً.

إلّا انّ هناك نقطة مهمة تجب ملاحظتها أيضاً وهي أنّ هناك بدائل مشروعة تطرح نفسها في البين فيجب توخيها وعدم اتخاذ الموقف السلبي الكامل، فمسألة تنظيم العائلة أمر لاحظه الإسلام وسمح به بل وربما أوجبه إذا تطلبت المسيرة الاجتماعية ذلك نتيجة

---

١) إبراهيم، ٣٤. ٢) الأعراف، ١٧٩.

للظروف الطارئه. فإذا عاد النمو السكاني خطراً على منطقة ما وتخطيطها ـ نتيجة عوامل لايد للدولة الإسلامية فيها ـ كان من الممكن لولي الأمر أن يأمر بذلك كما أمكن للأفراد أن ينظموا المسيرة وفقا لما يحقق المصلحة الاجتماعية، والأب الأم هنا أحرار في مسألة التنظيم هذه. ولكن ذلك إنّما يتمّ بالطرق المشروعة وليس الأجهاض أحدها قطعاً، فهو أمر غير مسموح به إلّا في الحالات النادرة كتعرض حياة الأم للخطر او ابتلاء الجنين بمرض عضال غير قابل للعلاج مثلاً.

و حقوق الإنسان بمعناها الحقيقي يضمنها الإسلام ويعمل على توفيرها للأفراد في إطار واقعي سليم.

و للإسلام مفهومه الخاص عن العولمة إذ يقيمه على أساس من الفطرة الإنسانية وهي مشتركة بين أفراد البشر لاتنمحي وإن كانت آثارها قد تضعف وتقوى.

وعلى أيّ حال فينبغي التعامل بحذر وإيجابية مع الوثائق المطروحة وإلّا ابتلينا بسلبياتها فرضاً وخسرنا إيجابياتها.

أمّا المشكلة التعليمية (التعليم للجنسين)، فإنّه ليس للإنسان أن يتصور تحفظاً للإسلام في مجال التعليم، فالإسلام دين العلم، وهو يحبذ تعليم الإنسان في ايّة مرحلة كانت. فلامشكلة لدينا في تعليم الإنسان حقوقه الفردية والاجتماعية، ولا مانع مطلقاً من كشف الحقائق أمام الإنسان.

إنّما الإشكال يكمن في ان يستغل التعليم وأساليبه لتحقيق أهداف لا انسانية وحينئذ يقف الإسلام ضد هذا الاستغلال.

والتعليم بمساله الجنس والعلاقة الجنسية وآثارها من الأمور الطبيعية، للتوقي من الآثار السلبي للجهل، وللتخطيط للإشباع الحكيم، وتحقيق هدف الخلقة الإنسانية فيضمان استمرار النوع البشري، ليقوم بأعمار الأرض وبناء المجتمع الصالح وتنظيم العلاقات الاجتماعية وكذلك لإشباع حاجته الجنسية الطبيعية التمتع بالحياة.

كل ذلك أمر طبيعي، وطبيعي أن يدعو له الإسلام ويحبذه، إلّا أنّ الخطريكمن في عملية الاستغلال، ذلك لأنّه يمس جانباً حساساً مشتعلا في حياة الإنسان خصوصا الإنسان الشاب ومن هنا يأتي عنصر الاستغلال الأمر الذي يدعو إلى الاحتياط، ومن هنا أيضاً اصر الوفد الإسلامي الإيراني في كل هذه اللقاءات على أن يكون التعليم في ألسن

المناسبة وتحت إشراف الوالدين مستهدفا الحيلولة دون الانتهاء إلى نتائج سلبية فردية أو اجتماعية، جسمية أو روحية. ومن هنا فإنّ المطلوب أن توضع خطة حكيمة لتعليم أولادنا وبناتنا ما يحتاجون إليه من معلومات ترتبط بهذا الجانب، وأحكام هذا الباب متناثرة في أبواب فقهية متعددة مثل الطهارة، و النكاح والعقوبات وغيرها.

أمّا التستر على الأمر بحجة الاستحياء، وعدم هتك الأسرار فهو إلى حد ما طبيعي، ولكن لايعني أن لاتنقل المعلومات اللازمة لنوقعهم او نعرضهم للوقوع في هدة الخطيئة أو القلق.

و حول مشكلة الأجهاض، فهناك بعض الدول التي تبيح الأجهاض في قوانينها الداخلية بشكل طبيعي، وهناك الاتجاه الآخر الذي تقوده الكنيسة وهي تحرم أيّة عملية أجهاض مطلقاً بل أيّ عملية تنظيم للنسل وتخطيط للأسرة من خلال اقراص منع الحمل وأمثالها، اللهمّ إلّا ما كان من قبيل التخطيط للمقاربة الجنسية في الأوقات التي يقل فيها احتمال انعقاد النطفة كبعض الأيام في الشهر.

وهناك الاتجاه الإسلامي الوسط فهو يمانع فيها ويحرم القيام بالأجهاض منذ انعقاد النطفة، ولا مانع من القيام بكل عمل يقف بوجه هذا الانعقاد كالعزل الذي أحله رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه.

كما لا يمانع من الأجهاض إذا تعرضت حياة الأم للخطر المحقق، أو ابتلي الجنين بمرض عضال لايقبل العلاج ـ على بعض الآراء طبعا.

و على أيّ فيجب أن لايحبذ هذا العمل ولايعتبر وسيلة لتنظيم النسل مطلقا.

ولكن إذا تمّ السماح لهذه العملية شرعاً فيجب أن يتم بالطرق الصحيحة المأمونة بلاريب.

كما أنّ الإسلام يحرم مطلقا أن تقوم الأم بهذه العملية لعدم الرغبة في الانجاب، أو لوجود بعض النتائج السلبية، الاقتصادية والاجتماعية.

إنّ الجنين مهما كان السبب في تكونه (حتى ولو كان ذلك محرما) إنسان محترم، له حق الحياة. ولا يجوز الاعتداء عليه ويجب توفير كل الظروف الملائمة لتكامله وولادته صحيحاً سالماً.

وتبقى هناك مسألتان:

١. **مشكلة الشباب:** للجيل الشباب بمقتضى طبيعته الحيوية وتحولات حياته الكثير من المشاكل، وأنماط السلوكات التي يفرط فيها أحيانا ولايجد متنفسا لها في المجتمع أحيانا أخرى. من قبيل المشاكل الجنسية ومشكلة الزواج، والنزوع للتحرر من أيّة قيود، والتمرد على التقاليد، وانطراح التساؤلات العديدة وقلق الشخصية ترددها بين الطفولة والرجولة ومشاكل التعليم.

وهذه الحالات تتطلب منا مواجهة حكيمة ـ كما أسلفنا ـ من خلال الدراسة الميدانية، واللقاءات الودية والحرة، والعمل على ملء الفراغ الشبابي بشتى الأساليب الإيجابية والابتعاد عن جوّ العنف والتحلل والتمرد، وتوفير فرص التعويض الإيجابي بدلاً من كبت العقد النفسية، وإشاعة الأخلاق الفاضلة بالحكمة الموعظة الحسنة، بدلاً من استخدام أساليب الوأد، والإجابة على التساؤلات وأمثال ذلك.

٢. **مشكلة المرأة:** للمرأة أيضاً مشاكلها الخاصة بها، من قبيل المشاكل الاجتماعية التي قد تعتور الزواج، كمشاكل الطلاق، ومشاكل الضعف في مواجهة الحالات العنفية كالحرب والتهجير والتقاليد المجحفة، ومشاكل الدخول في المعترك الإجتماعي الإداري والاقتصادي والسياسي والتعليمي، فينبغي إذن العمل الجاد على اكتشاف هذه المشكلات، ووضع الحلول المناسبة مسترشدين بالحلول الإسلامية الأصلية، ورافضين لكل حالات التطرف المقيت، الذي يسلب المرأة حقوقها الإنسانية الإسلامية ويقعدها عن المساهمة فى عملية البناء الاجتماعي الواسع بل في العملية الحضارية الإنسانية أسوة بالعظيمات من النساء اللواتى تركن بصماتهن على الصعيد التاريخي.

إنّها طاقة كبرى يجب أن لانكفر بنعمتها ونتركها هكذا تذوب وتنزوي، بل نعمل على أن تسخر لصالح الإنسانية.

النقطة السابعة: الديمقراطية

إنّ الليبرالية الغربية تمنح كل السلطات للشعب، فله التقنين والتعيين للحكام.

إلّا أنّ الديمقراطية الغربية تتحول إلى مجرد حقوق اسمية في كثير من الأحيان حينما يتدخل المال والتزوير والتحالفات المصلحية.

في حين يرى الإسلام أن الدين بمقتضى انطلاقه من خالق الإنسان له الحق في

تعيين نوع تدخل الإنسان في مجال التقنين والتعيين. ومن خلال هذا المبدأ قـام الإسـلام بالأمور التالية:

١. عالج الجانب الثابت من الحاجات الإنسانية بأحكام ثابتة لاتتناولها يد التغيير نعم قد تتغير أساليب التطبيق باختلاف الزمان والمكان والاجتهادات كاختلاف أساليب تطبيق التكافل والتوازن الاجتماعى باختلاف المجتمعات الإسلامية.

٢. فسح المجال للحاكم الإسلامي في التشاور مع الأمة لتحقيق المصالح المتغيرة وإشباعها بافضل الطرق في مجال المباحات.

٣. وضع الشروط اللازمة لانتخاب الكوادر التنفيذية على كل المستوياتبالتالي نستطيع أن نعبر عن الحكم الإسلامي بأنه حكم الشعب ضمن الإطار الديني.

إذن فـهناك نـقاط التـقاء كـثيرة يـمكن التوصل فـيها إلى حـد مشـترك مـع الديمقراطية الغربية.

النقطة الثامنة: العلمانية

و هي فكرة نشأت في أحضان غربية ونتيجة صراعات بين أنصار التحررالتزمت الكنسى انتهت إلى عزل الكنيسة عن الحياة الاجتماعية ـ تـقريبا ـ بـالتالي فـصل الديـن عن الحياة.

إلّا أنّ طبيعية الإسلام وتعاليمه الحـياتية وتـخطيطه لأسـلوب الحكـم وتـطبيقاتّه العملية تتناقض مع هذه الفكرة.. ونـحن لا نـرى مـجالاً للـتفاهم عـلى حـد مشـترك فـي هذا المجال.

النقطة التاسعة: حقوق الإنسان

وفي هذه النقطة لانجد اختلافاً كبيراً فى المفهوم وفي نوعية القيود التي يجب أن تقيد هذه الحقوق، من حيث ضرورة كون هذه الحقوق معقولة إلّا أنّ الاختلاف قـائم فـي مجالات أخرى من قبيل «منشأ الحقوق» وهل هو الإنسان ذاته الذى يقررها ويقرر حدودها ومصاديقها وبالتالي يتبع الأمر اجتهادات الإنسان. ام هو الله خالق الإنسان ومالكه وهو

الذي يمتن بها على هذا المخلوق، ثم يعين له حدود هذه الحقوق والتي تضمن أن يكون استفادة الإنسان منها محققة لتكامله الفردي الاجتماعي وغير مخلة بالتوازن المطلوب، بعد أن كان الحق ذا طرفين: من له الحق ومن عليه الحق.

و على ايّ حال فنحن نعتقد أنّ الإيمان بنظرية الفطرة الإنسانية ضروري للإيمان بالحقوق الإنسانية، فالإنسان الذي يمكن أن نتصور له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبعه عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه مادام إنسانا فإذا انقلب إلى وحش فقد هذه الحقوق ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾[1]. والحقيقة أنّنا إذا لم نؤمن بالفطرة الإنسانية فقدنا المعيار في تشخيص الحقوق وربما كان الذين كتبوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينطلقون من هذا المنطلق ـ دون أن يشعروا أو يصرحوا بذلك ـ حينما قرروا في مقدمة الإعلان «ضرورة معرفة الحيثية الذاتية للإنسان لتحقيق الحرية والعدالة والسلام».

وبالتالي نجد اختلافا واسعاً بين الغرب والإسلام في مصاديق هذه الحقوق إلّا أنّ هذا لايعني عدم إمكان الوصول إلى مساحات مشتركة كثيرة وهذا يتضح من المقارنة بين الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان[2].

النقطة العاشرة: دعم الحركة الصهيونية

إنّ العداء بين الحركة الصهيونية والأمة الإسلامية بات قويا لاتزيده الأيام إلّا رسوخا؛ نتيجة الطبيعة العنصرية من جهة والتأصل الاجرامي لدى الصهاينة من جهة أخرى. وها نحن نتجاوز قرناً من الزمان ملؤه التعدى على حقوق المسلمين المعترف بها دولياً وقد تجاوزت انتهاكات العدو الصهيوني العشرات بل المئات من قرارات الأمم المتحدة وبشكل يندى له جبين الإنسانية.

إلّا أنا نجد الغرب وعلى رأسه اليوم أمريكا يقف مدافعا عنه وداعما له بشتّى أنواع الدعم، بل ومتجاوزا حتى شعاراته هو من حماية حقوق الإنسان، بل معتبرا إيّاه النظام الديمقراطي المقدم للعالم الثالث.

و الغرب بهذا يثبت كذب منطق حمايته لحقوق الإنسان، ويكيل بمكيالين في هذا المجال، ويثير حقد العالم الإسلامي بل حقد كل إنسان يحترم إنسانيته.

هذا وقد حاول الكثيرون الوصول إلى بعض المساحات المشتركة ولكن كل هذه المحاولات تحطمت على صخرة الطبيعة العنصرية والعدوانية الصهيونية. وهي مسألة لا نجد فيها أيّ مجال للمساومة.

* * *